مَعَارِجُ القَبُولِ

بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُولِ، إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ

فِي التَّوْحِيدِ

تأليف

الشَّيخ العلَّامة

حَافِظ بن أَحمد الحَكمِي رحمه الله

(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

قدّم له، وترجم لمؤلفه

وأشرف على طبعه

أحمد بن حافظ الحكمي

الجُزءُ الثَّانِي

الطبعة الثالثة

(١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م)

الطبعة الأولى

١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م بالمطبعة السلفية بمصر

الطبعة الثانية

من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

بالمملكة العربية السعودية

(مصورة عن الطبعة الأولى)

طبع في دار

المطبعة السلفية ومكتبتها

٢١ شارع الفتح – بروضة الفسطاط – القاهرة * ت ٨٤٠٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

يجمع معنى حديث جبريل فى تعليمنا الدين

وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان وبيان كل منها

اعلم أن هذا الفصل مهم جداً جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية ، وهو معنى حديث جبريل فى سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم وجوابه إياه ، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع ، سمى النبي صلى الله عليه وسلم ما احتوى عليه « الدين » فقال « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . وهو حديث مشهور فى كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو ذر وعبد الله بن عباس وأبو عامر الأشعرى وغيرهم رضى الله عنهم . وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث ، ثم نتكلم على الخصال التى فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى ، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

حديث جبريل — الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخرجه مسلم فى أول جامعه : حدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيي ابن يعمر . ح . وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى وهذا حديثه : حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيي بن يعمر قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين — أو معتمرين — فقلنا : لو لقينا

أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت صاحبي سيكل الكلام إلىّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برئ منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدّقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ، فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

حدثنى محمد بن عبيد الغُبَرى وأبو كامل الجحدرى وأحمد بن عبدة قالوا : حدثنا حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال : لما تكلم معبد بما تكلم به فى شأن القدر أنكرنا ذلك . قال : فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حجة . وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده . وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف .

وحدثنى محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا : لقينا عبد الله بن عمر رضى

الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه ، فاقتص الحديث كنحو حديثهم عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئاً .

وحدثنى حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو حديثهم .

هذه طرقه فى مسلم بكمالها ، ولم يخرجه البخارى رحمه الله تعالى .

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال فى كتاب السنة من سننه : حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره . وفيه : لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه . وفيه : فلبثت ثلاثاً .

ومن حديث عثمان بن غياث فقال : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثنى عبد الله بن بريدة . وفيه : فذكر نحوه ، وزاد : قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال : يا رسول الله فيم نعمل ، أفى شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن ؟ قال فى شيء قد خلا ومضى . فقال الرجل أو بعض القوم : ففيم العمل ؟ قال : إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة ، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار .

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص : قال فما الإسلام ؟ قال : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة .

ورواه النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه من مجتبى سننه فقال : باب نعت الإيمان ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا كهمس بن الحسن — فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم — ولم يذكر حميداً ولم يذكر كلام يحيى ابن يعمر ولا كلام ابن عمر قبله .

ورواه الترمذى فى أبواب الإيمان فقال : باب ما وصف جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعى أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن ، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال : فألزق ركبتيه بركبتيه ثم قال : يا محمد ما الإيمان ؟ ثم قال : فما الإسلام ؟ ثم قال : فما الإحسان ؟ وفيه كل ذلك يقول له : صدقت . قال : فتعجبنا منه يسأله ويصدقه . قال : فمتى الساعة ؟ وقال : فما أماراتها . وفى آخره : فلقينى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بثلاث فقال :

يا عمر هل تدرى من السائل ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم . وفى نسخة : معالم دينكم .

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الإسناد نحوه بمعناه .

حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الإسناد نحوه بمعناه . وفى الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبى هريرة هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه نحو هذا . وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح هو عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن ماجه فى باب الإيمان : حدثنا على بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس ابن الحسن فذكره كلفظ الترمذى ، غير أنه لم يذكر حميداً ولا نفس القصة ولا كلام ابن عمر قبل الحديث . وفيه : قال وكيع فى قوله « أن تلد الأمة ربتها » يعنى تلد العجم العرب .

ورواه عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنى أبى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة . ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن . الحديث .

والحاصل أن راويه عن عمر ابنه عبد الله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميرى ، وعن يحيى بن يعمر عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان . وعن عبد الله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث ، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبرى والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ، ثم اشتهر عن كل من هؤلاء ، والله أعلم .

الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فهو الذى أشار إليه الترمذى وقد رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال : قلت لابن عمر رضى الله عنهما إنا نسافر فى الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدر ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما : إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله بن عمر منهم برىء وأنهم منه برآء (ثلاثاً) ، ثم إنه أنشأ

يحدث : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فذكر من هيئته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنه فدنا ، فقال ادنه فدنا ، فقال ادنه فدنا حتى كاد ركبتاه تمسان ركبتيه ، فقال : يا رسول الله أخبرنى ما الإيمان أو عن الإيمان ، قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر . قال سفيان : أراه قال : خيره وشره . قال : فما الإسلام ؟ قال : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة ، كل ذلك قال : صدقت صدقت . قال القوم : ما رأينا رجلا أشد توقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا كأنه يعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : يا رسول الله أخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله أو تعبده كأنك تراه ، فإلا تراه فإنه يراك . كل ذلك نقول ما رأينا رجلا أشد توقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ، فيقول : صدقت صدقت . قال : أخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل . قال فقال : صدقت قال ذلك مراراً ، ما رأينا رجلا أشد توقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا . ثم ولّى . قال سفيان : فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : التمسوه ، فلم يجدوه . قال : هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم . ما أتانا فى صورة إلا عرفته غير هذه الصورة . وإسناده : حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر إلخ .

وفى رواية قال : قلت لابن عمر إن عندنا رجالا يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا . فقال : أخبرهم أنى منهم برئ وأنهم منا برآء . ثم قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ما الإسلام ؟ فقال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم . قال : صدقت . قال : فما الإحسان؟ قال : تخشى الله كأنك تراه فإن لاتك تراه فإنه يراك . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال : نعم . قال : صدقت . قال : فما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم . قال : صدقت .

زاد فى رواية : وكان جبريل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية .

وسند هذه الرواية : حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا على بن زيد عن يحيى بن يعمر قلت لابن عمر إلخ .

وفى أخرى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . فقال له جبريل عليه السلام : صدقت . قال فتعجبنا منه يسأله ويصدقه : قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم . وسند هذه الرواية : حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا وكيع حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر إلخ .

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميرى قال : لقينا عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا : إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم برئ وأنتم منه برآء (ثلاث مرار) ثم قال : أخبرنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يمشى حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض ، فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر . ثم قال : يا رسول الله آتيك ؟ قال : نعم . فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه ، وساق الحديث بنحو ما تقدم فى الصحيح والسنن ، وزاد فى آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم فى رواية أبى داود .

الحديث به عن أبى هريرة

وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان ، فى خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى . ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الله

عنده علم الساعة ﴾ ثم أدبر فقال : ردوه فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . قال أبو عبد الله : جعل ذلك كله من الإيمان ، وترجم عليه : باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له . ثم قال : جاء جبريل يعلمكم دينكم ، فجعل ذلك كله ديناً .

وأخرجه فى تفسير سورة لقمان فقال : باب قول الله تعالى ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ حدثنى إسحاق عن جرير عن أبى حيان الحديث . وفيه : إذ أتاه رجل يمشى فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ وفيه : قال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . ولكن سأحدثك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها ، فى خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ﴾ ثم انصرف الرجل فقال : ردوا على ، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم .

ورواه مسلم فقال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن ابن علية قال زهير : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان الحديث وزاد : وإذا تطاول رعاة البهم فى البنيان فذاك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ قال ثم أدبر إلخ .

وقال : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمى بهذا الإسناد مثله ، غير أن فى روايته « إذا ولدت الأمة بعلها » يعنى السرارى .

وقال : حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلونى ، فهابوه أن يسألوه . فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان . قال : صدقت . قال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله . قال : صدقت . قال : يا رسول الله ما الإحسان ؟ قال : أن

تخشى الله كأنك تراه ، فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت . قال : يا رسول الله متى تقوم الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . وسأحدثك عن أشراطها : إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون فى البنيان فذاك من أشراطها فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ . قال ثم قام الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ردوه علىّ ، فالتمس فلم يجدوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا .

وأشار إليه الترمذى فى باب حديث ابن عمر عن عمر . ورواه ابن ماجه بإسناد مسلم ولفظه إلى آخر الآية . ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه إلخ وفيه « وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة » .

الحديث به عنه وعن أبى ذر

وأما حديثه مع أبى ذر رضى الله عنهما فقال النسائى فى كتاب الإيمان من مجتبى سننه : صفة الإيمان والإسلام . أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبى فروة عن أبى زرعة عن أبى هريرة وأبى ذر رضى الله عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه ، وإنا لجلوس ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم فى طرف البساط فقال : السلام عليك يا محمد ، فرد عليه السلام قال : أدنو يا محمد ؟ قال : أدنه . فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له ادن حتى وضع يده على ركبتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد أخبرنى ما الإسلام . قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان . قال : إذا فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال : نعم . قال : صدقت . فلما سمعنا قول الرجل « صدقت »

أنكرنا . قال : يا محمد أخبرنى ما الإيمان . قال : الإيمان بالله وملائكته والكتاب والنبيين وتؤمن بالقدر . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : صدقت . قال : يا محمد أخبرنى ما الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت . قال : يا محمد أخبرنى متى الساعة . قال فنكس فلم يجبه شيئاً ، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً ، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً . ورفع رأسه فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن لها علامات تعرف بها : إذا رأيت الرعاء البهم يتطاولون فى البنيان ، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض ، ورأيت الأمة تلد ربها فى خمس لا يعلمها إلا الله ﴿ إن الله عنده علم الساعة — إلى قوله — إن الله عليم خبير ﴾ ، ثم قال : لا والذى بعث محمداً بالحق هادياً وبشيراً ما كنت بأعلم به من رجل منكم ، وإنه لجبريل نزل فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه .

وقال أبو داود فى باب القدر من كتاب السنة من سننه : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن فروة عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن أبى ذر وأبى هريرة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث . وفيه : فبنينا له دكاناً من طين فجلس عليه . وكنا نجلس بجنبتيه . وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السماط فقال : السلام عليك يا محمد ، قال فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم :

فحاصل طرق حديث أبى هريرة وحده ومع أبى ذر رضى الله عنهما أبو زرعة عن أبى هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع ، وعن أبى حيان إسماعيل بن إبراهيم بن علية وجرير ومحمد بن بشر ، وعن إسماعيل مسدد وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن حنبل ، وعن جرير إسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبى شيبة ، وعن محمد بن بشر محمد بن نمير ، وعن كل من عمارة وأبى فروة جرير . والله أعلم .

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس : فقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فجاء جبريل عليه السلام فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً كفيه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله حدثنى ما

الإسلام ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . قال : إذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : إذا فعلت ذلك فقد أسلمت . قال : يا رسول الله فحدثني ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : إذا فعلت ذلك فقد آمنت . قال : يا رسول الله حدثني ما الإحسان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه ، فإنك إن لم تره فإنه يراك . قال : يا رسول الله فحدثني متى الساعة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك ، قال : أجل يا رسول الله فحدثني . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ، ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رءوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها . قال : يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟ قال : العرب . وحسنه الحافظ العسقلاني .

الحديث به عن أبي عامر

وأما حديث أبي عامر فقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال : حدثنا عبد الله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام ، ثم وضع جبريل يده على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب . وفيه : فلما ولّى أى السائل فلما لم نر طريقه بعد قال ، أى النبي صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ثلاثاً . هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم . وحسنه الحافظ أيضاً وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالى . وأما الأحاديث التي قبله فقد خرجها غير من ذكرنا ، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها ، وفي الباب عن

جماعة من الصحابة غير من ذكر ، منهم طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وجرير ابن عبد الله البجلى رضى الله عنهم ، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص فى كل مسألة من مسائله عند ذكرها فى المتن ، فنقول وبالله التوفيق :

الإيمان قول وعمل

(اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل)

(اعلم) يا أخى وفقنى الله وإياك والمسلمين **(بأن الدين)** الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، ورضيه لأهل سمواته وأرضه ، وأمر أن لا يعبد إلا به ، ولا يقبل من أحد سواه ، ولايرغب عنه إلا من سفه نفسه ، ولا أحسن ديناً ممن التزمه واتبعه هو **(قول)** أى بالقلب واللسان **(وعمل)** أى بالقلب واللسان والجوارح . فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام :

الأول : قول القلب وهو تصديقه وإيقانه ، قال الله تعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ صدّقوا ثم لم يشكوا . وفى حديث الدرجات العلى « بلى والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . وقال تعالى ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ وقال تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ وغير ذلك من الآيات . وفى حديث الشفاعة « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه من الخير ما يزن شعيرة » الحديث . وفى الحديث الآخر « فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان » . وقال تعالى فى المكذبين ﴿ أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى فى المرتابين الشاكين ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ﴾ وقال فيهم ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ وقال تعالى فيهم ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله

يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ أى فى قولهم نشهد ، أى كذبوا ، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم ، إنما هو بألسنتهم تقية ونفاقاً ومخادعة .

الثانى : قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بلوازمهما . قال الله ﴿ وقولوا آمنا ﴾ ، ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق ﴾ ، ﴿ وقل آمنت بما انزل الله من كتاب ﴾ ، وقال تعالى ﴿ إلا من شهد بالحق ﴾ ، ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » وما فى معناه مما سنذكر ومما لا نذكر .

الثالث : عمل القلب ، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه ، قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ ، ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ ، ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ ، ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ ، ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ ، ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ ، ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص — وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين — قل الله أعبد مخلصاً له دينى ﴾ ، وقال تعالى ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله — يحبهم ويحبونه — قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله — ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ ، ﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ ، ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ ، ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما ﴾ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » . وقد تقدم جملة

من نصوص الإخلاص في الكلام على لا إله إلا الله ، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافى كماله من الشرك الأصغر . وقال صلى الله عليه وسلم « أحبوا الله من كل قلوبكم » ، وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » الحديث ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك » . وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد تقدمت النصوص فى التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب .

الرابع : عمل اللسان والجوارح ، فعمل اللسان ما لا يؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك ، وعمل الجوارح ما لا يودى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشى فى مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد فى سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان . قال الله تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبره تكبيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾ وهى « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ، وقال تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ ، والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين ، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقاً بالغاً وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهماً واضحاً ثم أمعنت النظر فى أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لاتخرج عن أربعة : كفر جهل وتكذيب ، وكفر جحود ، وكفر عناد واستكبار ، وكفر نفاق . فأحدها يخرج من الملة بالكلية ، وإن اجتمعت فى شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك ، لأنها إما أن تنتفى هذه الأمور كلها — قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح — أو ينتفى بعضها ، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق ، قال الله تعالى ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ . وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب ، قال الله تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وقال تعالى ﴿ أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون ﴾ . وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان ، قال الله تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ وقال تعالى ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ . وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك ، قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين — إلى قوله — ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل

شيء قدير ﴾ . وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار ، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم ، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً ، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » ، ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك ، لم يعنوا مجرد التصديق ، فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوه ، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد بل جحد بآيات الله ظلماً وعلواً ، فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ﴾ الآيات . وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم ﴿ قالوا سمعنا وعصينا — وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ من تصديق من قالوا ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ والله الموفق .

(كفاك ما قد قاله الرسول إذ جاءه يسأله جبريل)
(على مراتب ثلاث فصله جاءت على جميعه مشتمله)
(الإسلام والإيمان والإحسان والكل مبني على أركان)

(كفاك) أيها الطالب الحق **(ما قد قاله الرسول)** محمد صلى الله عليه وسلم **(إذ)** حين **(جاءه يسأله)** عن مراتب الدين وشرائعه **(جبريل)** عليه السلام كما في الأحاديث السابقة عن جماعة من الصحابة **(على مراتب ثلاث فصّله)** في تلك الأجوبة الصريحة **(جاءت)** أي الثلاث المراتب **(على جميعه)** أي على جميع الدين **(مشتملة)** ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأمور « الدين » فقال « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

(الإسلام) بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب ، ويقال له بدل بعض من كل ، وما بعده معطوفان عليه . هذه هي المرتبة الأولى في حديث عمر وما وافق لفظه .

والإسلام لغة : الانقياد والإذعان ، وأما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان : **(الحالة الأولى)** أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان ، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله ، كقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقوله تعالى ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وقوله ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ أى فى كافة شرائعه ، ونحو ذلك من الآيات . وكقوله صلى الله عليه وسلم لما سأله معاوية بن حيدة : ما الإسلام ؟ قال « أن تقول أسلمت وجهى لله وتخليت » الحديث ، وفى حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال « أن يسلم قلبك لله عز وجل ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » قال : فأى الإسلام أفضل ؟ قال « الإيمان » قال : وما الإيمان ؟ قال « تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت » فجعل صلى الله عليه وسلم الإيمان من الإسلام وهو أفضله ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها ، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها » الحديث . فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمان لا يكون حسن إسلام بل هو النفاق ، فكيف تكتب له حسنات أو تمحى عنه سيئات ؟ ونحو ذلك من الأحاديث . **(الحالة الثانية)** أن يطلق مقترناً بالاعتقاد ، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ الآية ، وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له سعيد رضى الله عنه : مالك عن فلان ، فو الله إنى لأراه مؤمناً . فقال صلى الله عليه وسلم « أو مسلم » يعنى أنك لم تطلع على إيمانه ، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة . وفى رواية النسائى « لا تقل مؤمن وقل مسلم » ، وكحديث عمر هذا ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث .

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية فى الحديث المذكور ، والإيمان لغة التصديق قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ يقول بمصدق ، وأما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان : **(الحالة الأولى)** أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله ، كقوله عز وجل ﴿ الله ولىُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ وقوله ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ وقوله ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ، ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة » . ولهذا حصر

الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطناً وظاهراً فى قوله عز وجل ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ وقوله عز وجل ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ وقوله تعالى ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون ﴾ وفسرهم بمن اتصف بذلك كله فى قوله عز وجل ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ وغيرها من الآيات . وقد فسر الله

تعالى « الإيمان » بذلك كله فى قوله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ . وروى ابن أبى حاتم أن أبا ذر سأل النبى صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ﴾ إلى آخر الآية . ثم سأله أيضاً ، فتلاها عليه ، ثم سأله فقال « إذا عملت حسنة أحبها قلبك ، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك » رواه المسعودى بنحوه . وفسره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كله فى حديث وفد عبد القيس فى الصحيحين وغيرهما فقال « آمركم بالإيمان بالله وحده » قال « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تؤدوا من المغنم الخمس » ، وقد جعل صلى الله عليه وسلم قيام رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان ، وكذا قيام ليلة القدر ، وكذا أداء الأمانة ، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز . وغير ذلك . وفى الصحيحين « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » ، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت فى القرآن والسنة فى مواضع متفرقة ، منها ما هو من قول القلب وعمله ، ومنها ما هو من قول اللسان ، ومنها ما هو من عمل الجوارح . ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيماناً فى قول الله عز وجل ﴿ وما كان الله ليُضيعَ إيمانكم ﴾ يعنى صلاتكم كما يُعلم من سبب نزول الآية ، وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد : كنا عند عبد الله ابن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به ، فقال عبد الله : إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بيناً لمن رآه ، والذى لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بالغيب ، ثم قرأ ﴿ الم . ذلك الكتاب — إلى قوله — المفلحون ﴾ والآيات والأحاديث فى هذا الباب يطول ذكرها ، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق . وهذا المعنى هو الذى قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى : إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، وإن الأعمال كلها داخلة فى مسمى الإيمان . وحكى الشافعى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم . وأنكر

السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً ، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثاً ممن سمى لنا سعيد بن جبير ، وميمون بن مهران ، وقتادة ، وأيوب السختياني ، والنخعي ، والزهري ، وإبراهيم ، ويحيى بن أبي كثير ، والثوري ، والأوزاعي ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . قال الثوري : هو رأى محدث ، أدركنا الناس على غيره . وقال الأوزاعي : كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . وهذا المعنى هو الذى أراد البخارى إثباته فى كتاب الإيمان وعليه بوّب أبوابه كلها فقال : « باب أمور الإيمان» و«باب الصلاة من الإيمان» و «باب الزكاة من الإيمان» و« باب الجهاد من الإيمان» و «باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان » و « باب الحياء من الإيمان » و « باب قيام ليلة القدر من الإيمان » و « باب قيام رمضان من الإيمان » و « باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان » و « باب اتباع الجنائز من الإيمان » و « باب أداء الخمس من الإيمان » وسائر أبوابه . وكذلك صنع النسائى فى المجتبى ، وبوّب الترمذى على حديث وفد عبد القيس « باب ما جاء فى إضافة الفرائض إلى الإيمان » ، وكلام أئمة الحديث وتراجمهم فى كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور ، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندى ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم ، إذ على هذا القول يكون اليهود أقرّوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك ، وقد نفى الله الإيمان عنهم . وقال جهم بن صفوان وأتباعه : هو المعرفة بالله فقط . وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحد . وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله فى نونيته الكافية الشافية :

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاّقهم هو منتهى الإيمان
والناس فى الإيمان شىء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهمو من عابدى الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبّل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمّة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ ... خلاق أم أصبحت ذا نكران

واسأل شرار الخلق أقبح أمة	لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل	فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق	الربّ العظيم مكوّن الأكوان
فليبشروا ما فيهمو من كافر	هم عند جهم كاملو الإيمان

وقالت المرجئة والكرّامية : الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب ، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين ، وقد قال تعالى فيهم ﴿ ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله — إلى قوله — وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ وغير ذلك من الآيات ، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذبهم الله عز وجل فى دعواهم فى غير موضع من القرآن . وقال آخرون : التصديق بالجنان والإقرار باللسان . وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة فى حديث جبريل ، وهو ظاهر البطلان . وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضاً كانت أو نفلا ، وهذا القول مصادم لتعليم النبى صلى الله عليه وسلم لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان . وكل ما يقول له السائل فى فريضة : هل على غيرها ؟ قال « لا ، إلا أن تطَّوَّع شيئاً » . وذهب الجبائى وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل . وهذا أيضاً يُدخل المنافقين فى الإيمان وقد نفاه الله عنهم . وقال الباقون منهم : العمل والنطق والاعتقاد . والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطاً فى الصحة ، بل جعلوا كثيراً منها شرطاً فى الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها : من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . والمعتزلة جعلوها كلها شرطاً فى الصحة . والله أعلم .

و (**الحالة الثانية**) أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام ، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما فى حديث جبريل هذا وما فى معناه ، وكما فى قول الله عز وجل ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فى غير ما موضع من كتابه ، وكما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعاء الجنازة « اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان » وذلك أن الأعمال بالجوارح ، وإنما يتمكن منها فى الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله . وكحديث أنس عند أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب » . والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله ، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما فى هذا الحديث الجليل ، والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك كله ديناً ، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التى فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان ، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم . قال ابن رجب رحمه الله : وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما وإدخاله الأعمال فى مسمى الإسلام دون الإيمان فانه يتضح بتقرير أصل ، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دالا على باقيها ، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها ، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقى . قال : وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة ، قال أبو بكر الإسماعيلى فى رسالته إلى أهل الجبل : قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام فعل ما فرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر ، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر . وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم . وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابى فى كتابه (معالم السنن) وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده . قلت : كلام الخطابى الذى أشار إليه ابن رجب ذكره النووى فى شرح مسلم قال : قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى الفقيه الأديب الشافعى المحقق رحمه الله تعالى فى كتابه (معالم السنن) : ما أكثر ما يغلط الناس فى هذه المسألة ، فأما الزهرى فقال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل . واحتج بالآية يعنى قوله عز وجل ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ . وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شىء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ .

قال الخطابى : وقد تكلم فى هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين ، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئين . قال الخطابى : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام فى هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً فى بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً فى بعضها ، والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها . وأصل الإيمان التصديق ، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد ، فقد يكون المرء مستسلماً فى الظاهر غير منقاد فى الباطن ، وقد يكون مصدقاً فى الباطن غير منقاد فى الظاهر . قلت : ما رواه الخطابى عن الزهرى أنه قال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، هذا عندى فيه نظر فإنه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى ، والزهرى إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا ، وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف ، فإن صح النقل عنه ففى الكلام تصحيف وإسقاط لعل الصواب فيه هكذا : الإسلام الكلمة والإيمان والعمل ، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان ، وهذا متعين لموافقته قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان إعتقاد وقول وعمل . والزهرى من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعى عنهم رحمهم الله تعالى ، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله ، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لإهمال الاعتقاد فيه الموجود فى قوله تعالى ﴿ ولمَّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ الآية . وأما قوله : وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا ، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل عليه السلام . وإن أراد من أهل البدع فإطلاق التسوية بينهما والاتحاد فى كل حال من الأحوال هو رأى المعتزلة ، وهم المحتجون على ذلك بآيتى الذاريات وهو احتجاج ضعيف جداً ، لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك فى كل حال والله أعلم . وقال الخطابى رحمه الله أيضاً فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة » : في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعى اسم لمعنى ذى شعب

وأجزاء ، له أعلى وأدنى ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضى جميع شعبه وتستوفى جملة أجزائه ، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها ، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها وتستوفيها ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الإيمان » وفيه إثبات التفاضل فى الإيمان وتباين المؤمنين فى درجاته . انتهى . وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعى رحمه الله تعالى فى تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قوله عز وجل ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ الآيات ، قال : فالنبى صلى الله عليه وسلم جعل الإسلام فى هذا الحديث اسما لما ظهر من الأعمال ، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيل لجملة هى كلها شىء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال « ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » انتهى، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : قوله صلى الله عليه وسلم « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : هذا بيان لأصل الإيمان ، وهو التصديق الباطن . وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر ، وحكم الإسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين ، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها ، وبقيامه بها يتم استسلامه ، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله . ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام فى هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات ، ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الإيمان فى حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم ، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشىء مطلقاً يقع على الكل منه ، ولا يستعمل فى الناقص ظاهراً إلا بقيد ، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » ، واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ، ويتناول أصل الطاعات ، فإن ذلك كله استسلام ، قال : فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . قال : وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة

الواردة فى الإيمان والإسلام التى طال ما غلط فيها الخائضون ، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم . انتهى . وقال ابن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى فى الكلام على هذا الحديث : قد تقدم أن الأعمال تدخل فى مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً ، وذكرنا ما يدخل فى ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة ، ويدخل فى مسماها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة فيدخل فى أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى ، ويدخل فى مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله عز وجل ، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه ، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله عز وجل ، وخوف الله سراً وعلانية ، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر ، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره ، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما ، والحب فى الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له ، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له ، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية ، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها ، وإيثار المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأموالهم ، وكثرة الحياء وحسن الخلق ، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين ، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم . ثم ساق من النصوص فى ذلك جملة وافية . قال : والرضا بربوبية الله تعالى تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له ، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له ، والرضا بالإسلام ديناً يتضمن اختياره على سائر الأديان ، والرضا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانشراح ، كما قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ انتهى . ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين — سلفاً وخلفاً — فى هذا الباب يطول ذكرها .

ثم اعلم يا أخى أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذى تكون به النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ما كان على الحقيقة فى كل ما ذكر فى حديث جبريل وما فى معناه من الآيات والأحاديث . وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أجريت عليه أحكام المسلمين فى الدنيا

ووكلت سريرته إلى الله تعالى . قال الله عز وجل ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ وفى الآية الأخرى ﴿ فإخوانكم فى الدين ﴾ وغيرها من الآيات ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة فى قتله الجهنى بعد أن قال لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ » قال قلت : يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح . قال « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ » ، الحديث بطوله فى الصحيحين من طرق بألفاظ ، وفى بعضها : فقال يا رسول الله استغفر لى ، قال « وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة » . ولما أن استأذنه عمر رضى الله عنه فى قتل الرجل الذى انتقد عليه حكمه صلى الله عليه وسلم فى قسمه الذهيبة قال « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى » ، وقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه فيه : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ فقال « لعله أن يكون يصلى » قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » الحديث فى الصحيحين أيضاً من طرق بألفاظ . وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزوجل » ، وفى رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع — بل قد رفعه النسائى كما سيأتى — « من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم ، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم » ، ورواه أبو داود فى الجهاد بلفظ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » ، وفى رواية « أمرت أن أقاتل المشركين » بمعناه . ورواه النسائى فى تحريم الدم ولفظه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا شهدوا أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم » . وفيه قول ميمون بن سياه لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ما يحرم دم المسلم وماله ؟ فقال : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين .

ورفعه فى كتاب الإيمان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم » ورواه الترمذى أيضاً . وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل » . وفى موطأ مالك ومسند أحمد بسند جيد : عن عبيد الله بن عدى بن الخيار « أن رجلا من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مجلس فسارَّه يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ فقال الأنصارى : بلى يا رسول الله ، ولا شهادة له . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : أليس يصلى ؟ قال : بلى يا رسول الله ولاصلاة له . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك الذين نهانى الله عن قتلهم » . وفى الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية . وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن بالإعراض عن المنافقين فى غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم ، ولم يقتل النبى صلى الله عليه وسلم أحداً منهم ، وأجرى عليهم فى الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة ، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم ، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم . والله أعلم .

(**والإحسان**) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين فى هذا الحديث . والإحسان لغة إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه . وفى الشريعة هو ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تك تراه فإنه يراك » وسيأتى إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره فى آخر هذا الفصل . والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة ، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة ، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن ، ومجموع ذلك هو الدين ، والكل من هذه المراتب (**مبنى على أركان**) لا قوام له إلا بقيامها ، وسنتكلم على كل منها إجمالا وتفصيلا ، ونحيل ما قدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله .

(فقد أتى : الإسلام « مبنى على خمس » فحقق وادر ما قد نُقِلا)
(أولهــا الركن الأساس الأعظم وهو الصراط المستقيم الأقوم)
(ركن الشهادتين فاثبت واعتصم بالعروة الوثقى التى لا تنفصم)
(وثانيــاً إقــامة الصــلاة وثالثاً تأديــة الزكــاة)
(والرابع الصيام فاسمع واتبع والخامس الحج على من يستطع)

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام ، وهى على قسمين : قولية ، وعملية . فالقولية الشهادتان ، والعملية الباقى . وهى ثلاثة أقسام : بدنية وهى الصلاة والصوم ، ومالية وهى الزكاة ، وبدنية مالية وهو الحج . وقول القلب وعمله شرط فى ذلك كله كما تقدم . والنصوص فى هذه الأمور الخمسة كثيرة جداً ، وهى على نوعين : قسم شامل لجميعها ، وقسم يخص كل خصلة منها . فلنبدأ بالقسم الأول ما تيسر منه على حدته ، والقسم الثانى مع حل ألفاظ المتن إن شاء الله تعالى ، فمن ذلك حديث جبريل السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، ومنها حديث وفد عبد القيس وقد تقدم أيضاً ، ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين وغيرهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » فقال له رجل : والجهاد فى سبيل الله ؟ فقال ابن عمر : الجهاد حسن . هكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنها حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه عند أحمد وغيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وإسناده صحيح . ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء ، فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك . قال صلى الله عليه وسلم : صدق . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله . قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات

فى يومنا وليلتنا . قال صلى الله عليه وسلم : صدق . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا . قال صلى الله عليه وسلم : نعم صدق . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال صلى الله عليه وسلم : صدق . قال ثم ولّى فقال : والذى بعثك بالحق نبياً لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لئن صدق ليدخلن الجنة » رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد . وفى رواية قال « آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى » قال « وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر » . وفى الصحيحين وغيرهما عن طلحة ابن عبيد الله « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال : يا رسول الله أخبرنى ماذا فرض الله علىَّ من الصلاة ؟ فقال : الصلوات الخمس ، إلا أن تطوع شيئاً . فقال : أخبرنى ما فرض الله علىَّ من الصيام . فقال : شهر رمضان ، إلا أن تطوع شيئاً . فقال أخبرنى بما فرض الله علىَّ من الزكاة . قال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام . قال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علىَّ شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق . أو دخل الجنة إن صدق » هذا لفظ البخارى فى كتاب الصوم . وله عن أبى أيوب رضى الله عنه « إن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة . قال ماله ماله » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أرب ماله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم » ورواه مسلم وغيره . ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان . قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا . فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » . وفى حديث ابن المنتفق رضى الله عنه فى وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قلت ثنتان أسألك عنهما : ما ينجينى من النار وما يدخلنى الجنة ؟ قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السما ثم نكس رأسه ثم أقبل علىَّ بوجهه قال : لئن كنت أوجزت فى المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عنى إذا ، اعبد الله لا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة المكتوبة وأدِّ الزكاة المفروضة وصم رمضان ، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم وما تكره أن يأتى إليك الناس فذر الناس منه » رواه أحمد . وفى رواية

« لئن كنت قصرت فى الخطبة لقد أبلغت فى المسألة . اتق الله لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان » ولعل ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم فى رواية أبى أيوب المتقدمة فى الصحيح فإن فى مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بزمامها ، وفى آخرها قول النبى صلى الله عليه وسلم دع الناقة بعد أن علمه . وابن المنتفق قال : فأخذت بخطام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال زمامها ، وفى آخره قال : صلى الله عليه وسلم « خل سبيل الراحلة » . وفى الرواية الأخرى « خل طريق الركاب » فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما فى حديث أبى أيوب ورجاله رجال الصحيح ، وهو السائل ، أعلم بجواب النبى صلى الله عليه وسلم وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره . والله أعلم .

وعن ربعى بن حراش عن رجل من بنى عامر رضى الله عنه أنه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألج ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه « اخرجى إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولى له فليقل السلام عليكم ، أأدخل » قال فسمعته يقول ذلك فقلت : السلام عليكم أأدخل ؟ قال فأذن لى ، أو قال فدخلت فقلت : بم أتيتنا به ، قال : لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له . قال شعبة : وأحسبه قال وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهراً ، ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم . قال فقال : فهل بقى من العلم شىء لا تعلمته ؟ قال قد علمنى الله عز وجل خيراً وإن من العلم مالا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ رواه أحمد ورجاله ثقات أئمة وروى أبو داود طرفاً منه .

وعن السلوسى بن الخصاصية رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فاشترط علىّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان وأن أجاهد فى سبيل الله . فقلت : يا رسول الله أما اثنتان فو الله ما أطيقهما : الجهاد والصدقة ، فإنهم زعموا أن من ولّى الدّبرَ فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت

تلك جشعت نفسي وكرهت الموت ، والصدقة فوالله مالى إلا غنيمة وعشر ذَوْدهن رِسْل أهلي وحمولتهم. قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حرك يده ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة ، فلم تدخل الجنة إذا ؟ قال قلت : يا رسول الله أنا أبايعك ، قال فبايعت عليهن كلهن » .

وعن زياد بن نعيم الحضرمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع فرضهن الله فى الإسلام ، فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئاً حتى يأتى بهن جميعاً : الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت » . رواه أحمد مرسلا فى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كأن هذا الراكب إياكم يريد » قال فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « من أين أقبلت ؟ » قال : من أهلي وولدى وعشيرتى ، قال « فأين تريد ؟ » قال : أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « فقد أصبته » قال : يا رسول الله علمنى ما الإيمان ؟ قال « تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » قال : قد أقررت . قال ثم إن بعيره دخلت يده فى شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علىَّ بالرجل » فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعداه فقالا : يا رسول الله قبض الرجل . قال فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما رأيتما إعراضى عن الرجل ، فإنى رأيت ملكين يدسان فى فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعاً » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم : دونكم أخاكم » قال : فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث . رواه أحمد ، وفى إسناده أبو جناب مختلف فيه ، والمتن صحيح . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية .

الشهادتان

(أولهـا) أو أول هذه الأركان **(الركن الأساس الأعظم)** . الركن فى اللغة الجانب الأقوى وهو بحسب ما يطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك ، فمن الأركان ما لا يتم البناء إلا به ، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به . وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس » فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم ، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا **(الأساس)** الذى لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلا به ولا يحصل بدونه . **(الأعظم)** هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها ، فإنها كلها تابعة له ، ولا يدخل العبد فى شىء من الشريعة إلا به . **(وهو الصراط)** الطريق الواضح **(المستقيم)** الذى لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جلى نير . **(الأقوم)** أى الأعدل ، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم ، ومن انحرف عنه هوى فى قعر الجحيم . فإن من لم يثبت عليه فى الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة ، وذلك الركن المشار إليه هو **(ركن الشهادتين)** هذا من إضافة الشىء إلى نفسه أى الركن الذى هو الشهادتان ، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يدخل العبد فى الإسلام إلا بهما ، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه ، ولهذا لم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شىء قبلهما ، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد شيئاً دونهما ، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له ، وبالثانية يعرف كيف يعبده وبأى طريق يصل إليه ، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود ، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد ؟ فى الشهادة الأولى توحيد المعبود الذى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له ، وفى الشهادة الثانية توحيد الطريق الذى لا يوصل إلى الله تعالى إلا منه ، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيره ورغب عنه ، فإن عبادة الله تعالى التى خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هى أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولا وعملا ، ومعرفة محابّه تعالى ومرضاته لا تحصل إلا من طريق الشرع الذى أرسل به رسوله وأنزل به كتابه ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ . وقد قدمنا فى النوع الثانى من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما ، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة ما يغنى عن الإعادة هنا .

(فالبث) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلى ، ولا تستوحش من قلة السالكين ، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين ، فإن الله عز وجل ينادى يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك . فيقول : أخرج بعث النار . فيقول : من كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فالناجى حينئذ واحد من ألف فاغتنم إن تكون من تلك الآحاد ، واحذر أن تغتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد . **(واعتصم)** أى استمسك **(بالعروة)** أى بالعقد الأوثق فى الدين ، والسبب الموصل إلى رب العالمين **(الوثقى)** تأنيث الأوثق **(التى لا تنفصم)** أى لا تنقطع ، وقد تقدم فى الكلام على لا إله إلا الله أنها هى العروة الوثقى ، وذلك واضح فى قوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ ، وتقدم أن شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به هو شرط فى الإيمان بالله ، وما كان من شرط فى الشهادة الأولى فهو شرط فى الثانية .

(وثانياً) من الأركان الخمسة **(إقامة الصلاة)** بجميع حقوقها ولوازمها . **(وثالثاً تأدية الزكاة)** إعطاؤها على الوجه المشروع ، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمها بعده على غيرهما فى غير موضع من القرآن أمراً وخبراً قال الله تعالى ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمه ﴾ وقال تعالى ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ ، وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال له « إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ؛ فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ، وفى رواية « فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل .

فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم » الحديث . ولنذكر طرفاً من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها ، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة ، والله المستعان .

اعلم هدانا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والإخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه له والصمود إليه والاطراح بين يديه . وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر . وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك . هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل — منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية ، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس — وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع فى غيرها من العبادات . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة »، ولاشتمالها على معانى الإيمان سماها الله إيماناً فى قوله عز وجل ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ . وهى ثانية أركان الإسلام فى الفرضية فإنها فرضت فى ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدعُ الرسول صلى الله عليه وسلم قبلها إلى شىء غير التوحيد الذى هو الركن الأول ، ففرضت خمسين ، ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك فى الصحيحين وغيرهما . وهى ثانية فى الذكر ، فما ذكرت شرائع الإسلام فى آية من الآيات أو حديث من السنة إلا وبدىء بها بعد التوحيد قبل غيرها كما فى الآيات السابقة وكما فى حديث جبريل وحديث « بنى الإسلام » وحديث وفد عبد القيس وحديث معاذ بن جبل وحديث « أمرت أن أقاتل الناس » وغيرها مما لا يحصى . وهى ثانية فى آيات الأمر بالجهاد وفى آيات وعيد الكفار كما فى قوله تعالى ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ الآية ، وقوله ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ، ويل يومئذ للمكذبين . وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ، ويل يومئذ للمكذبين ﴾ . وهى ثانية فى مدح المؤمنين كما فى قوله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ وفى ذم الكفار بتركها كما فى قوله عز وجل ﴿ فما لهم لا يؤمنون ، وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ ، وقوله ﴿ فلا صدَّق ولا صلَّى ،

ولكن كذّب وتولّى ﴾ وكذا فى ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما فى قوله تعالى ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ ، وهى ثانية فى حساب العبد يوم القيامة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته ، فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله ، وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله » . ومعنى قوله « أول ما يسأل عنه العبد » أى بعد التوحيد . وهى ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما فى قوله تعالى ﴿ فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ﴾ الآيات . والنصوص فى شأنها كثيرة لا تحصى وهى متنوعة ، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ ، وقوله ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ وقوله ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ وما فى معناها . ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » . ومنها فى ثواب أهلها كقوله عز وجل ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ . ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله صلى الله عليه وسلم فى عصاة الموحدين « فيعرفونهم بآثار السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود » . ومنها ما فيه عتاب تاركها كقوله عز وجل ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ وقوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . إلا من تاب ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ . ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفى الإيمان عنه وإلحاقه بإبليس كقوله تعالى ﴿ فسوف يلقون غياً إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ فإنه لو كان مضيع الصلاة مؤمناً لم يشترط فى توبته الإيمان ، وقوله ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين ، وقال تعالى ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد

ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ وقوله تعالى ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول : يا ويله — وفى رواية : يا ويلى — أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار » . وفيه عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ، ورواه الترمذى وقال حسن صحيح ، وله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » ، قال وفى الباب عن أنس رضى الله عنه وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب . وروى الإمام أحمد والنسائى عن محجن بن الأدرع الأسلمى « إنه كان فى مجلس مع النبى صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة فقام النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع ومحجن فى مجلسه ، فقال له : ما منعك أن تصلى ، ألست برجل مسلم ؟ قال : بلى ، ولكنى صليت فى أهلى . فقال له : إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت » فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة . ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصليت . وفى المسند والأربع السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال له « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبىّ بن خلف » ، ورجال أحمد ثقات . وتقدم الحديث الذى فى البخارى فى صفة المسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا » الحديث ، وقال الترمذى رحمه الله : حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريرى عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . ومنها ما فيه التصريح بوجوب قتله ، كقوله عز وجل ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » الحديث ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث . وأما الآثار فى شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر ، وقد

أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال لا إله إلا الله ، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة ، ولدخوله فى التارك لدينه المفارق للجماعة ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم «من بدل دينه فاقتلوه» فإنه بذلك يكون مرتداً مبدلا لدينه . وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : قد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعى رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزانى المحصن ولكنه يقتل بالسيف . وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهى إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى رضوان الله عليه ، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى . قال رحمه الله : واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» وبالقياس على كلمة التوحيد . واحتج من قال لا يقتل بحديث «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث» وليس فيه الصلاة . واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، وبقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا يلقى الله عبد بهما غير شاك فيحجب عن الجنة ، وحرم الله على النار من قال لا إله إلا الله» وغير ذلك ، واحتجوا على قتله بقوله تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم» ، وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» على أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهى القتل ، أو أنه محمول على المستحل ، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر ، أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم انتهى كلامه ، وقد قدمنا فى شروط لا إله إلا الله وفى بيان مراتب الدين وفى بيان أنواع الكفر ما فيه غنية ، وذكرنا هنا ما تيسر من النصوص فى شأنها . وقد بسط الحافظ ابن القيم فى كتاب الصلاة الكلام على هذه المسألة بسطاً حسناً فليراجع .

وأما الزكاة فقد ذكرها فى نصوص الصلاة وغيرها ، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله عز وجل ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ وقوله فى صفات عباده المؤمنين ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ وقوله تعالى فى ذم الكفار ووعيدهم ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ وإن كانت هذه الآية فى زكاة النفوس فهى عامة لزكاة الأموال أيضاً وقد فسرت بها ، وقوله تعالى فى وعيد مانعيها مطلقاً ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ يوضح ذلك الحديث الذى فيه « ما أديت زكاته فليس بكنز » ، وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتّى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مرّ عليه أولاها أعيد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتّى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتّى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » الحديث بطوله . وفيه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن » الحديث . وفيه « ولا من صاحب مال لا يؤدّى زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذى كنت تبخل به . فإذا رأى أنه لابد منه أدخل يده فى فيه فجعل

يقضمها كما يقضم الفحل » ، وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار ، فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد بلغت : ولا يأتى أحدكم ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد بلغت (١) » ، وفيه عنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شدقيه — ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ الآية . وفيه عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فقال أعرابى : أخبرنى عن قول الله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ﴾ قال ابن عمر : من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له ، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال . وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخارى رحمه الله تعالى « باب البيعة على إيتاء الزكاة ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ حدثنا ابن نمير قال حدثنى أبى قال حدثنا إسماعيل عن قيس قال : قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » ، والنصوص فيها كثيرة وفى ما تقدم كفاية . وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكاراً لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة ، وإن كان مقراً بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » فقال : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ولو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضى الله عنه : فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق — وفى رواية — فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر

---

(١) وهذا وإن كان وارداً فى الغلول وعقوبته فهو فى الزكاة كذلك إذ الجزاء من جنس العمل ، والله تعالى أعلم . اه مؤلفه .

للقتال فعلمت أنه الحق . وهذا الذى استنبطه أبو بكر رضى الله عنه مصرح به فى منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ، وغيره من الأحاديث ؛ وقد جهز النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لغزو بنى المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن ما بلغه عنهم حقا ، فروى الإمام أحمد قال : حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لى جمعت زكاته . وترسل إلىّ يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته ، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بسروات قومه فقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لى وقتاً يرسل إلىّ رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق — أى خاف — فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك . قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضى الله عنه : لا والذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى . فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : منعت الزكاة وأردت قتل

رسولى ، قال رضى الله عنه : لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى ولا أقبلت إلا حين احتبس علىّ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . قال فنزلت الحجرات ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا — إلى قوله — حكيم ﴾ ، ورواه ابن أبى حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به . ورواه الطبرانى من حديث محمد بن سابق به . وقال ابن جرير رحمه الله تعالى حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة رضى الله عنها قالت : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى صدقات بنى المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بنى المصطلق قد منعونى صدقاتهم . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قالت : فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله ، بعثت إلينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرّت به أعيننا ، ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم . فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن بصلاة العصر ، قالت ونزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات ، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضباً شديداً ، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا : يا رسول الله إنا حُدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم استغشهم وهمّ بهم ، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم فى الكتاب فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ إلى آخر الآية . وقال مجاهد وقتادة : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع

فقال : إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك — زاد قتادة : وإنهم قد ارتدّوا عن الإسلام — فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذى يعجبه فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية اهـ من تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى . وذكر البغوى رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّ أن يغزوهم ، فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا له فى الرجوع ، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية فى عسكر وأمره أن يخفى عليهم قدوم قومه وقال له : انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم ، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل فى الكفار . ففعل ذلك خالد . ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتى المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير ، فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ الآية . وأما إن كان الممتنع عن أداء الزكاة فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً ، واختلفوا من ذلك فى مسائل : إحداها هل يكفر أم لا ؟ فقال عبد الله بن شقيق : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر إلا الصلاة . وقال أبو أيوب السختيانى : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه ، وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد وإسحاق وحكى إسحاق عليها إجماع أهل العلم ، وقال محمد بن نصر المروزى : هو قول جمهور أهل الحديث ، وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمس عمداً أنه كافر . وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية ، وخرج الدارقطنى وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال « قيل : يا رسول الله الحج فى كل عام ؟ قال : لو قلت نعم لوجب عليكم ولو وجب عليكم ما

أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم » ، وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم ، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج . وقال ابن عيينة : المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم ، وليس سواء ، لأن ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية ، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر . وبيان ذلك فى أمر إبليس ، وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبى صلى الله عليه وسلم بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه . المسألة الثانية هل يقتل أم لا ؟ الأول هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى ، ويستدل له بحديث ابن عمر رضى الله عنهما « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » الحديث . والثانى لا يقتل ، وهو قول مالك والشافعى ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى . وروى اللالكائى من طريق مؤمل قال : حدثنا حماد ابن زيد عن عمر بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلا رفعه قال : عُرَى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، وصوم رمضان . من ترك منهن واحدة فهو بها كافر ويحل دمه ، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل بذلك دمه ، وتجده كثير المال ولا يزكى فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل دمه . ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعاً مختصراً ، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمر بن مالك بهذا الإسناد مرفوعاً ، وقال : من ترك منهن واحدة — يعنى الثلاث الأول — فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله . ولم يذكر ما بعده . المسألة الثالثة لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شىء من ماله مع الزكاة ؟ وقد روى فى خصوص المسألة حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى كل سائمة إبل فى أربعين بنت لبون ، لا تفرق إبل عن حسابها ، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرها ، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ، لا يحل لآل محمد منها شىء » رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه الحاكم ، وعلق الشافعى القول به على ثبوته فإنه قال : لا يثبته أهل العلم بالحديث ، ولو ثبت لقلنا به .

(والرابع الصيام فاسمع واتبع   والخامس الحجُّ على من يستطع)

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام ، وهو فى اللغة الإمساك ، وفى الشرع إمساك مخصوص فى زمن مخصوص بشرائط مخصوصة . وكان فرض صوم شهر

رمضان فى السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر ، قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ إلى آخر الآيات ، وقد تقدمت الأحاديث فيه ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته ، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه ، وقوله **(فاسمع واتبع)** مأخوذ من قول الله عز وجل ﴿ فبشر عبادىَ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ .

الركن الخامس الحج ، وهو **(على من يستطيع)** أى من استطاع إليه سبيلا ، قال الله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ وقد ذكر الله تعالى تفصيله فى سورة البقرة من قوله تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله — إلى قوله — إليه تحشرون ﴾ ، واشتراط الاستطاعه فيه مصرح به فى الآية وفى حديث جبريل وفى حديث معاذ وغيرها ، وفسره النبى صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة ، ولا خلاف فى كفر من جحد فرضيته . وتقدم الخلاف فى كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا الحج — يعنى الفريضة — فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له » . ورواه أبو داود بلفظ « من أراد الحج فليتعجل » . وروى الإسماعيلى بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً . وروى سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين . وروى البغوى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً » . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج

فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت . حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال « ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » . ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم . وروى أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس ، إن الله تعالى كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : يا رسول الله أفى كل عام ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم يعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فهو تطوّع » .

ذكر أمور تدخل فى مسمى الإيمان والإسلام

من الأوامر والمناهى والأخبـــار

قال الله عز وجل ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتَون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾ وقال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سُجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومُقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يُضاعَف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً .

إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً . والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صُمّاً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويُلَقَّون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حَسُنت مستقراً ومقاماً ﴾ وقال تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً . وإذا مسه الخير منوعاً . إلا المصلّين الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . والذين يصدّقون بيوم الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك فى جنة مكرمون ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم — إلى قوله — الوارثون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ، ولا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ وقال تعالى ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين

والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق — إلى قوله — ولله عاقبة الأمور ﴾ وقال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ إلى آخر السورة . وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ إلى آخر السورة ، وقال تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً . ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين ، فإنه كان للأوابين غفوراً . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذِّر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ، وإما تعرضنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً . ولا تجعل يدك

مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطْئاً كبيراً ، ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سَيِّئُه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتُلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إنما حرَّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال تعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ الآيتين ، وقال تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ .

وآيات القرآن فى هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى ، بل القرآن كله فى تقرير الدين من فاتحته إلى خاتمته : دعوة وبشارة ونذارة ، وأمراً ونهياً وخبراً ، كله لا يخرج عن شأن الدين : إما دعوة إليه ، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة ، أو نذارة لمن أبى عنه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، أو أمراً بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها ، أو نهياً عن نواقضه جميعه أو نواقض شىء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو فى شىء من شرائعه ، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدق به وحفظه وتأييده فى الدنيا ، أو خبراً عما أعد الله لهم فى الآخرة من الفوز والنعيم ، والنجاة

من عذاب الجحيم ، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه فى الدنيا وما أحلّه الله بهم من غضبه عاجلا من الخسف والمسخ والقذف وغير ذلك ، وما أعده لهم فى الآخرة من العذاب والعقاب ، وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك .

وأما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة : فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » . وقوله صلى الله عليه وسلم « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم « من يبايعنى على هذه الثلاث الآيات ﴿ قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ الآيات » . وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن حيدة لما قال له « ما الذى بعثك الله به ؟ قال : الإسلام . قلت : وما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله تعالى ، وأن توجه وجهك لله ، وأن تصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة » . وفى رواية قال « وما آية الإسلام ؟ قال : أن تقول أسلمت وجهى لله وتخليت ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وكل المسلم على المسلم حرام » . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » . وقوله صلى الله عليه وسلم فى جواب أى المسلمين أفضل ؟ قال « من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا — وأشار إلى صدره ثلاثاً — بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » . وقوله صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . وقوله صلى الله عليه وسلم فى جواب من قال أى الإسلام خير ؟ قال « أن تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » . وقوله صلى الله عليه وسلم « من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . وقوله صلى الله عليه

وسلم في جواب من سأله : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال « قل آمنت بالله ثم استقم » . وقوله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولا » . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » . وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » ، وفى رواية « من أهله وماله » ، وفى حديث أبى رزين قال : قلت يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وإن تحترق فى النار أحب إليك من أن تشرك بالله شيئاً . وأن تحب غير ذى نسب لا تحبه إلا الله . فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان فى قلبك كما دخل حب الماء للظمآن فى اليوم القائظ » قلت : يا رسول الله كيف لى بأن أعلم أنى مؤمن ؟ قال « ما من أمتى — أو قال هذه الأمة — عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله مجازيه بها خيراً ، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا الله إلا وهو مؤمن » . وقوله صلى الله عليه وسلم « من سرّته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن » . وقوله صلى الله عليه وسلم « صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو أحداً من الناس صمت أو تصدقت ، وإذا أحسنت استبشرت » . وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، ثم الذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » ، وفى حديث عمرو بن عبسة « قلت : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : طيب الكلام ، وإطعام الطعام . فقلت : ما الإيمان ؟ قال : الصبر والسماحة . قلت : أى الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قلت : أى الإيمان أفضل ؟ قال : خلق حسن » . وقوله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان : من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام » الحديث ، وفى آخره « فقال رجل : فما تزكية المرء نفسه يا رسول الله ؟ قال : أن يعلم أن الله معه حيثما كان » . وقوله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ، وفى رواية « المؤمنون كرجل واحد — وفى أخرى — كرجل واحد ، إذا اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » . وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً — وشبك بين أصابعه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن فى أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن ، أخو المؤمن ، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قالوا : من ذلك يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، فقد استكمل إيمانه » ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان فقال « أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك فى ذكر الله » فقال : وماذا يا رسول الله ؟ قال « أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك » ، وفى رواية « وأن تقول خيراً أو تصمت » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله » ، وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل » ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ثم قال « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » ، ثم قال له « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فأخذ بلسان نفسه وقال « كفَّ عليك هذا » .

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء فى إحصائها من (فتح البارى) .

(فتلك خمسة وللإيمان ستة أركان بلا نكران)
(إيماننا بالله ذى الجلال وما له من صفة الكمال)
(وبالملائك الكرام البررة وكتبه المنزلة المطهرة)
(ورسله الهداة للأنام من غير تفريق ولا إيهام)

(**فتلك**) الأركان المتقدمة التى هى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا (**خمسة**) فسر النبى صلى الله عليه وسلم بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها ، فسوف تُسأل عنها وتحاسَب عليها ، فأعدد للسؤال جواباً ، وإياك أن تخل بشىء منها فتكون من الظالمين . (**وللإيمان ستة أركان**) فسره بها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل وغيره (**بلا نكران**) للنقل ولا تكذيب للخبر ولا شك فى الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد . الأول منها (**إيماننا بالله**) بإلهيته وربوبيته لا شريك له فى الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه ، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا يشرك فى حكمه أحداً ، ولا ضد له ولا ند ولم يكن له كفواً أحد (**ذى الجلال**) ذى العظمة والكبرياء الذى هو أهل أن يجل فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو ﴿ قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شىء — قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض — أفغير الله ابتغى حكماً — أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون — ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (**و**) الإيمان بـ (**ماله**) تعالى (**من صفة الكمال**) مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وأن كل ما سمى الله تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ وقد تقدم ما يسره الله تعالى من تقرير الكلام فى توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له فليراجع وبالله التوفيق . (**و**) الثانى الإيمان (**بالملائكة**) الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (**الكرام**) خَلقاً وخُلقاً

والكرام على الله تقالى (البررة) الطاهرين ذاتاً وصفة وأفعالا المطيعين لله عز وجل، وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ، ليسوا بناتاً لله عز وجل ولا أولاداً ، ولا شركاء معه ولا أنداداً تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً ، قال الله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون وَلَدَ الله وإنهم لكاذبون ، أصطفى البنات على البنين ، ما لكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون —إلى قوله — وما منا إلا له مقام معلوم . وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون ﴾ وقال تعالى ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين — إلى قوله — وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستُكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾ وقال تعالى ﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ ، وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ وقال تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . ويقولون حِجْراً محجوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ ، والآيات فى ذكر الملائكة فى القرآن كثيرة .

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام :

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهو الروح

الأمين جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى ﴿ من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله ﴾ ، وقال تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قل نزّله روح القدُس من ربك بالحق ﴾ ، وقال تعالى ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ، علّمه شديد القوى ، ذو مِرّة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ وهذا فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم له فى الأبطح حين تجلى له على صورته التى خلق عليها ، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ، ثم رآه ليلة المعراج أيضاً فى السماء كما قال تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ ولم يره صلى الله عليه وسلم فى صورته إلا هاتين المرتين ، وبقية الأوقات فى صورة رجل ، وغالباً فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه . وقال تعالى فيه ﴿ إنه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثمّ أمين . وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق المبين﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ حتى إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ تقدم الحديث فى معنى الآية . وفيه : قال النبى صلى الله عليه وسلم « فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل بأهل السموات كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل عليه السلام : قال الحق وهو العلى الكبير » فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . ثم ينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل وهو فى الصحيحين وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث فى بدء الوحى من الفصل الآتى .

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل ، وهو ميكائيل عليه السلام ، وهو ذو مكانة عليه ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، ويصرّفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل وقد جاء فى بعض الآثار : ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض ، وفى حديث ابن عباس عند الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل « على أى شىء ميكائيل ؟ قال : على النبات والقطر » ، ولأحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام « مالى لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ فقال عليه السلام : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار » عياذاً بالله منها .

ومنهم الموكل بالصور ، وهو إسرافيل عليه السلام ، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل : الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بسطه فى موضعه ، ولأحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له . قالوا : كيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » ، وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه من صلاة الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » .

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه ، وقد جاء فى بعض الآثار تسميته عزرائيل ، قال الله تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وُكِّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرِّطون ، ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ ، وقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم — إلى قوله تعالى — الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وغيرها من الآيات . وقد جاء فى الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله ، إن كان محسناً ففى أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة ، وإن كان مسيئاً ففى أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد ، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها فى يده بل يضعونها فى أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنُزُل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم ﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله .

ومنهم الموكل بحفظ العبد فى حله وارتحاله وفى نومه ويقظته وفى كل حالاته ، وهم المعقبات ، قال الله تعالى ﴿ سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية الأولى ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ : والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه . وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شىء يأتيه إلا قال له الملك وراءك ، إلا شىء أذن الله فيه فيصيبه ، وقال تعالى ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ قال ابن كثير : أى بدل الرحمن ، يمتنُّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التى لا تنام . اهـ

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر ، وهم الكرام الكاتبون ، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل ﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾ وقال تعالى فيهم ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ وقال تعالى ﴿ إذ يتلقَّى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ فالذى عن اليمين يكتب الحسنات ، والذى عن الشمال يكتب السيئات . وقال تعالى ﴿ وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ﴾ ، عن علقمة عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » . فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث ، رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البغوى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتب الحسنات على يمين الرجل ، وكاتب السيئات على يسار الرجل ، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً ، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال :

دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر » ، وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » وفى رواية « ما لم تعمل أو تكلم به » ، وفيه عنه رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : إذا همّ عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة . وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشراً » وفى رواية « قال الله عز وجل : إذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف . وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة » . وفى أخرى « قال الله عز وجل : إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها . وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة — وهو تعالى أبصر به — فقال ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جرّاى » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل » ، وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزوجل قال « إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد فى رواية — أو محاها الله . ولا يهلك على الله إلا هالك » ، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول الله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ، ثم يقول : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك اهـ . ويناسب ذكر

المعقبات والحفظة ما روى البخارى رحمه الله تعالى فى (باب قول الله عز وجل تعرج الملائكة والروح إليه) قال : حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » . ورواه مسلم أيضاً وفيهما عن أبى موسى رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفظ القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل » الحديث تقدم فى العلو . والأحاديث فى ذكر الحفظة كثيرة .

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر النصوص فى ذلك قريباً ، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق .

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام ، قال الله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ وقال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم ، وفى يوم القيامة . كما قال تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون . نُزُلا من غفور رحيم ﴾ ، وقال تعالى فيهم ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ .

ومنهم خزنة جهنم عياذاً بالله منها ، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر ، ومقدمهم مالك عليهم السلام ، قال الله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً . حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات .

قالوا : بلى . قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ وقال تعالى ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لوّاحة للبشر ، عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ وقال تعالى ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ماكثون ﴾ ، وفى صحيح مسلم « يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، كل زمام فى يد سبعين ألف ملك يجرونها » .

ومنهم الموكلون بالنطفة فى الرحم كما فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » الحديث . وفى بابه من الأحاديث كثير ، وفيها « أن الملك يقول يارب مخلقة أو غير مخلقة ؟ واحد أو توأم ؟ ذكر أم أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ ما الرزق وما الأجل ؟ فيقضى الله تعالى ما يشاء . فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يغير ولا يبدل » .

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى ﴿ يومئذ ﴾ أن حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية ، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق أمية بن الصلت فى شىء من شعره . فقال :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق » وهذا إسناده جيد . لكن قد ورد ما يدل على أنهم فى الدنيا أيضاً ثمانية ، وهو حديث العنان الذى رواه أبو داود وغيره وقد تقدم فى العلو وفيه « ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » . وله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج : ثمانية صفوف من الملائكة . وقال الضحاك عن ابن عباس : الكروبيون ثمانية أجزاء ، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة . وفى حديث الصور الطويل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأرجع فأقف مع الناس ، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسا شديداً فهالنا ، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافّهم وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ، وهو آت . ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا ، وهو آت . ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ، حتى ينزل الجبار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة ، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم ، لهم زجل فى تسبيحهم ، يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان الحى الذى لا يموت ، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت . سبوح قدوس قدوس قدوس . سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح . سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت » الحديث رواه ابن جرير والطبرانى وغيرهما .

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم : ما يقول عبادى ؟ قالوا : يسبحونك ويكبرونك

ويحمدونك ويمجدونك » الحديث تقدم فى العلو ، وقال صلى الله عليه وسلم « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فى من عنده » الحديث بطوله فى الصحيح عن أبى هريرة .

ومنهم الموكل بالجبال ، وقد ثبت ذكره فى حديث خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى عبد ياليل وعوده منهم ، وفيه قول جبريل له صلى الله عليه وسلم « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك » . وفيه قول ملك الجبال « إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » فقال صلى الله عليه وسلم « بل استأن بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » .

ومنهم زوار البيت المعمور الذى أقسم الله تعالى به فى كتابه ، ثبت ذلك فى حديث المعراج ، وهو بيت فى السماء السابعة بحيال الكعبة فى الأرض لو سقط لوقع عليها ، حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم » ، يعنى لا تحول نوبتهم لكثرتهم . والحديث بألفاظه فى الصحيحين :

ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون ، وقيام لا يركعون ، وركع وسجد لا يرفعون ومنهم غير ذلك ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هى إلا ذكرى للبشر ﴾ ، روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون . أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر : والله لو ددت أنى شجرة تعضد . وقال الترمذى غريب . ويروى عن أبى ذر موقوفاً . قلت : وله حكم الرفع ، ومن أين لأبى ذر رضى الله عنه مثل هذا إلا عن توقيف والله أعلم . وعن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شىء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط ، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو

قائم . وذلك قول الملائكة : وما منا إلا له مقام معلوم ، وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون » ، وعن العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : وما تسمع يا رسول الله ؟ قال : أطت السماء وحق لها أن تئط ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد . وقالت الملائكة : وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » ، وعن رجل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي ، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وإسناده لا بأس به ، وهو والذى قبله أخرجها محمد بن نصر المروزى . وفى الصحيح عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها ؟ فقلنا : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف » . وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

(و) الثالث الإيمان (**بكتبه المنزلة**) على رسله (**المطهره**) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها ، قال الله تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ﴾ إلى آخر الآية . وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ وقال تعالى ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ﴾ وقال تعالى ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ لقد

أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين ، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذى أراد ، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة ، ومنها ما يُسمعه الرسول الملكى ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشرى كما قال تعالى ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، إنه علىٌّ حكيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وكلّم الله موسى تكليماً ﴾ ، ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ ، ﴿ يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾ ، ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ ، ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ، ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ ، ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾ منها ما خطه بيده عز وجل كما قال تعالى ﴿ وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ .

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون — إلى قوله — ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، ولْيحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ، وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال تعالى فى الإنجيل ﴿ مصدقاً لما بين يديه من التوراة ﴾ وقال فى القرآن ﴿ مصدقاً لما بين يديه

من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ وأن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ . وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل قال الله تعالى فى عيسى عليه السلام ﴿ ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم — إلى قوله — ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن كما قال تعالى ﴿ عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الآية . وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ وقال تعالى ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ الآيات ، وكما قال تعالى ﴿ الآن خفّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴾ بعد قوله ﴿ يا أيها النبى حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ﴾ والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات فى مواضعها من كتب التفسير وغيرها . وأنه لا يأتى كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده ، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه ، وأن من كذّب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه ، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به ، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل قال تعالى ﴿ المص ، كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾ .

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل ، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود فى قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر صحف إبراهيم وموسى ، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملا فى قوله ﴿ والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ﴾ وقال تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا — إلى قوله — وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ﴾ وقال ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل : آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول . وقال تعالى فى القرآن والسنة ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ فلابد فى الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه ولى التوفيق .

(و) الرابع الإيمان (**برسله**) وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط وليس برسول ، فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول . (**الهداة**) جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ وقال تعالى ﴿ إنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله ﴾ . وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرف الأمور ليس لملك مقرب ولا لنبى مرسل تصريف فى شىء منهما فضلا عمن دونهما ، ولذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ وقال تعالى ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ . والإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ،

وقال تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ ، ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث فى كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه ، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون ، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون ، وأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به ، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين ، والهدى المستبين ، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، واتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم خليلا ، وكلم موسى تكليماً ، ورفع إدريس مكاناً علياً ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الله تعالى فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات . وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم فى أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ونفى ما يضاد ذلك أو ينافى كماله كما تقدم ذلك فى تقرير توحيد الطلب والقصد . وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء

ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم ، ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وقد ذكر الله تعالى فى كتابه منهم آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطاً وشعيباً ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب ، وذكر الأسباط جملة ، وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم ، وقص علينا من أنبائهم ونبّأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالا وتفصيلا ثم قال ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ﴾ فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل .

(أولهم نـــوح بلا شك كما أن محمداً لهم قـــد ختما)

(أولهم) يعنى أول الرسل عليهم السلام **(نوح بلا شك)** وهو نوح بن لامك ابن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام . والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ لأن أمته أول من اختلف وغيره وبدّل وكذّب كما قال تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم ﴾ وإلا فآدم قبله كان نبياً رسولا ، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصيه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وابن مسعود وأبىّ بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضى الله عنهم فى قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ الآية قالوا : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين **(كما أن محمداً)** صلى الله عليه وسلم **(لهم)** أى للرسل **(قد ختما)** فلا نبى بعده كما قال تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وسيأتى إن شاء الله تعالى تقرير ذلك فى موضعه من هذا المتن .

(وخمسة منهم أولو العزم الألى فى سورة الأحزاب مع شورى تلا)

(وخمسة منهم) أى من الرسل **(أولو)** أى أصحاب **(العزم)** يعنى الحزم والجد والصبر وكمال العقل ، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة ،

غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم ، ولذا خصوا بالذكر (**فى سورة الأحزاب**) يعنى قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما **(و)** كذا ذكرهم على وجه التخصيص فى سورة (**الشورى**) إذ يقول تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ، وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول « أنا لها » كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله ، وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث فبدأ بى قبلهم » وفيه ضعف ويروى مرسلا وموقوفاً على قتادة ، وللبزار عنه رضى الله عنه موقوفاً عليه قال « خيار ولد آدم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد » صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول بأن أولى العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر ، وقال الكلبى : هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين ، وقيل هم ستة : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، وهم المذكورون على النسق فى سورة الأعراف وهود والشعراء ، وقال مقاتل : هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر . قلت وقول إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما فى سورة الصافات وهود ، وقال ابن زيد : كل الرسل كانوا أولى عزم ، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل ، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز ، وقال قوم : هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ، وروى ابن أبى حاتم بسنده عن مسروق قال :

قالت عائشة رضى الله عنها : ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال « يا عائشة ، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد . يا عائشة ، إن الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ، ثم لم يرض منى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ، ولا قوة إلا بالله » .

(وبالمعـــاد أيقن بـــلا تردد ولا ادعا علم بوقت الموعد)

(لكننا نؤمن من غير امترا بكل ما قد صح عن خيرالورى)

(من ذكر آيات تكون قبلها وهى علامات وأشراط لهـــا)

(وبالمعـــاد) وهو المردُّ إلى الله عز وجل والإياب إليه **(أيقن)** استيقن بذلك يقيناً جازماً **(بـــلا تردّد)** ، هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه ، قال الله تعالى ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ وقال تعالى ﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ، وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وقال تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنّا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما خلقنا السموات

والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ﴾ وقال تعالى فى الآية الأخرى ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ ﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين . قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون . فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى ﴿ إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ وقال تعالى ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال تعالى ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ فاصبر صبراً جميلا إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ الآيات ، وقال ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ إلخ السورة ، وقال تعالى ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ إلى آخر السورة ، وقال تعالى ﴿ والذاريات ذروا ، فالحاملات وقراً ، فالجاريات يسراً ، فالمقسمات أمراً ، إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما توعدون لواقع ، فإذا النجوم طمست ، وإذا السماء فرجت ، وإذا الجبال نسفت ، وإذا الرسل أقتت ، لأى يوم أجلت ، ليوم الفصل ، وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين ﴾ إلى آخر السورة والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور ، وسيأتى إن شاء الله مزيد نصوص فى اللقاء والبعث والنشور .

(و) : **(لا ادعا)** بالقصر للوزن وهو مصدر ادعى يدعى ادعاء **(علم بوقت الموعد)** متى هو ، فإن ذلك من مفاتح الغيب التى لا يعلمها إلا الله عز وجل ، قال الله

تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ الآية ؛ وقال تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ والتى بعدها . وقال تعالى ﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وقال ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ وغيرها من الآيات . وتقدم فى حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم « أخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل » الحديث . وروى الإمام أحمد فى مسنده عن بريدة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس لا يعلمها إلا الله عز وجل : إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير » . وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفاتح الغيب خمس ، ثم قرأ : إن الله عنده علم الساعة » . وفى الصحيحين أن أعرابياً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه بصوت جهورى فقال : يا محمد ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاؤم — على نحو من صوته — قال : يا محمد ، متى الساعة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله :

« المرء مع من أحب » فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث ، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذى لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم فى حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته . ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة متى الساعة ، فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول : « إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » ، يعنى بذلك موتهم الذى يفضى بهم إلى الحصول فى برزخ الدار الآخرة . وله عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » ، وفى رواية أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال : متى الساعة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال « إن عمِّر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » قال أنس : ذلك الغلام من أترابى . وفى رواية عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » . وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله متى الساعة قائمة ؟ قال « ويلك وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله . قال : إنك مع من أحببت . فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً . فمر غلام للمغيرة وكان من أقرانى فقال : إن أخِّر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا الإطلاق فى هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم فى حديث عائشة رضى الله عنها . وقال ابن جرير أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر « تسألون عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على وجه ظهر الأرض اليوم من نفس منفوسة تأتى عليها مائة سنة » رواه مسلم . وفى الصحيحين عن ابن عمر مثله ، قال ابن عمر : وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انخرام ذلك القرن . وروى أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة ، قال فردّوا أمرهم إلى ابراهيم عليه السلام ، فقال لاعلم لى بها ، فردّوا أمرهم

إلى موسى ، فقال لا علم لى بها ، فردّوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى : أما وجبتها فلم يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وفيما عهد إلىّ ربى عز وجل أن الدجال خارج ، قال ومعى قضيبان ، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص ، قال فيهلكه الله عز وجل ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شىء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه . قال ثم يرجع الناس إلىّ فيشكونهم . فأدعو الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم ، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم . أى تنتن . قال فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر » قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون « ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم » ، ثم رجع إلى حديث هشيم قال « ففيما عهد إلىّ ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا أو نهاراً » . ورواه ابن ماجه بنحوه . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : هؤلاء أكابر أولى العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وإنما ردّوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها لأنه ينزل فى آخر هذه الأمة منفذاً لأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه ، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به . وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال « علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو . ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجاً . قالوا : يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال بلسان الحبشة القتل . قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحداً » . وروى النسائى عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ الآية » وإسناده جيد قوى ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذا النبى الأمى سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذى تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما يثبت عنه فى الصحيح ومن حديث أنس وسهيل بن سعد رضى الله عنهما « بعثت أنا والساعة كهاتين . وقرن بين إصبعيه السبابة والتى تليها » ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يردّ علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال ﴿ قل إنما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلا هو . ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ اهـ .

(**لكننا نؤمن**) ونصدق (**من غير امترا**) من غير شك (**بكلٍّ ما قد صح**) سنده وصرح لفظه (**عن خير الورىٰ**) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (**من ذكريات**) أمارات (**تكون**) تقع (**قبلها**) قبل الساعة (**وهى**) أى تلك الأمارات (**علاماتٌ**) لمجىء الساعة وقربها ودنوها (**وأشراطٌ لها**) أى لاقترابها . وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها قال الله تعالى ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال تعالى ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ الآيات . وقد ذكر الله تعالى أن بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم من أشراطها كما قال عز وجل ﴿ هذا نذير من النذر الأولى — أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفه ﴾ وقال تعالى ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ وقال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الآيات وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة ، وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ الآيات ، وقال تعالى فى شأن عيسى ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ وقال تعالى فى شأن يأجوج ومأجوج ﴿ ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتونى زبر الحديد ، حتى إذا ساوى بين الصدَفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قِطراً . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكّاء وكان وعد ربى حقاً . وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ وقال تعالى ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك ، يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس

كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ وقال تعالى ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ . وأما الأحاديث فى أشراط الساعة فكثيرة متواترة ، وقد تقرر فى حديث جبريل على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره صلى الله عليه وسلم من أماراتها : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى ، وفى صحيح مسلم وغيره عن حذيفة رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » ، وفيه عن أبى زيد عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » ، وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو — وفى رواية : فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » ، وفى رواية عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق — أو بدابق — فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيؤمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته » . والأعماق قال فى القاموس : بلد بين حلب وإنطاكيه مصب مياه كثيرة لا تجف إلا صيفاً وهو

العمق جمع بأجزائه ا هـ . وقال أيضاً : دابق كصاحب وهاجر قرية بحلب ، وفى الأصل اسم نهر ، ودويبق قرية بقربها . وفيه عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هِجّيرى إلا «يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة » قال فقعد وكان متكئاً فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعنى ؟ قال : نعم ، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يمسوا فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة ، إما قال لا يرى مثلها ، وإما قال لم ير مثلها ، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً ، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد ، فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم ، فيرفضون ما فى أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم ، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ — أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ » ، وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال « طلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة . قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات . فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » وفى رواية « ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس » زاد فى أخرى « تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا » . وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو

الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة . وفى رواية : الدجال ، والدخان ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخويصة أحدكم » ، وقال البخارى رحمه الله تعالى « باب لا ينفع نفساً إيمانها . حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ، وقال أيضاً رحمه الله تعالى فى كتاب الفتن « حدثنا أبو اليمانى أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج — وهو القتل — وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه : لا أرب به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً . ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » . وفى الصحيحين عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس « أتدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها أرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ . وفى صحيح مسلم عن أبى زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها

وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً » . وفيه عن فاطمة بنت قيس — وكانت من المهاجرات الأول رضى الله عنها — قالت : سمعت نداء المنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه . ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرفأوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قالوا . : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد . قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجسّاسة . قلنا وما الجسّاسة ؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق . فأقبلنا إليك سراعاً . وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبرونى عن نخل بيسان . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا يثمر . قال : أخبرونى عن بحيرة طبرية . قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال :

أخبرونى عن عين زغر . قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها ، قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا نعم . قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه . وإنى مخبركم عنى ، إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة فهما محرمتان علىَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدُّنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر : هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة . يعنى المدينة . ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال الناس نعم . قال : فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ، وأومأ بيده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال النووى رحمه الله تعالى : الأهلب الغليظ الشعر كثيره ، وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال . وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن والله أعلم . وفيه عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن زينب بنت أبى سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبى سفيان أخبرتها أن زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه — وحلق بأصبعه الإبهام والتى تليها — قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » ، وفيه عن النواس بن سمعان قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على

كل مسلم ، إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا . قلنا : يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، أقدروا له قدره . قلنا : يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًّا وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك . فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق . بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كجمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة . فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقول : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف فى فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكنّ منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرِّسْل حتى إن اللقحة من

الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » . زاد فى رواية بعد قوله « لقد كان بهذه مرة ماء » ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض ، هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً » . وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهرانى الناس فقال : إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » . وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر » ، وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر — ثم تهجاها ك ف ر — يقرأه كل مسلم » ، وفيه عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله « لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأى العين ماء أبيض ، والآخر رأى العين نار تأجج ، فإما أدركها أحد فليأت النهر الذى يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه ، فإنه ماء بارد . وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه « كافر » يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب قال النووى : ظفرة بفتح الظاء المعجمة والفاء وهى جلدة تغشى البصـــر ، وقال الأصمعى : لحمة تنبت عند المآقى . وفيه عن أبى سعيد الخدرى قال « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلا عن الدجال ، فكان فيما حدثنا قال : يأتى وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس — أو من خير الناس — فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر ؟ فيقولون : لا ، قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنتُ فيك قط أشد بصيرة منى الآن . قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » . ورواية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجلٌ من المؤمنين ، فتلقاه المسائح مسائح الدجال فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول

أعمد إلى هذا الذى خرج ، قال فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه . قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربا ، قال فيقول : أو ما تؤمن بى ؟ قال فيقول : أنت المسيح الكذاب . قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال ثم يمشى بين القطعتين ثم يقول قم ، فيستوى قائما ، قال ثم يقول له : أتؤمن بى ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة . قال ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس . قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا . قال فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقى فى الجنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » . وفيه عن النعمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة ابن مسعود الثقفى يقول : سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله — أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها — لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً ، يحرق البيت ويكون ويكون . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين — لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً — فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه . ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير — أو إيمان — إلا قبضت حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا . قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله — أو قال ينزل الله — عز وجل مطراً كأنه الطّل أو الظّل (نعمان الشاك)

فتنبت منه أجساد الناس . ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم . وقفوهم إنهم مسئولون . قال : ثم يقال أخرجوا بعث النار ، فيقال من كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا . وذلك يوم يكشف عن ساق » . وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من بلد إلا سيطأه الدجال . إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها . فينزل بالسبخة ، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق » وفى رواية « فيأتى سبخة الجرف فيضرب رواقه وقال فيخرج إليه كل منافق ومنافقة » قال النووى : فيضرب رواقه أى ينزل هناك ويضع ثقله . والجرف قال فى القاموس : موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة والمقصود فى الحديث هو الأول ، وفيه عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة » . وفيه عن أم شريك أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ليفرن الناس من الدجال فى الجبال . قالت أم شريك : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل » ، وفيه عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » ، والأحاديث فى ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى . وكذا الأحاديث فى الفتن والملاحم بين يدى القيامة وغيرها من أشراط الساعة . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال فى كل صلاة فريضة أو نافلة ، وفى الترمذى عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا إلى فقر منسى ، أو غنى مطغى ، أو هرم مفند ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبى هريرة إلا من حديث محرز بن هارون . وروى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيداً المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا .

(ويدخل الإيمان بالموت وما من بعده على العبـاد حتما)

(ويدخل) فى الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذى هو المفضى بالعبد إلى منازل الآخرة ، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم « إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » والإيمان بالموت يتناول أموراً :

منها تحتمه على من كان فى الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ، قال الله تعالى ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام ﴾ وقال تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون . كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعوذ بعزتك الذى لا إله إلا أنت الذى لا يموت ، والجن والإنس يموتون » .

ومنها أن كلا له أجل محدود وأمد ممدود ينتهى إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه ، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذى هو صفته ، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه ، ثم كتبه الملك على كل أحد فى بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة فى عينه فى أى مكان يكون وفى أى زمان فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره ، وأن كل إنسان مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأى حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين ، وأن ذلك السبب الذى كان فيه حتفه هو الذى قدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص ، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص ، قال الله تعالى ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾

الآية ، وقال تعالى ﴿قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ وقال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكل أمة أجل ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ فى مواضع من القرآن . وقال تعالى ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ وقال تعالى ﴿وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وقال تعالى ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وغيرها من الآيات . وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة رضى الله عنها « اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبى أبى سفيان ، وبأخى معاوية » فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئاً منها قبل حله ولا يؤخر منها يوماً بعد حله ، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيراً لك » ، وفى رواية « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله ، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيراً وأفضل » وفى أخرى « وآثار مبلوغة » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول : ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهى إلى الكتاب الذى كتبت له ، فذلك قوله تعالى ﴿ ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول كل ذلك فى كتاب عنده . وهكذا قال الضحاك بن مزاحم . وأما حديث أنس فى الصحيحين وغيرهما قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول « من سره أن يبسط له فى رزقه

وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » فإنه مفسر بحديث أبى الدرداء رضى الله عنه عند ابن أبى حاتم رحمه الله تعالى قال : ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة فى العمر فقال « إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر » .

ومنها الإيمان بإن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به ، وأن ذلك من مفاتح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو كما قال تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ الآية . وتقدمت الأحاديث فى معناها . وفى الحديث المشهور عند أحمد والترمذى وغيرهما عن جماعة من الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له فيها — أو قال بها — حاجة » .

ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله وهو المفضى به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل فى شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده فلا يعاقب أحداً بذنب غيره ولا يهضمه ذرة من حسن أعماله ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الترمذى والنسائى وابن حبان وصححه قال : قال رسول الله « أكثروا ذكر هادم اللذات » الموت ، وقال البخارى رحمه الله تعالى فى كتاب الرقاق من صحيحه : باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد ابن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوى عن سليمان الأعمش قال حدثنى مجاهد عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » ثم قال : باب فى الأمل وطوله وقول الله تعالى ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ بمزحزحه بمباعده . وقوله تعالى ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ ، وقال على رضى الله عنه : ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون : فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً

حساب ولا عمل . حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خيثم عن عبد الله رضى الله عنه قال : خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال « هذا الأنسان ، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به . وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار الأغراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا » ، حدثنا مسلم حدثنا همام عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضى الله عنه قال : خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً فقال « هذا الأمل ، وهذا أجله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب » .

ومنها — وهو المقصود الأعظم — التأهب له قبل نزوله ، والاستعداد لما بعده قبل حصوله ، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله ، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه ، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه ، إذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولا اعتذار ، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات ، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القوى المتين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذي لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة إن ربي على صراط مستقيم ، ثم إما نعيم مقيم في جنات النعيم وإما عذاب أليم في نار الجحيم ، وإن لكل ظاعن مقراً ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، قال الله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ وهذا سؤالهم الرجعة عند الإحتضار وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وأنذر الناس

يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ الآيات . وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال وشديد الأنكال والمقامع والأغلال والسلاسل الطوال وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ الآيات ، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رءوسهم بين يديه كما قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ الآيات ، وكذلك يسألون الرجعة وهم فى غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ الآيات ، وقال تعالى (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ وغيرها من الآيات . ويجمع كل ذلك قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ وغيرها من الآيات . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يموت إلا ندم » قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال « إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع » رواه الترمذى وغيره ، وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا ابن عباس اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار ، فقال : سأتلو عليك بذلك قرآنا ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً ، قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير . وقال قتادة فى قوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت ﴾ قال كان العلاء بن زياد يقول : لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه

فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى . وقال قتادة : والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا حول ولا قوة إلا بالله . وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا وضع — يعني الكافر — في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً ، قال فيقال قد عمرت ما كنت معمراً . قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام أو يفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها . وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة . قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون لهم الشكر » ، وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم « بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها » الحديث ، وحديثه عند الترمذي « بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا إلى فقر منس » الحديث . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ، وللحاكم عنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » يعني إن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد ، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ، ولا ينفعه التمني للأعمال ، بعد التفريط منه والإهمال ، في زمن الفرصة والإمهال ، فإن بعد كل شباب هرماً ، وبعد كل صحة سقماً ، وبعد كل غنى فقراً ، وبعد كل فراغ شغلا ، وبعد كل حياة موتاً ، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم ، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم ، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر ، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل ، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات ، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ، ويطلب الكرة وهيهات ، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات . ولقد حثنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشد التحضيض ودعانا إلى

اغتنام الفرص فى زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط فى ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى فى محكم كتابه داعياً عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ استجيبوا إلى ربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ الآيات . وغيرها .

ومنها الإيمان بـ **(ما)** الذى **(من بعده)** أى من بعد الموت **(على العبـاد حتما)** من أحوال الإحضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضى الله بين عباده ويستقر كل من الفريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها فى محله من هذه الأبيات الآتية إن شاء الله تعالى ، وهذا أولها :

(وان كلا مقعـد مسئول ما الرب ما الدين وما الرسول)
(وعنـد ذا يثبت المهيمن بثابت القـول الذين آمنوا)
(ويوقن المرتاب عنـد ذلك بأن ما مـورده المهـالك)

فى هذه الأبيات إثبات المسألة العظيمة ، وهى إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه ، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة ، وإن أنكر ذلك بشر المريسى وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول الله عز وجل ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ وقوله ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ قالوا فى الآية الأولى : لو صاروا أحياء فى القبور لذاقوا الموت مرتين لا موتة واحدة . وقالوا فى الآية الثانية : إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور فى عدم الإسماع ، ولو كان الميت حياً فى قبره أو حاساً لم يستقم التشبيه . قالوا : وأما من جهة العقل فإنا نرى شخصاً يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة ،

والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة ، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه فى بطونها وحواصلها ، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة فى الرياح العاصفة شمالا وجنوباً وقبولا ودبوراً فإنا نعلم عدم أحيائه ومسألته وعذابه ضرورة . هذه خلاصه شبههم الداحضة ، ومحصل آرائهم الكاسدة ، وأفهامهم الفاسدة ، وأذهانهم البائدة ، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد فى أسماء الله وصفاته ، وجحد ما صرح به تعالى فى محكم آياته ، ورد ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته ، وحكم العقل فى الشرع ، وعارض الوحى الرحمانى بالحدس الشيطانى ، وقدم الآراء السقيمه ، على السنن المستقيمة ، وآثر الأهواء الذميمة على المحجة القويمة ، فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التى لا يشاهدها ، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذى هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلىء بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقلتهما عليه ، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يقر بموجود إلا مسموعاً متكلما به مبصرا مشموماً ملموساً ، وما له لا ينكر ذلك وطريقته فى النصوص أبدا تأويل الصريح وتضعيف الصحيح ، وأنها آحاد ظنية لا تفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين . ولا ذنب للنصوص وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه ، وصرحت بنقض دعواه ، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه وهدمت عليه ما قد بناه ، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونادت عليه بأبلغ صوت ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ . والجواب عن الشبهة الأولى أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه ، فإنها فى صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم ، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يبأسون ويخلدون فلا يموتون ، وأين هذا من نفى عذاب القبر الذى ادعوه ، وقوله ﴿ إلا الموتة الأولى ﴾ تأكيد لنفى الموت عنهم فى الجنة ، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد فى البرزخ اتصالا خاصاً ليتألم الجسد بما يتألم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية ، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهى أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما يدل عليه ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحاً كما يشاء الله عز وجل والفتح لباب الجنة

للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتى إن شاء الله تعالى بسطه . وأيضاً فأهل الجنة المشار إليهم بقوله ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ قد وردت فيهم الأحاديث الصحيحة أن أرواحهم تسرح فى الجنة فى حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهرى عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه » ، وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ فهل شعرتم بذلك يا معاشر الزنادقة دونهم ؟ ويقول تعالى فيهم ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ الآيات ، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ والموتة الثانية على أحد التفسيرين هى موتهم بعد فتنة القبر ، وتفسير الجمهور لا ينافى ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذى قبل وجودهم والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدوا نومتهم بعد الفتنة فى القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما ، والتفسير الأول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم . وروى ابن أبى حاتم بسنده عن أبى هريرة قال : إذا وضع — يعنى الكافر — فى قبره فيرى مقعده من النار ، قال فيقول : رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً ، قال فيقال قد عُمِّرت ما كنت معمَّراً . قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها .

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين : الأول أن قوله ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ نفى لاستطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُسمعهم ، وليس ذلك بمحال فى قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » الحديث سيأتى إن شاء الله ، وهذا إذا حمل على نفى مطلق السماع بالكلية . الوجه الثانى أنه لم ينف مطلق السماع ، وإنما نفى سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث القليب « ما أنتم

بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة ، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم فى قوله تعالى ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها ﴾ ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقاً لا سماع استجابة ولا مطلقاً لم يكن القرآن حجة عليهم ولم يكن الرسول بلغهم لأنهم ما سمعوه منه ، ولا أفسد من قول هذا لازمه .

وأما شبهتهم العقلية فهى لا تليق إلا بعقولهم السخيفة ، فإن الروح التى عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك فى الدنيا ولا يعلمه إلا الله ، فمن كان لا يدرك روح من يمشى معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا ؟ وأيضاً فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع » ، وأيضاً فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة منا لأمور غائبة عنا وهى أعلى صفات أهل الإيمان ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ وذلك غائب عنا فى الحياة الدنيا ونحن نعلمه عن الله علم اليقين ، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة ورأينا ذلك عين اليقين ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ والذى أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذى أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء ، وسيأتى الحديث فيه إن شاء الله . ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ﴾ الآية . فيا أيها الطالب الحق المتحرى الإنصاف ، إليك نصوص الآيات المحكمة ، والسنن القائمة ، فألق لها سمعك وأحضر قلبك ، وانظر بما ذا عارضها الذين فى قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ما تشابه ، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم ، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه ، وأحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين وقل كما قال الراسخون فى العلم ﴿ آمنا به كل من عند ربنا — ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ الآية . قال أئمة التفسير ﴿ والملائكة باسطو أيديهم ﴾ أى إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لهم ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم ، فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ أى اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله ، وسيأتى فى الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله . ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهرانى أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشىء من ذلك الضرب ، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشىء مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به فى قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر ، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم ، فلابد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به فى المحتضر فيلزمهم ما ورد فى عذاب القبر ، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون .

وقال ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ وهذه الآية نصها فى عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم ، وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال فى القبر حقيقة ، وأن من أنكر ذلك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء .

وقال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ روى ابن أبى حاتم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ويل لأهل المعاصى من أهل القبور ، تدخل عليهم فى قبورهم حيات سود — أو دُهم — حية عند رأسه وحية عند

رجليه يقرصانه حتى يلتقيا فى وسطه ، فذلك العذاب فى البرزخ الذى قال الله تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ وتقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى ذلك قريباً وسيأتى الأحاديث فيه ، وقال تعالى ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ ذكر العينى هذه الآية فى شرح هذا الباب من صحيح البخارى وقال : فإن الله تعالى ذكر الموتة مرتين وهما لا تتحققان إلا أن يكون فى القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتتين ما يتحصل عقيب الحياة فى الدنيا ، والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التى فى القبر اهـ . قلت ، وهذا هو تفسير السدى فى هذه الآية حيث قال : أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة اهـ . والآية تحتمله ، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصرى وسعيد وقتادة وابن إسحاق ما حاصله : إن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردّون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار . وقال تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾ قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة : يعنى به عذاب القبر . وقال تعالى فى قوم نوح ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ وقال تعالى ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، روى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسرح بهم فى الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فى الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة فى العرش ، وإن أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها . وفى حديث الإسراء الطويل الذى أخرجه البيهقى وابن جرير وابن أبى حاتم من رواية أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه « ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل ، رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، وآل فرعون كالإبل

المسوَّمة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون » ، وفى حديث عائشة فى قصة اليهودية التى قالت لها وقاك الله من عذاب القبر ، فأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك ، فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا » قالت عائشة رضى الله عنها : ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « وإنه أوحى إلىَّ أنكم تفتنون فى قبوركم » وسيأتى إن شاء الله قريباً . قال ابن كثير رحمة الله تعالى : فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًّا وعشياً فى البرزخ ، وليس فيها دلالة — يعنى تامة — على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية . وقد يقال : إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار فى البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بذنبه . وهذا الجواب هو الراجح عندى لما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « إنما يفتن يهود » ، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن . والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضاً صريحة فى اتصال عذاب القبر بالروح والجسد ، وما ليس صريحاً منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم يجئ فى آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد ، وقال الله تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء . بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، وينال أجسادهم فى قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم ، ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ الآية . وكذلك قال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ .

(**فصل**) وأما نصوص السنة فى إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث فى ذلك مبلغ التواتر ، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين وأسماء

بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصارى وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وسمرة ابن جندب وعثمان وعلى وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وزيد ابن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبد الله بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضاً وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الدارى وحذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك .

فأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد . قال وقال لى خليفة حدثنا ابن زريع حد ثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعاً . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » ، ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه « قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً — يعنى المؤمن — ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون » . ولهما عنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « وأعوذ بك من عذاب القبر » . ولمسلم عنه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع » .

وأما حديث عبد الله بن عباس فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضى الله عنهما « مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير » ثم قال « بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » ثم قال « أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » رواه فى مواضع من صحيحه . ورواه مسلم أيضاً وغيره . ولهما وللنسائى عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلم السورة من القرآن قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ

بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

وأما حديث البراء بن عازب فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا حفصُ ابن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أُقعد المؤمن فى قبره أُتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ رواه فى مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره . وروى الإمام أحمد عنه رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفى يده عود ينكث به فى الأرض ، فرفع رأسه فقال « استعيذوا بالله من عذاب القبر » — مرتين أو ثلاثاً — ثم قال « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان — قال — فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الطيبة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال فتعاد روحه ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت . فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة . فيأتيه من

روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد البصر ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرُّك ، هذا يومك الذى كنت توعد ؛ فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ، فيقول أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلى ومالى – قال – وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب . قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فيطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى ، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوؤك ، هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهه الوجه الذى يجىء بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة » زاد فى رواية فى قصة المؤمن « حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم » وزاد فى قصة الكافر « ثم يقيَّض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً . ثم يعيده الله

عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين – قال البراء – ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فراش من النار » . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بنحوه .

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه رضى الله عنه قال « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى . قال فقال عمر : فو الذى بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وسلم . «قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى انتهى إليهم فقال : يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى الله حقاً . قال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً » . ولأبى داود والنسائى وابن ماجه عنه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصدر » .

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال البخارى رحمه الله تعالى « باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى . حدثنا إسماعيل قال : حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . وله عنه رضى الله عنه قال « اطلع النبى صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال : وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون » .

وأما حديث عائشة أم المؤمنين فقال البخارى رحمه الله تعالى « باب التعوذ من عذاب القبر فى الكسوف . حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعذب الناس فى قبورهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عائذاً بالله من ذلك – ثم ذكر حديث الكسوف بطوله وفى آخره – ثم أمرهم أن

يتعوذوا من عذاب القبر » ورواه مسلم بنحوه ، وقال البخارى أيضاً « حدثنا عبدان أخبرنى أبى سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال : عذاب القبر حق — قالت عائشة : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » ووافقه عليه مسلم وغيره . وقال مسلم أيضاً « حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى ، قال هارون حدثنا — وقال حرملة أخبرنا — ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثنى عروة ابن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور ؟ قالت فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما تفتن يهود . قالت عائشة فلبثنا ليالى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شعرت أنه أوحى إلىَّ أنكم تفتنون فى القبور . قالت عائشة رضى الله عنها : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ يستعيذ من عذاب القبر » وقال رحمه الله تعالى أيضاً « حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم كلاهما عن جرير ، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت علىَّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علىَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، فقال : صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم ، ثم قالت فما رأيته بعدُ فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر » ولهما عنها رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال . اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » ولمسلم عنها من حديثها فى الكسوف ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته « ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت ، ورأيت فيها ابن لحي وهو الذى سيَّب السوائب .

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما فقال البخارى رحمه الله تعالى « حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما تقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فذكر فتنة القبر التى يفتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة » . ولهما عنها رضى الله عنها حديث الكسوف بطوله ، وفيه : « فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار ، لقد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور مثل — أو قريباً من — فتنة الدجال . لا أدرى أيتهما قالت أسماء . يؤتى أحدكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن — أو الموقن ، لا أدرى أى ذلك قالت أسماء — فيقول : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا . فيقال له : نم صالحاً ، فقد علمناك كنت لموقناً ، وأما المنافق — أو المرتاب ، لا أدرى أى ذلك قالت أسماء — فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » قوله « لا أدرى أى ذلك إلخ » التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضى الله عنهما .

وأما حديث أبي أيوب الأنصارى فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال : حدثنى عون بن أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضى الله عنهم قال « خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً ، فقال : يهود تعذب فى قبورها » رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به .

وأما حديث أم خالد فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا معلى حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة قال « حدثتنى ابنة خالد بن سعيد بن العاصى أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتعوذ من عذاب القبر » . وقال فى كتاب الدعوات : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به إلخ .

وأما حديث أبي هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها » قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال « ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه . فينطلق به إلى ربه عز وجل .

ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه » قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعناً « ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض . قال : فيقال انطلقوا به الى اخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا » ، ولهما عنه رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » . وقال الترمذى رحمه الله تعالى : باب ما جاء فى عذاب القبر . حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف البصرى أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قبر الميت – أو قال أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون ، فقلت مثله ، لا أدرى . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان . قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال فلان . فيقولون مرحباً بالروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان – قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء والعياذ بالله قالوا : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال هذا فلان

فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، ارجعى ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء ، فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر .

وقال ابن حبان فى صحيحه : حدثنا عمرو بن محمد الهمدانى حدثنا زيد بن أخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى إلى روح الله ، فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقال : ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من قبل الأرض ؟ ولا يأتون السماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم . فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان فى غم فيقول قد مات أما أتاكم ؟ فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية . وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى إلى غضب الله تعالى فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض » زاد فى رواية « وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى » . وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ قال « ذلك إذا قيل له فى القبر : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت . فيقال له : صدقت ، على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث » . وقال ابن جرير رحمه الله تعالى : حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده ، إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام : ما قبلى مدخل ، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلى مدخل ، فيقال له : اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب

فيقال : أخبرنا عما نسألك ، فيقول : دعنى حتى أصلى ، فيقال له : إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك ، فيقول : وعم تسألونى ؟ فيقال : أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ما ذا تقول فيه ، وما تشهد به عليه ؟ فيقول ، أمحمد ؟ فيقال له : نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له : انظر إلى ما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً ، ثم تجعل نسمته فى النسيم الطيب ، وهى طير خضر يعلق بشجر الجنة ، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب ، وذلك قول الله عز وجل ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ ، ورواه ابن حبان من طريق المعتمرين سليمان عن محمد بن عمرو ، وذكر جواب الكافر وعذابه . وقال البزار رحمه الله تعالى حدثنا سعيد بن بحر القراطيسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة أحسبه رفعه قال « إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت — يعنى نفسه — والله يحب لقاءه . وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال تركت فلاناً فى الأرض أعجبهم ذلك ، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ماجىء به إلينا . وإن المؤمن يجلس فى قبره فيسأل من ربك ؟ فيقول ربى الله عز وجل . ويسأل من نبيك ؟ فيقول محمد صلى الله عليه وسلم نبى ، فيقال : ماذا دينك ؟ قال دينى الإسلام . فيفتح له باب فى قبره فيقول أو يقال : انظر إلى مجلسك . ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة . وإذا كان عدواً لله نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه ، فإذا جلس فى قبره أو أجلس فيقال له : من ربك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقال لا دريت ، فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ، ثم يقال له : نم كما ينام المنهوش » قلت لأبى هريرة : ما المنهوش ؟ قال الذى تنهشه الدواب والحيات ، ثم يضيق عليه قبره ، ثم قال : لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم ، وفى بعض النسخ ابن قاسم .

وأما حديث أبى سعيد وسلمان فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا معتمر سمعت أبى حدثنا قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر رجلا فيمن سلف وفى من كان قبلكم قال كلمة يعنى أعطاه الله مالا وولداً ، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : أى أب كنت لكم ؟

قالوا خير أب . قال فإنه لم يبتئر عند الله خيراً (١) وإن يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا إذا مت فأحرقونى حتى إذا صرت فحماً فاسحقونى — أو قال فاسحكونى — فإذا كان يوم ريح عاصف فاذرونى فيها . فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى . ففعلوا ثم أذروه فى يوم عاصف ، فقال الله عز وجل : كن ، فإذا هو رجل قائم ، قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك ، أو فرق منك . قال فما تلافاه أن رحمه عندها » وقال مرة أخرى « فما تلافاه » فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه « إذرونى فى البحر » أو كما حدث — وفى رواية له عن أبى سعيد قال « ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال : ما حملك ؟ قال : مخافتك . فتلقاه برحمة » وقال رحمه الله تعالى « باب كلام الميت على الجنازة ، حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها ، أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ، ولو سمعها الإنسان لصعق . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال « شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق من حديد فأقعده فقال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت . ثم يفتح له باب إلى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذا آمنت فهذا منزلك ، فيفتح له باباً إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إليه فيقول له : اسكن أسكن ، ويفسح له فى قبره . وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً ، فيقول : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت . ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول هذا منزلك لو كنت آمنت بربك ، فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا ، فيفتح له باباً إلى النار ، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق

---

(١) أى لم يقدم لنفسه خبيئة خير.

الله عز وجل كلهم غير الثقلين . فقال بعض القوم : يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» . ولابن مردويه عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فى القبر » .

وأما حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ قال فإن رأى أحد قصها ، فيقول : ما شاء الله . فسألنا يوماً فقال : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ قلنا لا . قال : لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده — قال بعض أصحابنا عن موسى — كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ، ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيضع مثله . قلت : ما هذا ؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر — أو صخرة — فيشرخ به رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه . قلت : من هذا ؟ قالا انطلق . فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت من هذا ؟ قالا انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت : ما هذا قالا انطلق . فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى فى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجانى منها فصعدا بى إلى الشجرة فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان . قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت . قالا : نعم ، أما الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به ما

رأيت إلى يوم القيامة . والذى رأيته يشرخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة . والذى رأيته فى الثقب فهم الزناة . والذى رأيته فى النهر آكلو الربا . والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام ، والصبيان حوله فأولاد الناس ، والذى يوقد النار مالك خازن النار ، والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك ، فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب ، قالا : ذاك منزلك . قلت دعانى أدخل منزلى ، قالوا : إنه بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملت أتيت منزلك .

وأما حديث عثمان رضى الله عنه فقال أبوداود : حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » قال ابن حجر : صححه الحاكم .

وأما حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا على بن ثابت حدثنى قيس بن الربيع وكان من بنى أسد عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف : اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيراً مما نقول . اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى ولك رب تراثى . اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح »

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبى شيبة جميعاً عن ابن علية . قال ابن أيوب : حدثنا ابن علية قال وأخبرنى سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة — قال كذا كان يقول الجريرى — فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا . قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه

فقال : تعوّذوا بالله من عذاب النار . قالوا نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال » .

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول : إنه رسول الله وعبده . فيقول له الملك : انظر إلى مقعدك الذى كان لك فى النار قد أنجاك الله منه ، وأبدلك بمقعدك الذى ترى من النار مقعدك الذى ترى من الجنة . فيراهما كليهما . فيقول المؤمن : دعونى أبشر أهلى . فيقال له : اسكن . وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، أقول كما يقول الناس . فيقال له : لا دريت ، هذا مقعدك الذى كان لك فى الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار . قال جابر : فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يبعث كل عبد فى القبر على ما مات ، المؤمن على إيمانه ، والمنافق على نفاقه » .

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه « وعرضت علىّ النار ، فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذّب فى هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه فى النار — وفى رواية — لقد جىء بالنار وذلكم حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها . وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجنى ، وإن غُفل عنه ذهب به . وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً » الحديث .

وأما حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فرواه البخارى من عدة طرق عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة : اللهم إنى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر » .

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحق بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير ، قال إسحق أخبرنا – وقال الآخران حدثنا – أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث ، وعن أبى عثمان النهدى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، كان يقول : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم ، وعذاب القبر ،. اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها . اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها » رواه النسائى .

وأما حديث أبى بكرة فأخرجه النسائى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى أثر الصلاة « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر ، والفقر ، وعذاب القبر » .

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد الله الحكيم الترمذى فى كتابه (نوادر الأصول) : حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبى فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال « إنى رأيت البارحة عجيباً ، رأيت رجلا من أمتى جاء ملك الموت ليقبض روحه ، فجاء بِرُّه بوالديه فردَّ عنه . ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله عز وجل فخلصه من بينهم . ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم . ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشاً ، كلما ورد حوضاً منع منه ، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه . ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة ، وهو متحير فيها ، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه ، فجاءته صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه ، فكلموه . ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه ، فجاءته صدقته فصارت له ستراً على وجهه وظلا على رأسه . ورأيت رجلا من أمتى أخذته الزبانية من كل مكان ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتى جاثياً على ركبتيه ، بينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خُلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قِبَل شماله ، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه . ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه ، فجاءته أفراطه فثقّلوا ميزانه . ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم ، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار ، فجاءته دموعه التى بكت من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار . ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط كما ترعد السعفة ، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى . ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ، فجاءته صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط . ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » . ورواه القرطبى رحمه الله فى تذكرته وقال : هذا حديث عظيم ذكرَ فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة .

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فرواه النسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم ، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال ، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار » .

وللحكيم الترمذى عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر ، فقال عمر بن الخطاب رضى عنه : أتردُّ لنا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم كهيئتكم اليوم . فقال عمر : فى فيه الحجر » . وروى البغوى عنه رضى الله عنه موقوفاً عليه : إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين ، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها : اخرجى يا أيتها النفس المطمئنة ، اخرجى إلى روح وريحان ورب عنك راض . فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاء من الأرض روح طيبة — أو نسمة طيبة — فلا تمرُّ بباب إلا فتح لها ، ولا بملك إلا صلى عليها ، حتى يؤتى بها الرحمن عز وجل فتسجد ، ثم يقال لميكائيل : اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين . ثم يؤمر فيوسع عليه قبره ، سبعون ذراعاً عرضه ، وسبعون ذراعاً طوله ، وينبذ له الريحان ، وإن كان معه شىء

من القرآن كفاه نوره ، وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه . وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال : يا أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم ، ورب عليك غضبان .

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم فى قصة وفاته مطولا ، وفيه : « فإذا أنا متُّ فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فإذا دفنتمونى فشنُّوا علىَّ التراب شناً ثم أقيموا حول قبرى قَدْر ما تنحرجزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل » .

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبى شيبة فى مصنفه قالت : دخل علىَّ النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فى حائط من حوائط بنى النجار فيه قبور منهم قد ماتوا فى الجاهلية ، قالت : فخرج فسمعته يقول « استعيذوا بالله من عذاب القبر » قلت : يا رسول الله وللقبر عذاب ؟ قال « إنهم ليعذبون عذاباً فى قبورهم تسمعه البهائم » .

وأما حديث أبى قتادة رضى الله عنه فقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد البجلى عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿ يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ الآية قال : إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : الله عز وجل . فيقال له : من نبيك ؟ فيقول : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . فيقال له ذلك مرات ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له : انظر إلى منزلك من النار لو زغت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبتَّ . وإذا مات الكافر أجلس فى قبره فيقال له : من ربك ، من نبيك ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له : لا دريت . ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال : انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ . ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له : انظر إلى منزلك إذ زغت . فذلك قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ .

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم بن سويد عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له » قال أراه قال فيهن « له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها . رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبور » ، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً « أصبحنا وأصبح الملك لله » . حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا حسين بن على عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله الخ بنحوه ، وفيه « اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر » . وقال النسائى أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من خمس : من البخل ، والجبن ، وسوء العمر ، وفتنة الصدر ، وعذاب القبر » . وروى الطحاوى عنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أمر بعبد من عباد الله أن يُضرب فى قبره مائة جلدة ، فلم يزل يَسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره ناراً » الحديث ذكره العينى فى شرح البخارى والله أعلم بصحته . وعزاه فى التبصرة إلى أبى القاسم الحريرى ، وتقدم عنه قريباً حديث أم حبيبة وفيه الاستفادة من عذاب القبر .

وأما حديث أبى طلحة فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنى عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة « إن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من إطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال . فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة ، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان ابن فلان ، يا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قال فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » قال قتادة : أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً .

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء — يعني بنت الصديق رضي الله عنها — تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أحف به عمله الصلاة والصيام ، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه : اجلس ، فيجلس ، فيقول له : ماذا تقول في هذا الرجل ؟ يعني النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من ؟ قال : محمد . قال : أشهد أنه رسول الله . قال فيقول : على ذلك عشتَ وعليه مت وعليه تبعث . وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له : ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال : أي رجل ؟ قال : محمد . قال يقول : والله ما أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته . قال له الملك : على ذلك عشتَ وعليه مت وعليه تبعث . قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه » والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثي أسماء الأولين

وأما حديث عبد الرحمن بن حسنة فقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد ابن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال « انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه درقة ثم استتر بها ثم بال فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة ، فسمع ذلك فقال : ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل ، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره » ، ورواه النسائي وابن ماجه .

أما حديث تميم الداري فرواه أبو يعلى الموصلي بسنده عنه مطولا بسياق عجيب ومتن غريب وغالب معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره ولله الحمد والمنة .

وأما حديث حذيفة فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال : قال عقبة لحذيفة « ألا تحدثنا ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعته يقول : إن رجلا حضره الموت لما يئس من الحياة أوصى أهله إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في

يوم حار أوراح ، فجمعه الله فقال : لم فعلت؟ قال : خشيتك . فغفر له » . قال عقبة وأنا سمعته يقول : حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك وقال « فى يوم راح » وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبى سعيد الخدرى .

وقد رواها البخارى رحمه الله تعالى أيضاً من حديث أبى هريرة فقال : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح ، فوالله لئن قدر علىَّ ربى ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً . فلما مات فعل به ذلك . فأمر الله تعالى الأرض فقال : اجمعى ما فيك منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يارب خشيتك حملتنى . فغفر له » وقال غيره « مخافتك يارب » ، ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبى هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك .

وأما حديث أبى موسى فرواه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد : عن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الميت يعذب ببكاء الحى ، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه ، واكاسباه ، جبذ الميت وقيل : أنت عضدها ، أنت ناصرها ، أنت كاسبها ؟ » . ولفظ الترمذى « ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول : واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت ؟ » .

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخارى ومسلم عنه رضى الله عنه قال « أغمى على عبد الله بن رَاوحة ، فجعلت أخته عمرة تبكى : واجبلاه ، واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلتِ شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه رضى الله عنه » .

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنى هرون بن سعيد الأيلى أخبرنى ابن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعت عوف بن مالك يقول « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه وأكرم نزُله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب

الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » قال حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت . وفى رواية « وقه فتنة القبر وعذاب النار » .

(وباللقا والبعث والنشور وبقيامنا من القبور)
(غرلا حفاة كجراد منتشر يقول ذو الكفران ذا يوم عسر)

أى ويدخل فى الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله عز وجل الحاصل فيه ، قال الله تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ وقال تعالى ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ وقال تعالى ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ وقال تعالى ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ وقال تعالى ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ وقال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ﴾ وغيرها من الآيات .

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقلت : يا نبى الله أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت . فقال « ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه — وفى رواية — والموت قبل لقاء الله » . وفيه عن شريح بن هانىء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره

الله لقاءه » قال فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ، إن كان كذلك فقد هلكنا . فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذاك ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » وليس من أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . وفيه عن عبادة بن الصامت وأبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم المرفوع منه دون شرحه .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة ؟ قالوا لا . قال : فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فو الذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما . قال فيلقى العبد فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى . قال فيقول : أفظننت أنك ملاقىَّ ؟ فإنى أنساك كما نسيتنى . ثم يلقى الثانى فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى أى رب . فيقول : أفظننت أنك ملاقىَّ ؟ فيقول لا . فيقول فإنى أنساك كما نسيتنى . ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول : يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع ، فيقول : ههنا إذاً . قال ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك . ويتفكر فى نفسه من الذى يشهد علىّ ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقى ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعلمه ، وذلك ليعذر من نفسه ؛ وذلك المنافق ، وذلك الذى يسخط الله عليه » . وفى حديث القراء أصحاب بئر معونة « بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » . وروى أنه كان قرآنا فنسخت تلاوته . والآيات والأحاديث فى إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً ، ومن كذَّب بذلك كفر .

(والبعثِ والنشــور) أى ويدخل فى الإيمان باليوم الآخر . الإيمانُ بالبعث والنشور ، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى**

نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ وقال تعالى ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ . وقال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ وقال تعالى ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين . أو كالذى مرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثتَ مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير . وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرْهنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته ، حتى إذا أقلَّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً إنا لفى خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ . وقال تعالى ﴿ وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . قد خسر الذين كفروا بلقاء الله ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ولا تحسبنَّ الله مخلف وعده رُسله ، إن الله عزيز ذو انتقام ، يوم تبدل الأرض والسموات ﴾ ، الآيات . وقال تعالى ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون . ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين . وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال تعالى

﴿ وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً . قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو ، قل عسى أن يكون قريباً . يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصما مأواهم جهنم كلما خَبَتْ زدناهم سعيراً . ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً . أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم — إلى قوله — وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ وقال تعالى (ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً . وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ويقول الإنسان أإذا ما متُّ لسوف أُخرج حياً . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً . فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ﴾ الآيات إلى آخر السورة . وقال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً . نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً . ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً . فيذرها صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا . يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ . وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ . وقال تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطىِّ السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة

عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد . كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير . يا أيها الذين آمنوا إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبين لكم ونقرُّ فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدَّكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً . وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ وقال تعالى عن كفر عاد ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذَّبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا : ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ، ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون . بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ وقال تعالى ﴿ قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادِّين . قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون . أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إن لله ما فى السموات والأرض ، قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شىء عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ، قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ﴾ وقال تعالى ﴿ أمَّن

يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين — إلى قوله تعالى — بل ادّارك علمهم فى الآخرة ، بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون . وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين — إلى قوله — قل عسى أنْ يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذى تستعجلون — إلى قوله — ويوم يُنفخُ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئُ النشأة الآخرة ، إن الله على كل شىء قدير . يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون . وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة وهم عن الآخرة هم غافلون . أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمًّى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون — إلى قوله — الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾ الآيات — إلى قوله — ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من فى السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ الله خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . وقال تعالى ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شىء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون . وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب إلى يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ما خلْقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾ . وقال تعالى ﴿ وقالوا أإذا ضللنا فى الأرض أإنا لفى خلق جديد

بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ويسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد ﴾ . وقال تعالى ﴿ الله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون . ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ألم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ أهم أشد خلقاً أم من خلقنا ، إنا خلقناهم من طين لازب ، بل عجبت ويسخرون ، وإذا ذكروا لا يذكرون ، وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ، أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ، أو آباؤنا الأولون ، قل نعم وأنتم داخرون ، فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ، وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ وقال

تعالى ﴿ لينذر يوم التلاق ، يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ الآيات ، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿ وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ، ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ وقال تعالى ﴿ وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ وقال تعالى ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمُنْشرِين فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، أهم خيرٌ أم قوم تبَّع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين ، وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ إلى آخر السورة . وقال تعالى ﴿ والذاريات ذرواً — إلى قوله — إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ وقال تعالى ﴿ والطور وكتاب مسطور — إلى قوله — إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع ، يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً ، فويل يومئذ للمكذبين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ، وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداع إلى شيء نكر . خُشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ الآيات . وقوله تعالى ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة

أدهى وأمر ﴾ وقال تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ إلى آخر السورة ، وسورة الواقعة بتمامها ، وقال تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبؤهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد — إلى قوله — ثم ينبؤهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ . وقال تعالى ﴿ ويوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون ، يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ الآيات ، وسورة الحاقة بكمالها ، وقال تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ وقال تعالى ﴿ وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوّى بنانه ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدًى ، ألم يك نطفة من منىّ يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ وجاء جوابه فى الحديث « بلى إنه على كل شيء قدير » وقال تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ الآيات بل السورة بتمامها ، وجميع السور التى بعدها : المرسلات والنبأ والنازعات وعبس التكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور ، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل

ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر فى بدنه ويستدل به على إعادته ، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرّة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها ، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة ، فيقول عز وجل ﴿ كذلك الخروج — كذلك النشور — كذلك تخرجون — كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

وأما الأحاديث فى هذا الباب فكثيرة جداً ، وقد تقدم كثير منها فى مواضع متفرقة ، وقال البخارى رحمه الله تعالى « حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته . وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفواً أحد » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى مسنده « حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « بصق يوماً فى كفه فوضع عليها إصبعه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى بنى آدم أنىّ تعجزنى وقد خلقتك مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق ، وأنىّ أوان الصدقة » . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن يزيد بن هرون عن حريز بن عثمان به . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحيي الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم » قال : ونزلت الآيات من آخر يس . وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فذكر أحاديث ، منها : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أى عظم هو يا رسول الله ؟ قال : عجب الذنب » وفيه من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب » . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين النفختين أربعون — قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت — ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . قال : وليس من الإنسان شىء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » . ورواه البخارى عن عمر ابن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه ، دون قوله « ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء » وتقدم حديث عبد الله بن عمرو قريباً وفيه « ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا . قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ، ثم يرسل الله — أو قال ينزل الله — مطراً كأنه الطل — أو الظل ، نعمان الشاك — فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسئولون ، قال ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقول : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق » . وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة ، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش ، فلا أدرى كذلك كان أم بعد النفخة » وفى حديث الصور الآتى قريباً إن شاء الله « ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء أن تمطر ، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم إثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت ، فتنبت كنبات الطراثيث — أو كنبات البقل — حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل : ليحى حملة العرش ، فيحيون . ويأمر الله عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول : ليحى جبريل وميكائيل ، فيحييان . ثم يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها ، تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور ،

ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث ، فينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الأجساد كما يمشى السم فى اللديغ ، ثم تنشق الأرض عنهم ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون » الحديث ، وروى الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه وفى كتاب السنة له قال : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدّث بذلك عنى ، قال حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، قال لقيط : خرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام فى الناس خطيباً فقال « أيها الناس ألا إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ، ألا لتسمعوا اليوم . ألا فهل امرىء بعثه قومه فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال ، ألا إنى مسئول ، هل بلغت ؟ ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا . فجلس الناس . وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك فقال : ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل ، وأشار بيده ، فقلت : ما هن يا رسول الله ؟ قال : علم المنية ، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه . وعلم المنى حين يكون فى الرحم ، قد علمه وما تعلمونه . وعلم ما فى غد ، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه . وعلم يوم الغيث ، يشرف عليكم أزلين (١) مشفقين ، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب . قال لقيط : فقلت لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله . قال : وعلم يوم الساعة . قلنا يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم ، فإنا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد ، من مذحج التى تدنو علينا ، وخثعم التى توالينا ، وعشيرتنا التى نحن منها . قال : تلبثون فيها ما لبثتم ، ثم يتوفى نبيكم ،

---

(١) الأزل : الشدة والضيق والحرب .

ثم يبعث الصيحة ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك عز وجل يطوف فى الأرض وخلت البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه ، فيستوى جالساً ، فيقول ربك مهيم لما كان فيه ، يقول يا رب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله . فقلت : يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله ، الأرض أشرف عليها وهى فى مدرة بالية ، فقلت لا تحيا أبداً ، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهوأقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء (١) ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم . قال قلت : يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبئك بمثل هذا فى آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون فى رؤيتهما . قلت : فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم ، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء ، وأما الكافر فينضحه — أوقال فينطحه — تمثل الحميم الأسود ، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثرة الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حسن يقول ربك عز وجل أو إنه ، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ والله ناهلة قط ما رأيتها ، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها واحداً . قال قلت : يا رسول الله فيم نبصر ؟ قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار . قال قلت : يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو . قال قلت : يا رسول الله ما الجنة وما النار ؟ قال لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار

---

(١) الأصواء : القبور ، أصلها من الصوى وهى الأعلام .

من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة ولعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات ؟ قال : المصلحات للصالحين وفى لفظ الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم فى الدنيا غير أن لا تولدقال لقيط : فقلت يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه ؟ فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم . قال قلت : يا رسول الله علام أبايعك . فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره . قال قلت : يا رسول الله وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وظن إنى مشترط ما لا يعطينيه . قال قلت : نحلُّ منها حيث شئنا ولا يجنى على امرىء إلا نفسه . فبسط يده وقال : لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال فانصرفنا عنه ثم قال : ها إن ذين ، ها إن ذين (مرتين) ، من اتقى الناس فى الأولى والآخرة . فقال له كعب بن الحدارية أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال بنو المنتفق بنو المنتفق أهل ذلك منهم قال فانصرفنا . وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم ؟ فقال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المنتفق لنى النار . قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهى ولحمه مما قال لأبى على رءوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلى ، لعمر الله حيث ما أتيت على قبر (كافر) عامرى أو قرشى أو دوسى قل : أرسلنى إليك محمد ، فأبشر بما يسوؤك ، تجر على وجهك وبطنك فى النار . قال قلت : يا رسول الله وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذلك بأن الله بعث فى آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين » . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : حدثنا محمد بن منصور الجواز أبو عبد الله قال حدثنا يعقوب بن عيسى الزهرى قال حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ثم السمعى عن دلهم ابن الأسود بن عبد الله عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، قال فقدمنا المدينة

لانسلاخ رجب ، فصلينا معه صلاة الغداة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة فى بعض الألفاظ . وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه فى الهدى عن زوائد المسند : هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما فى الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد ابن إسماعيل البخارى ، ورواه أئمة السنة فى كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته ، فمن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه وفى كتاب السنة وقال : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عنى . ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل فى كتاب السنة له . ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال فى كتاب المعرفة . ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان ابن أحمد الطبرانى فى كثير من كتبه . ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب السنة . ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ أصبهان . ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه . ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهانى وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم . وقال ابن منده : روى هذا الحديث محمد ابن إسحاق الصنعانى ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما . قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم فى إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة . هذا كلام أبى عبد الله بن منده . قلت : وقال ابن كثير بعد إيراده فى الوفود : هذا حديث غريب جداً ، وألفاظه فى بعضها نكارة ، وقد أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الأشبيلى فى العاقبة ، والقرطبى فى كتاب التذكرة فى أحوال الآخرة . انتهى :

قلت : وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى : قوله

« تهضب » أى تمطر . و « الأصواء » القبور . و« الشربة » بفتح الراء الحوض الذى يجمع فيه الماء ، وبالسكون الحنطة ، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب . وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها . وقوله « حس » كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤمله ، قال الأصمعى : وهى مثل أوه . وقوله : يقول عز وجل « أوانه » ، قال ابن قتيبة : فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم ، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول . و « الطرف » الغائط ، وفى الحديث « لا يصل أحدكم وهو يدافع الطرف والبول » . و « الجسر » الصراط . وقوله : فيقول ربك « مهيم » أى ما شأنك وما أمرك وفيم كنت ؟ وقوله « يشرف عليكم أزلين » الأزل بسكون الزاى الشدة والأزل على وزن الكتف هو الذى قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط . وقوله « فيظل يضحك » هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التى لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته . وقد وردت هذه القصة فى أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها ، وكذلك « فأصبح ربك يطوف فى الأرض » هو من صفات فعله كقوله ﴿ وجاء ربك والملك — هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك ﴾ و « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا — ويدنو عشية عرفة فيباهى بأهل الموقف الملائكة » . والكلام فى الجميع صراط واحد مستقيم : إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل . وقوله « والملائكة الذين عند ربك » لا أعلم موت الملائكة جاء فى حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل بن رافع الطويل فى الصور ، وقد يستدل عليه بقوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ . وقوله « فلعمر إلهك » هو قسم بحياة الرب جل جلاله ، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وأنها قديمة وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها . وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وإن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر ، دالة عليها . وقوله « ثم تجيء الصائحة » هى صيحة البعث ونفخته . وقوله « حتى يخلف من عند رأسه » هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشأة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعدما حصد وتلك الخلقة من عند رأسه كما ينبت الزرع . وقوله « فيستوى جالساً » هذا عند تمام خلقته وكمال حياته ، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً ، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً

وإما ماشياً . وقوله « يقول يا رب أمس اليوم » استقلالا لمدة لبثه فى الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمس أو بعض يوم فقال اليوم يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم . وقوله « كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع » ؟ وإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون فى دقائق المسائل ، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان ، بل كانوا مشغولين بالعمليات ، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعمليات . وفيه دليل أنهم كانوا يوردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات ، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم وقد أورد عليه صلى الله عليه وسلم الأسئلة أعداؤه وأصحابه ، أما أعداؤه فللتعنت والمغالبة ، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان ، وهو يجيب كلا على سؤاله ، إلا ما لا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة . وفى هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئها نشأة أخرى أو يخلقه خلقاً جديداً كما سموا فى كتابه كذلك فى موضعين منه ، وقوله « أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله » آلاؤه نعمه وآياته التى تعرف بها إلى عباده ، وفيه إثبات القياس فى أدلة التوحيد والمعاد ، والقرآن مملوء منه ، وفيه أن حكم الشىء حكم نظيره وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شىء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله ، فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد فى كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر ، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً فى حكمه ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً . وقوله فى الأرض « أشرفت عليها وهى مدرة بالية » كقوله تعالى ﴿ يحيى الأرض بعد موتها ﴾ ، وقوله ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ ونظائره فى القرآن كثيرة . وقوله « فتنظرون إليه وينظر إليكم » فيه إثبات صفة التجلى لله عز وجل وإثبات النظر له وإثبات رؤيته فى الآخرة ونظر المؤمنين إليه . وقوله « كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد » قد جاء هذا الحديث وفى قوله فى حديث آخر « لا شخص أغير من الله » ، والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص ، بل هم أشرف عقولا وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك ، وحقق صلى الله عليه وسلم وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون .

وقوله « فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قلبكم » فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقوله وإثبات الفعل الذى هو النضح . و « الريطة » الملاءة . و « الحمم » جمع حممة وهى الفحمة . وقوله « ثم ينصرف نبيكم » هذا إنصراف من موضع القيامة إلى الجنة . وقوله « ويفرق على أثره الصالحون » أي يفزعون ويمضون على أثره . قوله « فتطلعون على حوض نبيكم » ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر . وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم : هلم ، فقلت : إلى أين ؟ فقال إلى النار والله . قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار . قلت : وليس بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعارض ولا تناقض ولا اختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً ، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبى هريرة هذا وغيره يرد قولهم ، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط ، فإن قوله « طوله شهر وعرضه شهر » فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذى يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنين قبل الصراط وبعده ، فهذا فى حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم . وقوله « والله على أظمأ ناهلة قط » الناهلة العطاش الواردون الماء ، أى يردونه أظمأ ما هم إليه ، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه إشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه صلى الله عليه وسلم كما وردوه فى موقف القيامة . وقوله « تحبس الشمس والقمر » أى تختفيان فتحتبسان ولا يريان ، والاحتباس التوارى والاختفاء ، ومنه قول أبى هريرة « فانحبست » . وقوله « ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً » يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب هذا المقدار ، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين ، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين : أحدهما أنه لم يصرح فيه رواية بالرافع بل قال : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً ، والثانى

أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه والله أعلم . وقوله فى خمر الجنة « ما بها صداع ولا ندامة » تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال وحصول الشر الذى يوجبه زوال العقل ، و « ماء غير آسن » هو الذى لم يتغير بطول مكثه . وقوله فى نساء الجنة « غير أن لا توالد » قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة ؟ على قولين : فقالت طائفة لا يكون فيها حبل ولا ولادة ، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه فى المسند وفيه « غير أن لا منى ولا منية » . وأثبتت طائفة من السلف الولادة فى الجنة واحتجت بما رواه الترمذى فى جامعه من حديث أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى » قال الترمذى حسن غريب ، ورواه ابن ماجه . قالت الطائفة الأولى : هذا لا يدل على وقوع الولادة فى الجنة فإنه عاقه بالشرط فقال إذا اشتهى ، ولكنه لا يشتهى ، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه ، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء ، قالوا والجنة دار خلود ولا موت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم ، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت . وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت « إذا » إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه ، وقد صح أنه سبحانه ينشىء فى الجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل ، قالوا وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل ، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم ، فإن أدناهم من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى عام ، وقوله « يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون » لا جواب لهذه المسألة لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله ، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهي إليه من ذلك وإن كان الانتهاء إلى نعيم وجحيم ، ولهذا لم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم . وقوله فى عقد البيعة « وزيال المشرك » أى مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولا تواليه ، كما جاء فى الحديث الذى فى السنن « لا ترى ناراهما » يعنى المسلمين والمشركين . وقوله « حيث ما مررت بقبر كافر فقل أرسلنى إليك محمد » هذا إرسال تقريع وتوبيخ ، لا تبليغ أمر ونهى ، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم ، ودليل على أن من مات مشركاً فهو فى النار وإن مات قبل البعثة ، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه ، وليس معهم حجة من الله به ، وقبحه

والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن ، فلله الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت ، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر ، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها ، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد فى الأرض معلومة لأهلها ، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل . والله أعلم .

فصل

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف : صنف أنكروا المبدأ والمعاد ، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها ، ليس لها رب يتصرف فيها ، إنما هى أرحام تدفع وأرض تبلع ، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية .

والصنف الثانى من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية ، وهم منكرون للخالق أيضاً ، ويعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا فى المعقول وكذبوا المنقول ، قبحهم الله تعالى . وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران : الأول معنى قولهم ﴿ نموت ونحيا ﴾ أى يموت الآباء ويحيي الأبناء هكذا أبداً ، وهو قول الطائفة الأولى . والمعنى الثانى أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حساب ولا جزاء ، بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازى ، وهذا قول الدورية .

الصنف الثالث الدهرية من مشركى العرب ومن وافقهم ، وهم مقرون بالبداءة وإن الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ .ومع هذا قالوا ﴿ إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين ﴾ فأقروا بالبداءة والمبدئ ، وأنكروا البعث والمعاد ، وهم المذكورون فى حديث أبى هريرة الصحيح « وأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىَّ من إعادته » .

والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم ، أقروا بمعاد ليس على ما فى القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل ، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدماً محضاً ، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره ، فحينئذ تكون الأرض التى تحدث

أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هى هذه ، وتكون الأجساد التى تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصى ليست هى التى أعيدت بل هى غيرها ، والأبدان التى تنعم فى الجنة وتثاب ليست هى التى عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال ، بل هى غيرها تبتدأ ابتداء محضاً ، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى ! وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله فيهم فى كافيته :

وقضى بأن الله يجعل خلقه ... عدماً ويقلبه وجودا ثانى
العرش والكرسى والأرواح والا ... أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائر الا ... أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا ... يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً ... محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدأ لدى ... جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذى قاد ابن سينا والألى ... قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا ... أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا ... أو عبده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع ... لهمو على الإيمان والإحسان
بل صرح الوحى المبين بأنه ... حقاً مغير هذه الأكوان
فيبدل الله السماوات العلى ... والأرض أيضاً ذان تبديلان
وهما كتبديل الجلود اساكنى النيران عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماءه ... بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الأرض التى كنا بها ... أخبارها فى الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهى عدل بالذى ... من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذى هو كاسمه ... لا شىء هذا ليس فى الإمكان
لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ... ثم تبدل وهى ذات كيان
وتمد أيضاً مثل مد أديمنا ... من غير أودية ولا كثبان
وتقىء يوم العرض من أكبادها ... كالاسطوان نفائس الأثمان
كل يراه بعينه وعيانه ... ما لا مرىء بالأخذ منه يدان
وكذا الجبال تفت فتاً محكما ... فتعود مثل الرمل ذى الكثبان

وتكون كالعهن الذي لو أنه ... وصباغه من سائر الألوان
وتبس بسا مثل ذاك فتنثني ... مثل الهباء لناظر الإنسان
وكذا البحار فإنها مسجورة ... قد فجرت تفجير ذي سلطان
وكذلك القمران يأذن ربنا ... لهما فيجتمعان يلتقيان
هذي مكورة وهذا خاسف ... وكلاهما في النار مطروحان
وكواكب الأفلاك تنثر كلها ... كلآلىء نثرت على ميدان
وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً ... وتمور أيضاً أيما موران
وتصير بعد الانشقاق كمثل هذا ... المهل أو تلك وردة كدهان
والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضاً وإنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة ... المأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن
والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسادهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبداً وهم تحت التراب يدان
وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى ... منه تركب خلقة الإنسان
وكذلك الأرواح لا تبلى كما ... تبلى الجسوم ولا بلى اللحمان
ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما ... الأرواح خارجة عن الأبدان
لكنها من بعض أعراض بها ... قامت وذا في غاية البطلان
فالشأن للأرواح بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شان
إما عذاب أو نعيم دائم ... قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طيراً سارحاً مع شكلها ... تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها ... حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريان
فلهم بذاك مزية في عيشهم ... ونعيمهم للروح والأبدان
بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم ... أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهي ... مأوى لها كمساكن الإنسان
فالروح بعد الموت أكمل حالة ... منها بهذي الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي ... قد عاينت أبصارنا بعيان
والقائلون بأنها عرض أبوا ... ذا كله تباً لذي نكران

وإذا أراد الله إخراج الورى بعد الممات إلى المعاد الثانى
ألقى على الأرض التى هم تحتها والله مقتدر وذو سلطان
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ولحومهم كنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السما فتشققت فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت أثقالها أنثى ومن ذكران
والله ينشىء خلقه فى نشأة أخرى كما قد قال فى القرآن
هذا الذى جاء الكتاب وسنة الهادى به فاحرص على الإيمان
ما قال إن الله يعدم خلقه طراً كقول الجاهل الحيران

قوله « هذا المعاد وذلك المبدا لدى جهم » تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهم وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه . وقوله « وهو الذى قاد ابن سينا » هو أبو على بن سينا واسمه الحسن بن عبد الله ، وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم ، له كتاب الإشارات الذى هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلا إلى الأديان ، وكان — فيما ذكر ابن القيم — يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من فى القبور ، وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابى أبى نصر التركى الفيلسوف ، وكان الفارابى هذا قبحه الله يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره ، وقد رد عليه الغزالى فى تهافت الفلاسفة فى عشرين مجلساً له كفره فى ثلاث منها وهى قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجثمانى ، وقوله إن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدعه فى البواقى . قال ابن كثير ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم . قوله رحمه الله « والألى قالوا مقالته إلى الكفران » يعنى بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسى واسمه محمد بن عبد الله ويقال له الخواجا نصير الدين ، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام فى ذلك وقعد وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة ، ويسمى كتاب الله تعالى قرآن العامة ، ورد على الشهرستانى فى مصارعته ابن سينا بكتاب سماه مصارعة المصارع ، قال

وقفنا على الكتابين ، نص فيـــه أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وأنه لا يعلم شيئاً ، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ، ولا يبعث من فى القبور . وذكر عنه أنه تعلم السحر فى آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام ، إلى أن قال : وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . قلت وكان الطوسى هـــذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيراً لهولاكوخان(١) وهو الذى بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة فعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد فى اليوم والليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب فى اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه فى اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم . وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكلام عليه فليراجع . وأما هولاكو خان ملك التتار الذى كان الطوسى وزيراً له فذكر ابن كثير هلاكه فى سنة أربع وستين وستمائة وقال : كان ملكاً جباراً كفاراً لعنه الله تعالى ، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم وسيجازيه على ذلك شر الجزاء . كان لا يتقيد بدين من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق . وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة . وهو كان يترامى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئاً . وإنما كان همته فى تدبير الملك وتملك البلاد شيئاً فشيئاً حتى أباده الله فى هذه السنة وقيل فى سنة ثلاث وستين ودفن فى مدينة تلا . لا رحمه الله تبارك وتعالى

وقول ابن القيم رحمه الله :

بل صرح الوحى المبين بأنه حقـــاً مغير هذه الأكوان إلخ

يشير بذلك إلى قول الله عز وجل ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ الآيات ، وإلى ما فى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد » ، وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد

---

(١) يراجع لحقيقة النصير الطوسى التعليق على (المنتقى من ميزان الاعتدال) صفحة ٢٠ .

الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة » وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ قالت قلت : أين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال « على الصراط » . وفيه من حديث اليهودى الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم فى الظلمة دون الجسر » الحديث ، ولابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن حبراً من اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت إذ يقول الله تعالى فى كتابه ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال « أضياف الله ، فلن يعجزهم ما لديه » ورواه ابن أبى حاتم أيضاً . وفى حديث الصور الطويل عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً . ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم فى هذه المبدلة » . وهذا هو الذى أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله : وتمد أيضاً مثل مد أديمنا إلخ البيت . وقوله : وهما كتبديل الجلود لساكنى النيران إلخ يشير إلى قول الله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ ووجه المشابهة بين التبديلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودى فعادت كما كانت ، ومعنى قوله « غيرها » أى صارت غيرها لعودها بعد ما نضجت واحترقت ، وإلا فهى هى التى عملت المعاصى فى الدنيا وبها تجازى فى الآخرة . وقال ابن عباس رضى الله عنهما يبدلون جلوداً بيضاً أمثال القراطيس ، يعنى تجدد لهم الجلود التى نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبداً والعياذ بالله ، وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهى هى . والله أعلم .

وقوله رحمه الله تعالى : وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه إلخ . يشير إلى قول الله تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ . وفى الصحيحين عن ابن مسعود

رضى الله عنه قال : جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ الآية . وللإمام أحمد والترمذى رحمهما الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه ؟ وأشار بالسبابة ، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه ، كل ذلك ويشير بأصابعه ، قال فأنزل الله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية ، وفى الصحيحين أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » وفى لفظ لمسلم « يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك — ويقبض أصابعه ويبسطها — أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه حتى إنى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ولفظ أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر : يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم ، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به » ولابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله فى يده بمنزلة خردلة .

وقوله رحمه الله تعالى « وتحدث الأرض التى كنا بها ، أخبارها إلخ » يشير إلى قوله تعالى ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ﴾ وروى الإمام أحمد والترمذى

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال « أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا . فهذه أخبارها » ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لهيعة حدثنى الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجدسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحفظوا من الأرض فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهى مخبرة »، وقال البخارى رحمه الله تعالى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها واحد . وكذا قال ابن عباس . وعنه رضى الله عنه قال : قال لها ربها قولى فقالت . وقال مجاهد : أوحى لها أى أمرها

وقوله رحمه الله تعالى :

وتقىء يوم العرض من أكبادها كالأسطوان نفائس الأثمان

كل يراه بعينه إلخ . يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ وإلى ما رواه مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ، ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ، ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً .

وقوله « وكذا الجبال تفت فتاً محكماً إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً ، فيذرها قاعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ الآية ، وقوله عز وجل ﴿ وبست الجبال بساً ، فكانت هباء منبثاً ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ وفى آية القارعة ﴿ كالعهن المنفوش ﴾ وقوله عز وجل ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ وقوله عز وجل ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ﴾ وما فى معانيها من الآيات . قال ابن عباس رضى الله عنهما : سأل رجل من ثقيف رسول الله

صلى الله عليه وسلم : كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿ فقل ينسفها ربى نسفاً ﴾ أى يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييراً فيذرها أى الأرض قاعاً صفصفاً أى بسطاً واحداً ، والقاع هو المنبسط المستوى من الأرض والصفصف الأملس ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ أى لا ترى فى الأرض يومئذ وادياً ولا رابية ولا صدعاً ولا أكمة ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً . كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى . وقوله تعالى ﴿ تحسبها جامدة ﴾ أى قائمة واقفة ﴿ وهى تمر مر السحاب ﴾ أى تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض ، قال البغوى رحمه الله تعالى : وذلك أن كل شىء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو فى حسبان الناظر واقف وهو سائر ، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها ، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر . وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم فى قوله تعالى ﴿ وبست الجبال بساً ﴾ : أى فتتت فتاً . وقال عطاء ومجاهد ومقاتل : فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول . قال سعيد بن المسيب والسدى : كسرت كسراً . وقال الكلبى : سيرت على وجه الأرض تسييراً . وقال الحسن : قلعت من أصلها فذهبت . ونظيرها ﴿ فقل ينسفها ربى نسفاً ﴾ وقال ابن كيسان : جعلت كثيباً مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة ، ﴿ فكانت هباء منبثاً ﴾ غباراً متفرقاً كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء . وقال أبو إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه ﴿ هباء منبثاً ﴾ : كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شىء . وقال العوفى عن ابن عباس : الهباء يطير من النار إذا اضطرمت ، يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئاً . وقال عكرمة : المنبث الذى قد ذرته الريح وبثته . وقال قتادة : هباء منبثا ، كيبيس الشجر الذى تذروه الرياح ، وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى : العهن الصوف ، وقال البغوى : كالصوف المصبوغ ، ولا يقال عهن إلا للمصبوغ . وقال الحسن : كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف . وقال : المنفوش المندوف . وقال ابن كثير : المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق . وقال فى قوله ﴿ كثيباً مهيلا ﴾ : أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت

حجارة صماء . وقال البغوى : رملا سائلا . قال الكلبي : هو الرمل الذى إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده ، يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه . وقال ﴿ نسفت ﴾ قلعت من أماكنها . وقال ابن كثير : ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر . وقال فى ﴿ فكانت سراباً ﴾ : أى يخيل إلى الناظر أنها شىء ، وليست بشىء ، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر . وقال فى ﴿ وتسير الجبال ﴾ : تذهب عن أماكنها وتزول . ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ أى بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ، ولا مكان يوارى أحداً ، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقتادة ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ : لا حجر فيها ولا غيابة . وقال قتادة أيضاً : لا بناء ولا شجر . وقال البغوى : ﴿ فدكتا ﴾ كسرتا ﴿ دكة ﴾ كسرة ﴿ واحدة ﴾ . قال : وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ، ثم عهناً منفوشاً ، ثم تصير هباء منثوراً .

وقوله رحمه الله تعالى : وكذا البحار فإنها مسجورة ، قد فجرت إلخ يشير إلى قوله تعالى ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : فجر الله تعالى بعضها فى بعض . وقال الحسن : فجر الله تعالى بعضها فى بعض فذهب ماؤها . وقال قتادة : اختلط عذبها بمالحها . وقال الكلبي : ملئت . وقوله تعالى ﴿ سجرت ﴾ قال ابن عباس : أوقدت فصارت ناراً تضطرم . وقال مجاهد ومقاتل : يعنى فجر بعضها فى بعض ، العذب والملح ، فصارت كلها بحراً واحداً . وقال الكلبي : ملئت . وقيل : صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار . وقال الحسن : يبست . وهو قول قتادة ، قال : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة . والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها فى بعض فتمتلىء ثم تسجر ناراً فيذهب ماؤها ، ولهذا جمع ابن القيم رحمه الله تعالى بينهما فقال « مسجورة قد فجرت » والله تعالى أعلم

وقوله رحمه الله تعالى « وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان » إلخ يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ وخسف القمر – وجمع الشمس والقمر ﴾ وقوله ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ خسف : أظلم وذهب نوره وضوؤه . ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ أى صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ : أظلمت . وقال العوفى عنه : ذهبت . وقال مجاهد :

اضمحلت وذهبت : وكذا قال الضحاك . وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير : كورت غورت . وقال ربيع بن خيثم : رمى بها . وقال أبو صالح ألقيت . وعنه أيضاً : نكست . وقال زيد بن أسلم : تقع فى الأرض . وقال ابن جرير : والصواب عندنا من القول فى ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ، ومنه تكوير العمامة ، وجمع الثياب بعضها على بعض ، فمعنى قوله تعالى ﴿ كورت ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها . ولابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال : يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله تعالى ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً . وكذا قال عامر الشعبي . ولابن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله قال فى قول الله تعالى ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال « كورت فى جهنم » وللبخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » . وللبزار عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة » .

وقوله رحمه الله تعالى « وكواكب الأفلاك تنثر كلها إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أى محى نورها وذهب ضوؤها . وانكدرت : تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض . يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه . قال الكلبي وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع .

وقوله رحمه الله تعالى « وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً وتمور » إلخ يشير إلى قوله تعالى ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وقوله تعالى ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ وقوله ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ﴾ وقوله عز وجل (السماء منفطر به ﴾ وقوله تعالى ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ وقوله تعالى ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ وقوله تعالى ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ وقوله عز وجل ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ وقوله ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ قوله ﴿ انشقت ﴾ : أى صارت أبو اباً لنزول الملائكة ﴿ فكانت وردة ﴾ عن ابن عباس : تغير لونها ، وعنه قال كالفرس الورد . وقال أبو صالح : كالبرذون الورد . وحكي البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون

فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد اغبر لونها ، فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه . ﴿كالدهان﴾ قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع هو جمع دهن ، شبه السماء فى تلونها بلون الورد من الخيل ، وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ، وقال عطاء بن أبى رباح : كالدهان كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألواناً ، وقال مقاتل : كدهن الورد الصافى ، وقال ابن جريج : تصير السماء كالدهن الذائب ، وذلك حين يصيبها حر جهنم . وقال ابن عباس والكلبى : كالدهان أى كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن . وقال عطاء الخراسانى : كلون الدهن فى الصفرة ، وقال قتادة : هى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان ، وقال ابن كثير رحمه الله : تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهرى : الطش المطر الضعيف . وقوله تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكاً ، وعنه : هو تشققها . وقال مجاهد : تدور دوراً ، وقال الضحاك : استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها فى بعض ، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك فى استدارة . وقال عطاء الخراسانى : تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض ، وقيل تضطرب ، وقال البغوى : تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة . قال : والمور يجمع هذه المعانى كلها : فهو فى اللغة الذهاب والمجيء ، والتردد والدوران ، والاضطراب . وقال تعالى ﴿وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ، والملك على أرجائها﴾ عن على قال : تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبى حاتم ، والملك اسم جنس — أى الملائكة — على أرجاء السماء ، قال ابن عباس على ما لم ير منها أى حافاتها . وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعى ، وقال الضحاك : أى أطرافها ، وقال الحسن البصرى : أبوابها وقال الربيع بن أنس : على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض . وقوله تعالى ﴿السماء منفطر به﴾ : متشقق . قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله ، و ﴿فرجت﴾ قال ابن كثير : أى انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها .

وقوله رحمه الله « والعرش والكرسى لا يفنيهما إلخ » وكذا قوله « والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى إلخ » يعنى أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء ، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه ، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها فى مواضع كثيرة من كتابه ، وسيأتى ذكر ما تيسر منها . وقد جاء فى تفسير قوله ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ : إن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب ، وقد قال الإمام أحمد فى ذلك : إنه هو اعتقاد السلف الصالح . قال فإن احتج مبتدع بقوله عز وجل ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ و ﴿ كل من عليها فان ﴾ قيل إن المراد كل شىء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان . ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور فى سورة الزمر ، وأيضاً فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت . وكذا جاء فى العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل عليه السلام عند موته كما فى حديث الصور الطويل . وقوله « ولأجل هذا قال جهم إنها عدم إلخ » يعنى أن الجهم إلحاداً فى آيات الله جميعها ، فكما ألحد فى آيات الأسماء والصفات ألحد أيضاً فى آيات الوعد والوعيد ، وجحد وجود الجنة والنار الآن ، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضاً بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما ، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتى إن شاء الله . وقوله رحمه الله :

والأنبياء فإنهم تحت الثرى   أجسادهم حفظت من الديدان إلخ

يشير إلى ما فى السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة . فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علىّ . قالوا : يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال يقولون : بليت . قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » وقال ابن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد ابن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لا يصلى علىّ إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ . قال : قلت وبعد الموت ؟ قال إن الله حرم

على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ، ورواه ابن ماجه بإسناد جيد ، وفى رواية للطبرانى « ليس من عبد يصلى علىَّ إلا بلغنى صلاته . قلنا : وبعد وفاتك ؟ قال : وبعد وفاتى ، إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » . والأحاديث فى بلوغ صلاتنا إليه ، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جداً ، وبعضها فى الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد .

وقد ثبت أيضاً فى أجساد الشهداء أنها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء ، كما قال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال « لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علىَّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا وكان أول قتيل ، فدفنت معه آخر فى قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه » . ولأصحاب السنن عنه رضى الله عنه من حديث طويل ، وفيه فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته ، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل » . وللبيهقى عنه رضى الله عنه قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً » . وفى رواية ابن إسحاق عنه قال « فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس » ، وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى مناديه : من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ، ووجدنا جاره فى قبره — عمرو بن الجموح — ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً . ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضى الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا . وفى ذلك آثار كثيرة .

وقوله رحمه الله تعالى « وكذلك عجب الظهر لا يبلى إلخ » ، يشير إلى حديث أبى هريرة المتقدم قريباً وفيه « وليس من الإنسان شىء إلا سيبلى ، إلا عظماً وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » .

وقوله رحمه الله تعالى « وكذلك الأرواح لا تبلى إلخ » يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريباً من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أن الأرواح ليست

هى مطلق حياة الجسم العارضة ، بل هى حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه ، وهى النسمة التى يموت الإنسان بخروجها من جسده ، وأنها لها حقيقة ، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط ، وأنها بعد مفارقتها الجسد إما أن تنعم أو تعذب ، وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله ، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد ، وأنها تجمع فى الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله ، فتطير كل روح إلى جسدها الذى كانت تعمره فى الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم فى اللديغ حتى يقوم بشراً سوياً ، وأنها بعد خروجها من الجسد تكلم وتكلم وتسأل وتجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة ، وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه ، ولهذا لما سألت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عنه أنزل الله تعالى جوابهم ﴿ قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . وقوله رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما الأرواح خارجة من الأبدان

لكنها من بعض أعراض بها إلخ » .

يعنى أن مذهب الجهم فى الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أن الروح ليس شيئاً يقوم بنفسه بل عرض والعرض فى اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر ، فمنزلة الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر ، يذهب بذهابه بل قد يذهب البصر والسمع والذات التى يقوم بها موجودة ، فجحدوا أن لكون النفس التى هى الروح شيئاً قائماً بنفسه ، وأنه ينفخ فى الجنين فى بطن أمه بعد الأربعين الثالثة ، وأن ، ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ، وجحدوا كونها شيئاً يساق وينزع عند الموت ويعرج بها إلى الله عز وجل فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إن كانت مسيئة ، ولا أن روح الأنبياء والمؤمنين فى الرفيق الأعلى وأرواح الكفار فى سجين ، فكذبوا بالكتاب ، وبما أرسل الله به رسله ، فضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . وقوله رحمه الله تعالى :

« فالشأن للأرواح عند فراقها أبدانها والله أعظم شان »

يعنى أنه أعظم شأناً من الحياة الدنيا ، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عياناً ، والغيب شهادة والمستور مكشوفاً ، والمخبأ ظاهراً ، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم

اليقين كعين اليقين ، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحاً وسروراً ، والمكذب يرى ويجد حوّر تكذيبه بذلك ، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره ، وكل يفضى إلى ما قدم .

وقوله « إما نعيم أو عذاب إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم ﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وغير ذلك مما فى معناه من الآيات . وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث فى أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر ، فليرجع إليه ، ولله الحمد والمنة .

وقوله رحمه الله « وتصير طيراً سارحاً مع شكلها إلخ » يشير إلى حديث كعب ابن مالك المسلسل بالأئمة « نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » . وقوله رحمه الله تعالى : « لكن أرواح الذين استشهدوا فى جوف طير أخضر إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ الآيات وما فى معناها . وفى الصحيح من حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ قال إنّا قد سألنا عن ذلك فقال « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى القناديل ، فاطلع إليهم ربهم عز وجل اطلاعه فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا أى شيء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يَسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » وغير ذلك من الأحاديث . وقوله :

وإذا أراد الله إخراج الورى بعد الممات إلى معاد ثان
ألقى على الأرض التى هم تحتها مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً — إلخ

يشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بطوله وفيه « ثم يرسل الله — أو قال ينزل الله — تعالى مطراً كأنه الطل أو الظل ، فتنبت منه أجساد الناس » الحديث.

وفى حديث الصور الطويل « ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل » وهو الذى عناه بقوله « عشراً وعشراً بعدها عشران » .

وقوله « أوحى لها رب السما فتشققت إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ ، وقوله ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ﴾ قال ابن عباس : بحثت وقال السدى : تبعثر تحرك فيخرج من فيها ، وقال البغوى : بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء ، يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه ، وقال فى الآية الأخرى ﴿ إذا بعثر ﴾ : أثير وأخرج ﴿ ما فى القبور ﴾ أى من الأموات .

وقوله « وتخلت الأم الولود إلخ » يشير إلى قوله تعالى ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ قال مجاهد وسعيد وقتادة : ألقت ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم . اهـ

وقوله « وأخرجت أثقالها إلخ » يشير إلى قوله عز وجل ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها — إلى قوله — بأن ربك أوحى لها ﴾ قال ابن كثير رحمه الله : يعنى ألقت ما فيها من الموتى ، قاله غير واحد من السلف : وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان . وقال البغوى رحمه الله : أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها . وقوله رحمه الله « والله ينشى خلقه » أى هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم « فى نشأة أخرى إلخ » يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾ فهذه هى النشأة الأولى قال تعالى ﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾ وهو البعث بعد الموت قال تعالى ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ وما فى معنى ذلك من الآيات والأحاديث . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد ما فرقهم وينشرهم بعد ما مزقهم ، ويعيدهم كما خلقهم ، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض ، إنه كان عليما قديراً ﴾ .

وقوله « ما قال إن الله يعدم خلقه إلخ » أى لم يقل الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم إنه يعدمهم العدم المحض ويأتى بغيرهم ، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات فى الدنيا ، ولا إن المعذب غير من مرد على المعاصى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة — وما ربك بظلام للعبيد — وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ ، بل قال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ ، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها ، وهم الذين يخرجهم منها ، ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم » ولم يقل إنه غيركم الذى يخرج . والكلام فى هذا الباب يطول جداً ، والنصوص فيها لا تحصى كثرة ، وإنما أشرنا إلى بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان . إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التى سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار والإيجاز ولله الحمد والمنة . ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور .

(وبقيامنا بنفخ الصور) [1] أى وكما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل فى ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذى جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور ، وهو القرن الذى وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم فى ذكر الملائكة . وقد ذكر الله عز وجل النفخ فيه فى مواضع من كتابه ، كقوله عز وجل ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ . ولنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره من الأحاديث وبالله التوفيق . قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الأخرى : وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبرانى فى كتابه المطولات قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصرى الأيلى حدثنا أبو عاصم

---

(١) البيت كما تقدم فى المنظومة :

وباللقا والبعث والنشور وبقيامنا من القبور

النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه فقال : « إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره فى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت : يا رسول الله وما الصور ؟ قال « القرن » قلت : كيف هو ؟ قال « عظيم ، والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات : النفخة الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهى كقول الله تعالى ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾ فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً ، ثم ترتج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة المرمية فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق فى العرش ترجرجه الرياح ، وهو الذى يقول ﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ﴾ فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار ، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ، ويولى الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ، ينادى بعضهم بعضاً . وهو الذى يقول الله تعالى ﴿ يوم التناد ﴾ فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم . ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأموات لا يعلمون بشىء من ذلك » قال أبو هريرة : يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول ﴿ ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ ؟ قال « أولئك الشهداء » وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه » قال « وهو الذى يقول الله عز وجل ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ فيقومون فى ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول ، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ،

فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول : يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت ، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول : يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا ، فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل ، فينطق الله تعالى العرش فيقول : يارب يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول : اسكت فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى ، فيموتان . ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول : يارب قد مات جبريل وميكائيل ، فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا . فيقول الله تعالى : لتمت حملة العرش . فتموت ، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يأتى ملك الموت فيقول : يارب قد مات حملة عرشك . فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول : يارب ، بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا . فيقول الله تعالى : أنت خلق من خلقى ، خلقتك لما رأيت ، فمت . فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولا ، طوى السموات والأرض طى السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول : أنا الجبار أنا الجبار (ثلاثاً) ، ثم هتف بصوته : لمن الملك اليوم (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحد . ثم يقول لنفسه : لله الواحد القهار . يقول الله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم فى هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى : من كان فى بطنها كان فى بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها . ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء أن تمطر ، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل ، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت ، قال الله عز وجل : ليحيى حملة عرشى ، فيحيون ، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول : ليحيى جبريل وميكائيل ، فيحييان ، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل أن

ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الأجساد كما يمشى السم فى اللديغ ، ثم تنشق الأرض عنهم ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ حفاة عراة غرلا ، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان ، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا ؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتونى فانطلق إلى الفحص فأخر ساجداً » . قال أبو هريرة : يا رسول الله وما الفحص ؟ قال « قدام العرش ، حتى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدى ويرفعنى فيقول لى : يا محمد . فأقول : نعم يا رب ، فيقول عز وجل : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، فأقول : يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم ، قال الله : قد شفعتك ، أنا آتيكم أقضى بينكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرجع فأقف مع الناس ، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فهالنا ، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا وهو آت . ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وهو آت ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ، حتى ينزل الجبار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم ، لهم زجل فى تسبيحهم يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان الحى الذى لا يموت ، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس قدوس قدوس ، سبحان

ربنا الأعلى رب الملائكة والروح ، سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت . فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ، ثم يهتف بصوته فيقول : يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصتُّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم ، فأنصتوا إلى ، فإنما أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه . ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴾ أو ﴿ بها تكذبون ﴾ شك أبو عاصم ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فيميز الله الناس وتجثو الأمم ، يقول الله تعالى ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ فيقضى الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجنْ والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضى للجماء من ذات القرن . فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها : كونى تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتنى كنت تراباً ، ثم يقضى الله تعالى بين العباد : فكان أول ما يقضى فيه الدماء ، ويأتى كل قتيل فى سبيل الله ، ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول : يارب فيم قتلنى هذا ؟ فيقول — وهو أعلم — فيم قتلتهم ؟ فيقول : قتلتهم لتكون العزة لك ، فيقول الله له : صدقت ، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة ، ثم يأتى كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول : يارب قتلنى هذا ؟ فيقول تعالى وهو أعلم : لم قتلتهم ؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لى ، فيقول : تعست ، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه . ثم يقضى الله تعالى بين من بقى من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء . فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق : ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله ، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار ، وهو الذى يقول ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم

المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال : يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون ، فيقولون والله والله ما لنا إله إلا الله ، وما كنا نعبد غيره ، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم ، فيخرون للأذقان سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ، ويجعل الله عز وجل أصلابهم كصياصى البقر . ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهرانى جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة ، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال ، فناج سالم ، وناج مخدوش ، ومكدوس على وجهه فى جهنم . فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام ؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا . فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله . فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلا ، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجياً وكلمه وأنزل عليه التوراة . فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول : لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم . فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول : ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى ولى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن ، فأنطلق فآتى الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لى فأحيًّا ويرحب بى ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربى خررت له ساجداً فيأذن الله لى من تحميده وتمجيده بشىء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعط ، فإذا رفعت رأسى يقول الله تعالى — وهو أعلم — ما شأنك ؟ فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة فيدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك ، وقد أذنت لهم فى دخول الجنة » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذى نفسى بيده ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم » فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى فى الدنيا ، فيدخل على الأولى فى غرفة من ياقوتة

على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق ، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت . كبدها له مرآة وكبده لها مرآة ، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكى قبلها . فبينا هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أنه لا منى ولا منية . إلا أن لك أزواجاً غيرها . فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له : والله ما أرى فى الجنة شيئاً أحسن منك ولا فى الجنة شىء أحب إلىّ منك . وإذا وقع أهل النار فى النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم ، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأقول يارب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى ، فيقول أخرجوا من عرفتم ، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد . ثم يأذن الله تعالى فى الشفاعة فلا يبقى نبى ولا شهيد إلا شفع ، فيقول الله تعالى : أخرجوا من وجدتم فى قلبه زنة دينار إيماناً ، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم فى قلبه إيماناً ثلثى دينار ، ثم يقول ثلث دينار ، ثم يقول ربع دينار ، ثم يقول قيراط ، ثم يقول حبة من خردل ، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى فى النار من عمل لله خيراً قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع ، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له . ثم يقول : بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده فى جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، فما يلى الشمس منها أخيضر وما يلى الظل منها أصيفر ، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر ، مكتوب فى رقابهم : الجهنميون عتقاء الرحمن ، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيراً لله قط ، فيمكثون فى الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب فى رقابهم ، ثم يقولون : ربنا امح عنا هذا الكتاب ، فيمحوه الله عز وجل عنهم » .

قال ابن كثير ثم ذكره بطوله ثم قال : هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة ، وفى بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل ابن رافع قاضى أهل المدينة ، وقد اختلف فيه : فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ،

ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبى حاتم الرازى وعمرو بن على الفلاس ، ومنهم من قال فيه هو متروك ، وقال ابن عدى أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه فى جملة الضعفاء : قال رحمه الله تعالى : قلت وقد اختلف عليه فى إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها فى جزء على حدة ، وأما سياقه فغريب جداً ، ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول إنه رأى للوليد ابن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ، فالله أعلم . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور ؟ فقال قرن ينفخ فيه » وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر ، فقالوا : يا رسول الله وما تأمرنا ؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

(غــرلاً حفــاة) الأغرل الأقلف ، حفاة غير منتعلين **(كجراد منتشر)** شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه فى بعض وهم كذلك . قال الله تعالى ﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شىء نكر ، خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ . وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » . وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ الآية ، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصيحابى ، فيقول الله عز وجل : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت

على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم » . وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلا » ، وفى أخرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر . وفيهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة غرلا . قالت عائشة فقلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك » . وفى رواية النسائى « فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وروى هو وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا . قال فقالت زوجته : يا رسول الله ينظر — أو يرى — بعضنا عورة بعض ؟ قال : لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » أو قال « ما أشغلهم عن النظر » رواه الترمذى بنحوه وقال حسن صحيح . وروى ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله عنه قال « سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول بأبى أنت وأمى إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به . قال : إن كان عندى منه علم . قالت : يا نبى الله كيف يحشر الرجال قال حفاة عراة . قالت : واسوأتاه من يوم القيامة . قال : وعن أى ذلك تسألين ؟ إنه قد نزل علىّ آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون . قالت أية آية يا نبى الله ؟ قال : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان . فقلت : يا رسول الله واسوأتاه ، ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال قد شغل الناس ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وفى الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » ؟ قال قتادة : بلى وعزة ربنا ، قلت : وذلك قول الله عز وجل ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ الآيات . فشتان ما بين الفريقين ، وفرقان ما بين الطريقين . أولئك يفدون ركباً إلى جنات النعيم ، ورحمة الرحمن الرحيم ، وزيارة الرب العظيم ، وهؤلاء يسحبون سحباً إلى نار الجحيم ،

ونكالها الأليم ، وعذابها المقيم ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردا ﴾ قال ابن عباس : وفداً ركباناً . وقال أبو هريرة : على الإبل . وقال ابن جريج : على النجائب . وقال الثورى : على الإبل النوق . قال قتادة : إلى الجنة . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما يحشرون والله على أرجلهم ، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت ، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت . وروى عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال : كنا عند على رضى الله عنه فقرأ هذه الآية ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ قال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة . ورواه ابن أبى حاتم وزاد : عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد . ولابن أبى حاتم عنه رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ هذه الآية ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ فقال : ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون — أو يؤتون — بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما فى بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً ، وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون — أو فيأتون — باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين » وذكر الحديث مطولا والصحيح رفعه . ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ أى عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش ، والورود الجماعة يردون الماء ، ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش . قلت : ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها ، ومهلها وحميمها . وفى حديث الشفاعة الطويل « فيقال لهم ماذا تشتهون ؟ فيقولون عطشنا . فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فيقال لهم : ألا تردون » الحديث . فسبحان الله وبحمده الله أكبر ، كانوا فى الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون ، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله ، واتضح له مقيله . فلما كانوا فى البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله ، فبينا هم كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح ، فخرجوا من الأجداث مسرعين ، إلى الداعي

مهطعين ، هذا على النجائب ، وهذا على الركائب ، وهذا على قدميه ، وهذا على وجهه . هؤلاء فى النور ينظرون ، وأولئك فى ظلمات لا يبصرون . هؤلاء إلى الرحمن يفدون ، وأولئك إلى النار يردون . هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطوناً منهم وظهوراً . هؤلاء وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً . وأولئك أعد الله لهم سعيراً ، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً ، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً . هؤلاء عليهم حلل السندس والإستبرق وسائر الألوان ، وأولئك مقرنون فى الأصفاد سرابيلهم من قطران . هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون ، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرة وعشياً ، وأولئك تركوا فى جهنم جثيا . هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار . هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم رب العالمين ، وأولئك ينادى بهم على رءوس الأشهاد ، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . فحينئذ ظهر الفرقان وافترق الطريقان ، وامتاز الفريقان ، وصار الغيب شهادة والسر علانية ، والمستور مكشوفاً ، والمخبأ ظاهراً ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ كم كاس فى الدنيا طال يومئذ عريه ، كم طاعم فى الدنيا عظم يومئذ جوعه ، كم ريان فى الدنيا اشتد يومئذ عطشه ، كم ناعم فى الدنيا حق به يومئذ بؤسه ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

(ويجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلى)
(فى موقف يجل فيه الخطب ويعظم الهول به والكرب)

(ويجمع الخلق) أولهم وآخرهم **(ليوم الفصل)** يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ ،

وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، وسماه يوم التلاق لأنه يلقى فيه العبد ربه ويلقى فيه العامل عمله ويلتقى فيه الأولون بالآخرين ، ويلتقى فيه أهل السموات والأرضين ، وسماه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور ، وسماه يوم التناد ، لتنادى العباد بعضهم بعضاً ، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه ، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ولتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار ، ولمناداة أصحاب الأعراف كلا من الفريقين ، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك ، قال الله عز وجل ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ وقال تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ وقال تعالى ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ وقال تعالى ﴿ لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين ﴾ وقال تعالى ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ، يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾ وقال تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً — ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ وقبل ذلك ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وقال فى السعداء ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ﴾ وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون (ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون — إلى قوله — ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقال تعالى فى مناداة المنافقين المؤمنين ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون . ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — إلى قوله فى أصحاب الأعراف — ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم — إلى قوله — ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم — إلى قوله — ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم

الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ وغيرها من الآيات .

(**جميعهم علويهم**) وهم عوالم السموات (**والسفلى**) وهم عوالم الأرضين ، وقد تقدم فى حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض . (**فى موقف**) عظيم (**يجل**) يشتد (**فيه الخطب**) الشأن والأمر (**ويعظم الهول**) الأمر الفظيع الهائل (**به**) أى فيه (**والكرب**) الحزن الآخذ بالنفس والهم والغم . وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة — إلى قوله — ولا يسأل حميم حميماً . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه ﴾ وقال تعالى ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً — إلى قوله — إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا ﴾ . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » ، ورواه أحمد بلفظ « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم » ، وله عن المقداد بن الأسود الكندى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ، قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجاماً » رواه مسلم والترمذى ، وروى أحمد أيضاً عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فى حرها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور ،

يعرقون فيها على قدر خطاياهم : منهم من يبلغ إلى كعبيه ، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » . وفيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس : فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه ، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ، ومنهم من يبلغ الحجز ، ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه — وأشار بيده فألجمها فاه ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيديه هكذا — ومنهم من يغطيه عرقه ، وضرب بيده إشارة » . وفى الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » . ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير الغفارى « كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر » قال بشير : المستعان الله . قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ، وفى السنن عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة .

وقوله تعالى ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة : مسرعين . وقال مجاهد : مديمى النظر . ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم . ﴿ مقنعى رءوسهم ﴾ قال القتيبي : المقنع الذى يرفع رأسه ، ويقبل ببصره على ما بين يديه . وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد . ﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهى شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم . ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أى هى خالية . قال قتادة : خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها ، ومنه سمى ما بين السماء والأرض هواء لخلوه ، وقيل : خالية لا تعى شيئاً ولا تعقل من الخوف . وقال سعيد بن جبير : مترددة تمور فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه . قال البغوى رحمه الله تعالى : وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها ، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم اهـ . وهذا معنى قوله عز وجل ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ قال قتادة : وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها . وكذا قال عكرمة والسدي

وغير واحد . ومعنى كاظمين أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه . ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ وقال ابن جريج : باكين ، وقال البغوى : مكروبين ممتلئين خوفاً وجزعاً ، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن فى القلب حتى يضيق به . ﴿ كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الزكاة وفيه « من كانت له إبل لا يعطى فيها حقها فى نجدتها ورسلها . قلنا : يا رسول الله ، ما نجدتها ورسلها ؟ قال : فى عسرها ويسرها . فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطأه بأخفافها فإذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار » الحديث . ﴿ ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم ﴾ لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه فى أسوإ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، قال العوفى عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، إن وعد الله حق ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ قال عكرمة : هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دونى ؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول : يا مؤمن إن لى عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك فى الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار ، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول : يا بنى أى والد كنت لك ؟ فيثنى خيراً ، فيقول : يا بنى إنى قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى ، فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ، ولكنى أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً . ثم يتعلق بزوجته فيقول : يا فلانة أو يا هذه أى زوج كنت لك ؟ فتثنى خيراً ، فيقول لها : إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها إلى لعلى أنجو بها مما ترين . قال فتقول : ما أيسر ما طلبت ، ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئاً ، إنى أتخوف مثل الذى تتخوف . يقول الله تعالى ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها ﴾ الآية . ويقول تبارك وتعالى ﴿ لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾

ويقول تعالى ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ .

﴿ فإذا نقر ﴾ نفخ ، ﴿ فى الناقور ﴾ الصور . روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما تأمرنا يا رسول الله . قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » رواه الإمام أحمد وابن جرير . ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ شديد . ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ عليهم وروى عن زرارة بن أوفى قاضى البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ فى صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شهق شهقة فمات ، أولئك قوم قرأوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية ، وبصائر نافذة ، وأفهام جلية ونفوس علية ، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها ، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأثمر ذلك فى قلوبهم خشية الله عز وجل فذابوا خوفاً وحياء من ربهم وشوقاً إليه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال تعالى فيهم ﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ قال ابن عباس فاشياً . وقال قتادة : استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض . وقال مقاتل : كان شره فاشياً فى السموات ، فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ، وفى الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شىء على الأرض من جبل وبناء ، قال ابن جرير : ومنه قولهم استطار الصدع فى الزجاجة واستطال . ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أثأرت فى الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيرا

يعنى ممتداً فاشياً . وقوله ﴿ عبوساً قمطريراً ﴾ قال ابن عباس : ضيقاً طويلا وعنه قال : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران . وقال مجاهد ﴿ عبوساً ﴾ العابس الشفتين ﴿ قمطريراً ﴾ تقبض الوجه بالسيور . وقال سعيد ابن جبير وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿ قمطريراً ﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول . وقال ابن زيد : العبوس الشر والقمطرير الشديد . وقال ابن جرير : والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم :

(بنى عمنا هل تذكرون بــلاءنا　　عليكم إذا ما كان يوم قماطـــر)
(وأحضروا للعــرض والحساب　　وانقطعت علائـــق الأنساب)
(وارتكمت سحائب الأهــوال　　وانعجم البليغ فى المقـــال)

(وأحضروا للعرض) العرض له معنيان معنى عام وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية . وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب . والمعنى الثانى عرض معاصى المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم ، والحساب المناقشة . وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز فى غير ما موضع إجمالا وتفصيلا كما قال ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ، حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون ، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴾ . وقال تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال تعالى ﴿ فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وروى ابن أبى الدنيا عن عمر رضى الله عنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ ، وروى أحمد وابن ماجه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله » وللترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه نحوه . وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود نحوه موقوفاً ، وفى الصحيحين : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال « ما أنزل الله فيها إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال : حسبى ، لا أبالى أن لا أسمع غيرها . وروى ابن جرير وابن أبى حاتم عن أنس قال : كان

أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا ممَّا تكره فبمثاقيل ذر الشر ، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » وعن أبى العالية فى قوله ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة ، عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين » وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : والذى لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ماذا غرك منى بى ، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ، ابن آدم ماذا أجبت المرسلين »، ولابن أبى حاتم عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعيه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك » ، وعن ابن عباس ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ قال : لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ؟.

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب » ، وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به ؟ فيقول نعم . فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك » . وفيه عن عدى بن حاتم قال : قال النبي « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » . وفيه عن صفوان بن محرز قال : بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن — أو قال يا ابن عمر — هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فى النجوى ؟ فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول أعرف ، يقول

رب أعرف ، مرتين ، فيقول أنا سترتها فى الدنيا وأغفرها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسناته . وأما الآخرون الكفار فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » ، وفى الترمذى عن أبى بزرة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » وقال حسن صحيح .

(وانقطعت عـلائق الأنساب) كما قال تعالى ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ولا يسأل حميم حميماً ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾ الآيات ، وقال تعالى عن الكافرين ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه ، قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً . ومصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ رواه ابن أبى حاتم . وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل ليقول فى الجنة : ما فعل بصديقى فلان ؟ وصديقه فى الجحيم ، فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه إلى الجنة . فيقول من بقى : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . قال الحسن رحمه الله تعالى : استكثروا من الأصدقاء المؤمنين ، فإن لهم شفاعة يوم القيامة . وعن قتادة فى قول الله عز وجل ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ قال : يفر هابيل من قابيل . ويفر النبى صلى الله عليه وسلم من أمه ، وإبراهيم عليه السلام من أبيه ، ولوط عليه السلام من صاحبته ، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ يشغله عن شأن غيره . وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة « إنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول : نفسى نفسى لا أسألك إلا نفسى ، حتى إن عيسى بن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسى ، لا أسأله مريم التى ولدتنى » .

(وارتكمت سحائب الأهـــوال وانعجم البليغ فى المقـــال)

(وعنت الوجــوه للقيــوم واقتص من ذى الظلم للمظلوم)

(وارتكمت) اجتمعت **(سحائب الأهـــوال)** جمع هول وهو الأمر الشديد

الهائل المفظع (**وانعجم**) أسكت فلم يتكلم . (**البليغ**) الذى كان فى الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحة (**فى المقـال**) قال الله تعالى ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ وقال تعالى ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ قال ابن عباس ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ : سكنت ﴿ فلا تسمع إلا همساً ﴾ قال : تحريك الشفاه من غير منطق ، وعنه : الهمس الصوت الخفى ، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم : الهمس نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل ، وقال سعيد بن جبير : همساً سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين ، وفى حديث الشفاعة « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » الحديث : ﴿ وعنت الوجوه ﴾ ذلت وخضعت ، ومنه قيل للأسير عان . ﴿ القيوم ﴾ تضمين لمعنى قوله عز وجل ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لا يموت القيوم الذى لا ينام ، وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه ، فهو الكامل فى نفسه الذى كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ قال ابن عباس خسر من أشرك بالله ، والظلم هو الشرك . وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضاً ، فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء . وفى بعض الأحاديث « يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم » . وفى الصحيحين « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة ، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك ، فإن الله تعالى يقول ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد « الدواوين ثلاثة : ديوان لا يغفره الله ، وديوان لا يعبأ الله به ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً » الحديث . (**واقتص من ذى الظلم**) أى اقتضى من الظالم (**للمظلوم**) ، قال الله تعالى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ وقال تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب — إلى قوله — والله يقضى بالحق ﴾ وقال تعالى ﴿ وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون — وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون ﴾ وغيرها من الآيات . وقال البخارى رحمه الله تعالى : « باب القصاص يوم القيامة ، وهى الحاقة لأن فيها الثواب

وحواق الأمور الحقة والحاقة واحد ، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار » ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « أول ما يقضي بين الناس بالدماء » . وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه » . وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا . حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » . وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » هذا حديث حسن صحيح ، وله عنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء » ، قال وفي الباب عن أبي داود وعبد الله بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح ، وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب . فقال : ابن عبد الله ؟ قلت نعم . فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت أن تموت وأموت قبل أن أسمعه ، فقال : سمعت رسول الله يقول « يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة — أو قال العباد — عراة غرلا بهما . قلت : وما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء . ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله

عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة . قال قلنا كيف وإنما نأتى الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات » ، وقد أشار البخارى إلى هذا الحديث فى مواضع من صحيحه تعليقاً ووصله فى كتاب خلق أفعال العباد ، وروى عبد الله بن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » . وروى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال : أتدرى ما ينتطحان يا أبا هريرة ؟ قلت لا . قال : لكن الله يدرى وسيحكم بينهما » .

(وساوت الملوك للأجناد وجىء بالكتاب والأشهاد)
(وشهدت الأعضاء والجوارح وبدت السوآت والفضائح)
(وابتليت هنالك السرائر وانكشف المخفى فى الضمائر)

(وساوت الملوك) العظماء الرؤساء الكبراء **(للأجناد)** الرعايا ، أى صاروا سواء فى ذلك الموقف مشتركين فى هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحم الله ، وليس لأحد منهم مقال ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، كل امرئ بما كسب رهين ، قال الله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ﴾ ، وقال تعالى ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول لا يملك أحد معه فى ذلك اليوم حكماً كملكهم فى الدنيا . قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم : إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، إلا من عفا عنه . وقال البغوى فى قوله عز وجل ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ : أى الملك الذى هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة . وقال ابن عباس رضى الله عنه يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره ، وفى الحديث الصحيح المتقدم « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » وفى لفظ « أين الجبارون أين المتكبرون » وقال قتادة ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ : والأمر والله اليوم لله ، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . وقال البغوى : يوم لا يملك الله فى ذلك اليوم أحداً من خلقه شيئاً كما ملكهم فى الدنيا . **(وجىء بالكتاب والأشهاد)** قال الله تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى

المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ ، وقال تعالى ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ إلى قوله ﴿ ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون . ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ وغير ذلك من الآيات . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا يوسف بن راشد حدثنا جرير وأبو أسامة — واللفظ لجرير — عن الأعمش عن أبى صالح . وقال أبو أسامة : حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول نعم . فيقال لأمته هل بلغكم ؟ فيقولون ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم وأمته . فتشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ . والوسط العدل . ورواه أحمد وأصحاب السنن ، ورواه الإمام أحمد أيضاً بلفظ « يجيء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون لا . فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم . فيقال من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيدعى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم . فيقال ؛ وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا صلى الله عليه وسلم فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا . فذلك قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ قال عدلا ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ علىّ . فقلت يا رسول أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، إنى أحب أن أسمعه من غيرى . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فقال : حسبك الآن . فإذا عيناه تذرفان » . قال ابن كثير رحمه الله تعالى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أى كتاب

الأعمال الذى فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿ ويقولون يا ويلتنا ﴾ أى يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا فى أعمالنا ، ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ أى لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملا وإن صغر إلا أحصاها أى ضبطها وحفظها . وروى الطبرانى بإسناده عن سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء فقال النبى صلى الله عليه وسلم « اجمعوا ، من وجد عوداً فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به » ، قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه » . وروى البغوى بإسناده عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب لموبقات » ، وقوله ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ كقوله عز وجل ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ وقوله تعالى ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ وغيرها من الآيات . وقوله تعالى ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيداً ﴾ قال البغوى : يعنى رسولهم الذى أرسل إليهم وهو قول مجاهد ، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ فقال : سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدى ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : السائق من الملائكة والشهيد الإنسان يشهد على نفسه . وقوله تعالى ﴿ وأشرقت الأرض ﴾ أضاءت ﴿ بنور ربها ﴾ بنور خالقها ، ذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه ، فما يتضارون فى نوره كما لا يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو ، قاله البغوى . والحديث « لا يتضارون فى رؤيته » . ﴿ ووضع الكتاب ﴾ قال قتادة : كتاب الأعمال . ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم . ﴿ والشهداء ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك

عطاء ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ قال ابن عباس : يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وتكونوا شهداء على الناس ﴾ ، وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الأشهاد ﴾ يعني الملائكة ، قال البغوي : يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب .

(**وشهدت**) على كل جاحد (**الأعضاء**) أعضاؤه (**والجوارح**) عطف تفسير ، قال تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ الآيات وغيرها ، وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون مم أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال صلى الله عليه وسلم : من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى . فيقول : لا أجيز عليّ شاهداً من نفسي . فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبالكرام الكتاب شهوداً ، فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي ، فتنطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً وسحقاً فعنكن كنت أناضل » . وروى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنكم تدعون مفدماً على أفواهكم بالفدام ، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه » ، ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ، وله هو ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم يلقى الثالث فيقول : ما أنت فيقول : أنا عبدك ، آمنت بك وبنبيك وبكتابك ، وصمت وصليت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع . قال : فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه : انطقي ، قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل ، وذلك المنافق ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك الذي

يسخط الله تعالى عليه » وهذا الحديث تقدم قريباً بطوله ولله الحمد . وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ﴾ الآية ، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى » وفى رواية أحمد « من الرجل الشمال » .

وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه « يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أى رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً ، وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول : أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل . فيقول له الملك أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أى رب ما عملته . فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : فأنا أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى » ثم تلا ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ . وروى أبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم ، فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ، فيقول كذبوا ، فيقول أهلك وعشيرتك ، فيقول كذبوا ، فيقول احلفوا فيحلفون ، ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار » . وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول ﴿ أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ فتقر الألسنة بعد الجحود . وروى أيضاً عن رافع أبى الحسن قال وصف رجلا جحد ، قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو فى فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، ثم يقول لآرابه تكلمى واشهدى عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه : صنعنا عملنا فعلنا . وله أيضاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال :

لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة » فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله ، بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً . قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقت صدقت كيف يقدس الله تعالى قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » ، ورواه ابن أبى الدنيا . وقال البخارى رحمه الله تعالى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ﴾ الآية : كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش فى بيت ، فقال بعضهم لبعض : أترون أن الله يسمع حديثنا ؟ قال بعضه يسمع بعضه وقال بعضه لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله فأنزلت ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ﴾ الحديث تقدم لفظه فى إثبات السمع والبصر ولله الحمد .

(وابتليت) أى اختبرت **(هنــالك)** الإشارة إلى موقف القيامة العظيم ، وهوله الجسيم **(السرائر)** جمع سريرة وهى ضد العلانية **(وانكشف المخفى)** المستور **(فى الضمائر)** إشارة إلى قول الله عز وجل ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ قال البغوى رحمه الله تعالى : وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا . قال قتادة ومقاتل : تختبر . قال عطاء بن أبى رباح : السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد ، فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل ، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : يبدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر ، فيكون زيناً فى وجوه وشيناً فى وجوه ، يعنى من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر ، وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال : هذه غدرة فلان ابن فلان » عياذاً بالله من ذلك .

(ونشرت صحائف الأعمــال تؤخــذ باليمين والشمال)
(بشرى لمن يأخــذ باليمين كتــابه بشرى بحور عــين)
(والويــل للآخــذ بالشمال وراء ظهــر للجحيم صــال)

(ونشرت صحائف) كتب **(الأعمال)** من حسنات وسيئات قال الله تعالى ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ . **(تؤخذ باليمين)** للمؤمن **(والشمال)** للكافر **(طوبى)** أطيب شيء واسم شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها **(لمن يأخذ باليمين كتابه بشرى)** أعظم بشارة **(بحور)** جمع حوراء صفة لهن من حَوَر العين وهو شدة سواد العينين فى شدة بياضهما **(عين)** حسان الأعين **(والويل)** كلمة عذاب وواد فى جهنم **(للآخذ بالشمال)** كتابه **(وراء ظهر للجحيم صال)** اسم فاعل من صلى يصلى غمر فيها ، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها فى غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلّوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ها ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين ، لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ، فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ، ويصلى سعيراً ، إنه كان فى اهله مسروراً ، إنه ظن ألن يحور ، بلى إن ربه كان به بصيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ،قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿ وكل إنسان ألزمناه

طائره فى عنقه ﴾ : طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه ، ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ قال معمر : وتلا الحسن البصرى ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ : يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ﴿ اقرأ كتابك ﴾ الآية . فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك .
وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم آتنا بهذا ، وبارك لنا فى هذا . فيأتيهم فيقول لهم : أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا ، اللهم لا تأتينا به . فيأتيهم فيقولون : اللهم أخزه ، فيقول : أبعدكم الله ، فإن لكل رجل منكم مثل هذا » حديث غريب حسنه الترمذى . وفى السنن عن عائشة رضى الله عنها أنها « ذكرت النار فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقول ﴿ هاؤم اقرؤا كتابيه ﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم » وروى ابن أبى حاتم عن أبى عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه فى ستر من الله فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه ، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات ، قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرؤا كتابيه » .
وله عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال « إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى — أى يظهر — سيئاته فى ظهر صحيفته فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم أى رب ، فيقول له : إنى لم أفضحك به ، وإنى قد غفرت لك . فيقول عند ذلك ﴿ هاؤم اقرؤا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ حين نجا من فضيحته

يوم القيامة » ، وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح فى النجوى وفيه فى المؤمن « ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » وعن ابن السائب فى قوله تعالى ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله ﴾ قال ابن السائب : تلوى يده اليسرى خلف ظهره ، ثم يعطى كتابه . وقيل : تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه . وقال مجاهد : تخلع يده اليسرى من وراء ظهره . وقال البغوى فى قوله تعالى ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ﴾ قال : فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره .

فصل - فيما جاء فى الميزان

(والوزن بالقسط فلا ظلم ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا)
(فبين ناج راجح ميزانه ومقرف أوبقه عدوانه)

(والوزن) لأعمال العباد **(بالقسط)** العدل **(فلا ظلم)** على أحد يومئذ ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذى حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرماً فلا يهضم أحد من حسناته . **(ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا)** الألف للإطلاق ، قال الله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ، وقال تعالى عن لقمان ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ ، وقال تعالى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ . **(فبين ناج راجح ميزانه)** إلخ قال الله تعالى ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار فهم فيها كالحون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه

فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية ﴾ وقال تعالى ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ . وفى الترمذى عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة ، فقال : أنا فاعل – يعنى إن شاء الله – قلت : يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن » هذا حديث حسن غريب ، وفى سنن أبى داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه « وعند الميزان حتى يثقل أو يخف » الحديث.

والقول فى الموزون على ثلاثة أوجه : الأول أنه الأعمال نفسها هى التى توزن ، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع فى الميزان . ويدل لذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ، وفى الصحيح عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اقرأوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيابتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال معاوية : بلغنى أن البطلة السحرة . ومعاوية هو ابن سلام . وفيه عن النواس بن سمعان الكلابى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال « كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » وقال الترمذى رحمه الله تعالى : معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته ، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن . وفى حديث النواس بن سمعان عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل على ما فسروا إذ قال النبى صلى الله عليه وسلم « وأهله الذين يعملون به فى الدنيا » ففى هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل . اه . قلت : ولا مانع من كون الآتى هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث : فأما أن يقال إن الآتى هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله ،

لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق ، والذى يوضع فى الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ . وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال : ثم سكت ساعة ثم قال : « تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفنى ؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت مقلتك وإن كل تاجر من وراء تجارتك ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج من الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لها أهل الدنيا فيقولان : بما كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ والدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ، ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا » وإسناده حسن . والقول بأن الأعمال هى ذاتها التى توزن ، ذكره البغوى عن ابن عباس رضى الله عنه . والقول الثانى أن صحائف الأعمال هى التى توزن ، ويدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ، أظلمك كتبتى الحافظون ؟ قال لا يارب ، قال أفلك عذر أو حسنة ؟ قال فبهت الرجل فيقول لا يارب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول احضروه ، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فيقول إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، قال ولا يثقل شىء مع بسم الله الرحمن الرحيم » ورواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب . والثالث أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذى فى معنى حديث النواس . الرابع أن الموزون هو العامل نفسه ، ويدل لذلك ما روى أحمد عن على رضى الله عنه أن ابن مسعود رضى الله عنه صعد شجرة يجتنى الكباث (١) ، فجعل الناس يعجبون من

---

(١) النضيج من ثمر الأراك .

دقة ساقيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده هما فى الميزان أثقل من أحد » . وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » وقال اقرأوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ . ولابن أبى حاتم عنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها » قال وقرأ ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ رواه ابن جرير . وروى البزار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رجل من قريش يخطر فى حلة له ، فلما قام على النبى قال « يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً » . قلت : والذى استظهر من النصوص — والله أعلم — أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التى فى بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها ، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو فى قصة صاحب البطاقة بلفظ :. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان ، قال فيبعث به إلى النار . قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول : لا تعجلوا فإنه قد بقى له ، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل به الميزان » فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها فى كفة وسيئاته مع صحيفتها فى الكفة الأخرى ، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره فى سائر أحاديث الوزن ، ولله الحمد والمنة . وروى أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله إن لى مملوكين يكذبوننى ويخوننى ويعصوننى وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك » فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ فقال

الرجل : يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء — يعنى عبيده — إنى أشهدك أنهم أحرار كلهم » .

فصل - فيما جاء فى الصراط

(وينصب الجسر بلا امتراء   كما أتى فى محكم الأنباء)
(يجوزه الناس على أحوال   بقدر كسبهم من الأعمال)
(فبين مجتاز إلى الجنان   ومسرف يكب فى النيران)

(وينصب الجسر) وهو الصراط على متن جهنم **(بلا امتراء)** بلا شك **(كما أتى فى محكم الأنباء)** من الآيات والأحاديث **(يجوزه)** يمر عليه الناس **(على أحوال)** متفاوتة **(بقدر كسبهم)** فى الحياة الدنيا **(من الأعمال)** من إحسان أو إساءة أو تخليط ، **(ف)** هم **(بين مجتاز)** عليه **(إلى الجنان)** وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم فى البطء والإسراع ، **(ومسرف)** على نفسه **(يكب فى النيران)** فلا ينجو ، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور . فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ﴾ ، وروى الإمام أحمد عن كثير ابن زياد البرسانى عن أبى سمية قال : اختلفنا فى الورود ، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً ثم ينجى الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له : إنا اختلفنا فى الورود ، فقال : يردونها جميعاً . وقال سليمان بن مرة : يدخلونها جميعاً وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال : صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها : فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجى الله الذين

اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً » . وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة . وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته ، فقال ما يبكيك ؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت ، قال إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فلا أدري أأنجو منها أم لا . وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود الدخول . فقال نافع : لا . فقرأ ابن عباس ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ وردوا أم لا ؟ وقال ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ أوردوها أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا ، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك ، فضحك نافع . وروى ابن جرير عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا . وعنه رضي الله عنه في ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال : البر والفاجر ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ الآية ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر ، وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » . ورواه الترمذي هكذا مرفوعاً ، وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفاً قال « يرد الناس جميعاً الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم : فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ، ومنهم من يمر مثل الطير ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل ، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مراً رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط ، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس » الحديث ، وروى ابن جرير عنه في ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم . وقال قتادة : قوله تعالى ﴿ وإن منكم

إلا واردها ﴾ قال : هو الممر عليها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها ، وورود المشركين أن يدخلوها . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهرى كأنه يريد هذه الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ قال ابن مسعود : قسماً واجباً ، وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل فى الرؤية والشفاعة وفيه « ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم . وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه » الحديث ، وفيهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من حديثه الطويل فى ذلك مرفوعاً وفيه « ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم . قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً » الحديث . ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة — فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين » الحديث. وفى رواية عن ابن مسعود « رجل يخرج من النار حبواً » ، وفيه عن أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما فى حديث استفتاح الجنة عن النبى صلى الله عليه وسلم مطولا . وفيه « وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق ، قال : قلت بأبى أنت وأمى أى شىء كمر البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وتشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ، قال ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافاً . قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش

ناج ومكدوس فى النار . والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً » ، وفيه أيضاً فى بعض طرق حديث أبى سعيد المتقدم قال أبو سعيد « بلغنى أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف » ، وفيه عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يسأل عن الورود الحديث . وفيه رؤية الله تعالى « فيتجلى لهم يضحك ، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان — منافق أو مؤمن — نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى ، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون » وذكر الحديث . وقال عبد الله بن مسعود فى قول الله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال : على قدر أعمالهم يمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة » رواه ابن أبى حاتم وابن جرير ، وقال قتادة : ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « من المؤمنين من يضىء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من يضىء نوره موضع قدميه » ، وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطى كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً ، فإذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون : انظرونا نقتبس من نوركم ، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً » قلت وذلك من تأويل قول الله تعالى ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير ﴾ وروى ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ، فأعرف أمتى من بين الأمم . فقال له رجل : يا نبى الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك ؟ فقال : أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم » ، وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ

نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا : ربنا أتمم لنا نورنا . وقال الحسن رحمه الله ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال : على الصراط اهـ . وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها ، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة ، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة فى الورود والمقام المحمود والشفاعة ، ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارَى ابن عباس رضى الله عنهما فى الورود ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الدخول . وقال نافع : ليس الورود الدخول ، فتلا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ أدخلها هؤلاء أم لا ؟ ثم قال : يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها ، وأنا أرجو أن يخرجنى الله منها ، وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك .

فصل - فيما ورد فى الجنة والنار

(والنار والجنة حق وهما موجودتان لا فناء لهما)

أى ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، والبحث فيه ينحصر فى ثلاثة أمور :

الأول : كونهما حقاً لا ريب فيهما ولا شك ، وأن النار دار أعداء الله ، والجنة دار أوليائه . وهذا هو المشار إليه بقولنا حق ، قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ، يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ الآيات . وقال تعالى : ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وكفى

بجهنم سعيراً . إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكيماً ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ؛ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم جنات تجرى من تحتها الأنهار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ وقال تعالى فى أولياء الشيطان ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا ﴾ . وقال تعالى لإبليس ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، إن المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ﴾ الآيات .
وغيرها كثيرة فى القرآن شهيرة ، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار ، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة ، فتارة يعد ويتوعد ، وتارة يرغب فى الجنة ويدعو إليها ويرهب من النار ويحذر منها ، وتارة يخبر عما أعد فى الجنة من النعيم المقيم لأوليائه ، ويخبر عما أرصد فى النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك . فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق .
وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد عن الأوزاعى قال حدثنى عمير بن هانىء قال حدثنى جنادة بن أبى أمية عن عبادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل » زاد فى رواية « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » ووافقه على إخراجه مسلم وغيره . ولهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال « اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك

حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخـــر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك » زاد فى رواية « ولا حول ولا قوة إلا بالله » هذا لفظ البخارى فى باب التهجد ، وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أى الجنة والنار من وعده الصادق الذى أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه فى غير ما موضع من كتابه . وفى حديث عبادة هذا أنه صلى الله عليه وسلم علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك ، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دعاً ، هذه النار التى كنتم بها تكذبون . أفسحر هذا ﴾ الآيات وغيرها . وتقدم فى بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد « قال فحدثنى ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان » الحديث وغير ذلك من الأحاديث .

البحث الثانى : اعتقاد وجودهما الآن ، قال الله تعالى فى الجنة ﴿ أعدت للمتقين — أعدت للذين آمنوا بالله ورسله — فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت ، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم ، وأنها فى السماء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أتاها ليلة المعراج ورآها . وقال تعالى فى النار ﴿ أعدت للكافرين ﴾ وقال ﴿ واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا — والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً — إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ﴾ فهى أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم . وقال البخارى فى صحيحه « باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة » ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار » وحديث عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ،

واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر وقال : عليك أغار يا رسول الله » ؟ وحديثه رضى الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ثم ساق الأحاديث فى صفتها ثم قال « باب صفة النار وأنها مخلوقة » ثم ذكر فيه حديث أبى ذر وأبى سعيد رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » ، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضى بعضاً . فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف ، فأشد ما تجدون فى الحر وأشد ما تجدون فى الزمهرير » ، وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال « فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » ، وفيه من حديث أنس بن مالك فى المعراج « ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » ، وفيه من حديث مالك ابن صعصعة فى ذلك وفيه « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » الحديث . وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته صلى الله عليه وسلم فيها وأنه عرضت عليه الجنة والنار ، وأنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يتناول من الجنة عنقوداً فقصرت يده عنه ، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا ، وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذى كان يسرق الحاج ، ورأى فيها عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ، ورأى المرأة التى تعذب هرة حبستها وقال صلى الله عليه وسلم « لم أر منظراً كاليوم أفظع » ، وفى صحيح مسلم

والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها . فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ألا يدخلها أحد ، قال ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال : فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، ثم رجع فقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها . فأمر بها فحفت بالشهوات ، ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » . وقد تقدم فى أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزله فيها ، وعرض مقعده عليه وفتح باب إحديهما إليه وأن أرواح المؤمنين فى عليين وأرواح الفجار فى سجين وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة ما لا يحصى ، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا **(موجودتان)** .

البحث الثالث: فى دوامها وبقائهما بإبقاء الله لها ، وأنهما لا تفنيان أبداً ولا يفنى من فيهما ، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا **(لا فناء لها)** قال الله تعالى فى الجنة ﴿ خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى ﴿ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾ وقال تعالى ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ وقال تعالى ﴿ إن المتقين فى مقام أمين — إلى قوله تعالى — لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ وغير ذلك من الآيات ، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله ﴿ خالدين فيها أبداً — إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ وأبدية حياة أهلها بقوله ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ وعدم انقطاعها عنهم بقوله ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة — عطاء غير مجذوذ ﴾ وبعدم خروجهم بقوله ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ . وكذلك النار قال الله تعالى ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً . خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ وقال تعالى

﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ وقال تعالى ﴿ إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون . وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ماكثون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور ، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ وقال تعالى ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ وقال تعالى ﴿ سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ وقال تعالى ﴿ لابثين فيها أحقاباً — إلى قوله — فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ وغير ذلك فى القرآن كثير ، فأخبرنا تعالى فى هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين ، لا فكاك لهم منها ولا خلاص ، ولات حين مناص . فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل ﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا يفتر عنهم ﴾ ونفى فناءهم فيها بقوله عز وجل ﴿ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ وقوله ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله تعالى فى قول الله عز وجل ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر ﴾ : حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادى مناد يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه ثم ينادى : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة ﴾ وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون » ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبى سعيد هذا ، وأخرجاه أيضاً من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول

الله صلى الله غليه وسلم « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » ، وفى رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه . » ورواه البخارى دون قوله كل خالد إلخ . وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول لأهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار : يا أهل النار خلود لا موت » وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا نصر ابن على الجهضمى حدثنا بشر يعنى ابن المفضل عن أبى مسلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال بخطاياهم — فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل . فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية » ، ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ ، وفى الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا ، وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جناياتهم ، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتى إن شاء الله قريباً ، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم فى مقدار ما تأخذ منهم . وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة ، وأنها ليأتين عليها يوم وهى تصفق فى أبوابها ليس بها أحد ، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء فى قوله تعالى ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ الآية ، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة . وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى : ولما كان الناس ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب — كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض — وهاتان الداران لا تفنيان — ودار لمن معه خبث

وطيب وهى الدار التى تفنى وهى دار العصاة ، فإنه لا يبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

(**فصل**) قالت اليهود قبحهم الله : إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم فى سورة البقرة إذ يقول تعالى ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى ﴿ قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ ، وقال تعالى فى آل عمران ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون . فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال « لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لى من كان ههنا من اليهود ، فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبوكم ؟ قالوا : أبونا فلان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم ، بل أبوكم فلان . فقالوا : صدقت وبررت . فقال صلى الله عليه وسلم : هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا . قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار ؟ فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً . ثم قال لهم : فهل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ قالوا نعم ، فقال : هل جعلتم فى هذه الشاة سماً ؟ فقالوا : نعم . فقال : ما حملكم على ذلك ؟ فقالوا : أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك » . وقال ابن عربى إمام الاتحادية محيى الزندقة والإلحاد فى آيات الله تعالى : إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم . وقال الجهم وشيعته : إن الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنهما حادثتان ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه . بناء على أصله الفاسد فى منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء

الله تعالى لها . وقال طائفة من المعتزلة والقدرية : لم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، قياساً لله تعالى على خلقه فى أفعالهم ، فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة ، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم الله تعالى . وقال أبو الهذيل العلاف تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جماداً لا يحسون بنعيم ولا ألم . وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول ، ومحادة ومشاقة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقديم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريدة ، وزخارف فاسدى السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة . وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى فى نونيته الكافية الشافية فى أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته دمرهم الله تعالى :

وقضى بأن الله كان معطلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدوراً له ... من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه فى ذاته ... قبل الحدوث وبعده سيان
وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون فى الحركات لا ... فى الذات واعجباً لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد فى جناتهم ... وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله ... عند انقضاء تحرك الحيوان
وكذاك ما حال الذى رفعت يدا ... ه أكلة من صحفة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذى امتدت يد ... منه إلى قنو من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذهل ... يبقى كذلك سائر الأزمان
تباً لهاتيك العقول فإنها ... والله قد مسخت على الأبدان
تباً لمن أضحى يقدمها على ال ... آثار والأخبار والقرآن

فصل - فيما جاء فى الحوض والكوثر

(وحوض خير الخلق حق وبه يشرب فى الأخرى جميع حزبه)

(وحوض خير الخلق) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الكوثر الذى أعطاه ربه عز وجل **(حق)** لا مرية فيه **(وبه)** بالحوض **(يشرب)** أى يروى ولذا عدّى بالباء دون من لتضمن الشرب ههنا معنى الرى **(فى الأخرى)** أى فى الدار الآخرة **(جميع حزبه)** وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر ﴾ . وروى البخارى بسنده إلى أبى بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الكوثر : هو الخير الذى أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر فى الجنة . فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه اه . وقد ورد فى ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واشتهر واستفاض بل تواتر فى كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، فمن روى ذلك عنه من الصحابة : أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وحارثة بن وهب ، وجندب بن عبد الله ، وسهل بن سعد ، وعائشة ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، وأسماء بنت أبى بكر ، وثوبان ، وأبو ذر ، وأم سلمة ، وجابر بن سمرة ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وحذيفة ، وأبو برزة الأسلمى ، والمستورد ابن شداد ، وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن زيد ، وأسامة بن زيد .

فأما عن أنس بن مالك فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال « لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر » . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أبو الوليد حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم . وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينما أنا أسير فى الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فإذا طينه — أو طيبه — مسك أذفر » شك شعبة . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا

سعيد بن عفير قال حدثني ابن وهب عن يونس قال ابن شهاب : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء » ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ ، وبلفظ « ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة » وبلفظ « ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء » . وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول أصحابي ، فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك » ، ورواه مسلم بلفظ « إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليردن عليّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني ، فلأقولن أي رب أصحابي ، فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح » ورواه مسلم بلفظ « ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح » وزاد في رواية « فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً » زاد في أخرى : قال عبيد الله « فسألته فقال : قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال » .

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب رضي الله عنه يقول « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحوض فقال : كما بين المدينة وصنعاء » وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله « حوضه ما بين صنعاء والمدينة » فقال له المستورد « ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال لا . قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب » ورواه مسلم بهذا اللفظ .

وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن عبد الملك قال : سمعت جندباً قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أنا فرطكم على الحوض » رواه مسلم هكذا .

وأما عن سهل بن سعد فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن مطرف حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنى فرطكم على الحوض ، من مر علىَّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً . . ليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » قال أبو حازم فسمعنى النعمان ابن أبى عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت نعم . فقال : اشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها « فأقول إنهم منى ، فيقال : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدى » — ورواه مسلم وفيه « لمن بدل بعدى » .

وأما عن عائشة فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال : سألتها عن قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قالت « نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم » وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا ابن أبى عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بين ظهرانى أصحابه « إنى على الحوض أنتظر من يرد علىَّ منكم ، فو الله ليقتطعن دونى رجال فلأقولن أى رب منى ومن أمتى ، فيقول : إنك لا تدرى ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم » .

وأما عن عقبة بن عامر فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبى الخير عن عقبة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال « إنى فرط لكم وأنا شهيد عايكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض — أو مفاتيح الأرض — وإنى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » ورواه مسلم بهذا اللفظ ، وبلفظ « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال : إنى فرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة . إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم » . قال عقبة : وكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر .

وأما عن عبد الله بن مسعود فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض » ، وحدثنى عمرو بن على حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال سمعت أبا وائل عن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دونى فأقول يارب : أصحابى ، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » تابعه عاصم عن أبى وائل ، وقال حصين عن أبى وائل عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول : يارب أصحابى أصحابى فيقال : إنك لا تُدرى ما أحدثوا بعدك » . وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة .

وأما عن أبى هريرة فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبى قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم ، فقلت إلى أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت (ما) شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم قال هلم ، قلت إلى أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت ما شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » ، وله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يرد علىَّ يوم القيامة رهط من أصحابى فيحلأون عن الحوض فأقول يارب أصحابى ، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » ، وله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » . وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحى حدثنا الربيع يعنى ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لأذودن عن حوضى رجالا كما تذاد الغريبة من الإبل » ، وله عن أبى حازم عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن حوضى أبعد من أيلة من عدن ، لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ، ولآنيته أكثر من عدد النجوم ، وإنى لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه ،

قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ . قال : نعم ، لكم سيما ليست لأحد من الأمم ، تردون عليَّ غراً محجلين من أثر الوضوء » .

وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا سعيد ابن أبى مريم حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبى مليكة قال : قال عبد الله بن عمرو قال النبى صلى الله عليه وسلم « حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً » ، ورواه مسلم بلفظ : « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً » .

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم فى أول الباب ، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عنه رضى الله عنه قال : الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل . وله عن عطاء بن السائب قال قال لى محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير فى الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس : أنه الخير الكثير ، فقال : صدق والله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : لما نزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت » .

وأما عن أسماء فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا سعيد بن أبى مريم عن نافع ابن عمر ، قال حدثنى ابن أبى مليكة عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس دونى فأقول : يا رب منى ومن أمتى ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم » وكان ابن أبى مليكة يقول « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا » ، ورواه مسلم بسند حديث عبد الله ابن عمرو متصلا بمتنه ولفظه كلفظ البخارى .

وأما عن ثوبان فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا أبو غسان المسمعى ومحمد بن المثنى وابن بشار وألفاظهم متقاربة قالوا : حدثنا معاذ وهو ابن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن ثوبان رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « إنى لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم ، فسئل عن عرضه فقال : من مقامى إلى

عمان . وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغتّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق » . وقال الترمذى رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن إسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبى سلام الحبشى قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبى البريد . فقال : يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك ، ولكن بلغنى عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحوض فأحببت أن تشافهنى به ، قال أبو سلام : حدثنى ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوساً الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد » قال عمر : لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى السدد ، نكحت فاطمة بنت عبد الملك ، لا جرم إنى لا أغسل رأسى حتى يشعث ، ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ . ورواه ابن ماجه بلفظ « إن حوضى ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، أكاويبه كعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً » الحديث . وفيه قال : فبكى عمر حتى اخضلت لحيته . وفيه « ولا أدهن رأسى حتى يشعث » .

وأما عن أبى ذر فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبى شيبة ، قال إسحق أخبرنا — وقال الآخران حدثنا — عبد العزيز ابن عبد الصمد العمى عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال « قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال : والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل » رواه الترمذى بهذا اللفظ وقال حسن صحيح غريب .

وأما عن أم سلمة رضى الله عنها فقال مسلم بن الحجاج : حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصدفى أخبرنى عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو وهو ابن الحارث أن بكيراً حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج

النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت « كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيها الناس . فقلت للجارية استأخري عني . قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء . فقلت : إني من الناس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لكم فرط على الحوض ، فإياى لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً » .

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثني الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا إني فرط لكم على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم » .

وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا حفص بن عمر النمرى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال : ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد عليّ الحوض . قال قلت : كم كنتم يومئذ ؟ قال : سبعمائة أو ثمانمائة » .

وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا أحمد بن نيزك البغدادى أنبأنا محمد بكار الدمشقى أنبأنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة » هذا حديث حسن غريب . وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح . اهـ

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة إليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود . وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا على بن مسهر عن أبي مالك سعد بن طارق عن ربعى عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن حوضى لأبعد من أيلة إلى عدن ، والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم ، ولهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، والذى نفسى بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه . قيل : يا رسول الله

أتعرفنا ؟ قال : نعم تردون علىّ غراً محجلين من أثر الوضوء ، ليست لأحد غيركم » .
ورواه مسلم فى الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند .

وأما عن أبى برزة فقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبد السلام بن أبى حازم أبوطالوت قال : شهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد فحدثنى فلان سماه مسلم وكان فى السماط فلما رآه عبيد الله قال إن محمديكم هذا لدحداح (١) ، ففهمها الشيخ فقال : ما كنت أحسب أنى أبقى فى قوم يعيرونى بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له عبيد الله : إن صحبة محمد صلى الله عليه وسلم لك زين غير شين ، ثم قال : إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض ، سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئاً ؟ فقال أبو برزة : نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذب به فلا سقاه الله منه ، ثم خرج مغضباً .

وأما عن المستورد فتقدم فى المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب .

وأما حديث أبى سعيد الخدرى فقال ابن ماجه رحمه الله تعالى : حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لى حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم ، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » .

وأما عن عبد الله بن زيد فرواه البخارى ومسلم عنه مطولا فى قصة قسم غنائم حنين ، وفى آخره قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار رضى الله عنهم « إنكم ستلقون بعدى أثرة ، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » .

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى : حدثنى البرنى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة ابن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بنى النجار فقالت : خرج يا نبى الله عامداً نحوك ، فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار . أو لا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حيساً فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله هنيئاً لك ومريئاً ،

---

(١) الدحداح : القصير السمين

لقد جئت وأنا أريد أن آتيك لأهنيك وأمريك ، أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهراً فى الجنة يدعى الكوثر . فقال : أجل وعرضه – يعنى أرضه – ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : حرام بن عثمان ضعيف ، ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اهـ . قلت : وقد ذكرنا منها ما تيسر . وفى الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا ، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم نذكرها ، ولهم روايات فى الأصول التى عزونا إليها غير ما سقنا ، وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار . ولله الحمد والمنة .

فصل – فى الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

(كذا له لواء حمد ينشر وتحته الرسل جميعاً تحشر)

قال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام ابن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم على ربى ولا فخر » هذا حديث حسن غريب . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عامر العقدى أنبأنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل ابن أبى بن كعب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع تلك اللبنة ، وأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة » . وبهذا الإسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » هذا حديث حسن صحيح غريب . حدثنا ابن أبى عمر أنبأنا سفيان عن ابن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » وفى الحديث قصة . هذا حديث حسن . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا على بن نصر بن على الجهضمى أنبأنا عبيد الله بن عبد المجيد أنبأنا زمعة بن صالح عن مسلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : جلس ناس

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر : ماذا بعجب من كلام موسى كلمه تكليماً ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم فسلم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر » . هذا حديث غريب . قلت : ومعناه ثابت فى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتى وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم .

فصل — فى آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

(كذا له الشفاعة العظمى كما   قد خصه الله بها تكرما)
(من بعد إذن الله لا كما يرى   كل قبورى على الله افترى)

(**كذا له**) لنبينا صلى الله عليه وسلم (**الشفاعة العظمى**) يوم القيامة ، وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ولذا قلنا (**قد خصّه الله بها**) بالشفاعة (**تكرّما**) منه عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته به كما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ، وفيه عنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته ، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » ، وفيه عن أنس رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى دعوة دعاها لأمته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » . وفيه عن أبى هريرة رضى

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجَّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » . وفيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ وقال عيسى عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فرفع يديه وقال : اللهم أمتي ، وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد — وربك أعلم — فسله : ما يبكيك . فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال — وهو أعلم — فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك » . وفيه عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » . وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » ، وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل ، سواء في ذلك شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وشفاعة من دونه ، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة ، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه ، كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه — ما من شفيع إلا من بعد إذنه — قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له — وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى — قل لله الشفاعة جميعاً — ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون — لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ ، ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً — ويومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا — ولا يشفعون إلا لمن ارتضى

وهم من خشيته مشفقون ﴾ وقال تعالى فى الكفار ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين — ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ ، وقال عنهم ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ . وسيأتى فى ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وأنه يأتى فيستأذن ربه عز وجل ، ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها ، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال : ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع ، وأنه يحد له حداً فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك ، وفى كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له ويحد له حداً حتى ينجو جميع الموحدين ، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن له ، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود . والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه ، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع فى المشفوع حين يأذن فى الشفاعة .

(لا كما يرى كل قبــورى) نسبة إلى القبور لعبادته أهلها **(على الله افترى)** فى ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التى هى ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها ، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات ، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات ، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم . وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفى ويكفى ولله الحمد والمنة .

(يشفع أولا إلى الرحمن فى فصل القضاء بين أهل الموقف)
(من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولى العزم الهداة الفضلا)

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى أعظم الشفاعات ، وهى المقام المحمود الذى ذكر الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله إياه له صلى الله عليه وسلم بعد كل أذان . وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب قوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ حدثنا إسماعيل ابن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع ، حتى

تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » . وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا فى سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف ، قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ، ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت دعوة دعوت بها على قومى ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم . فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم . فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم

وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟
فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ،
اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسول الله
وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى
ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ،
ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى . ثم قال :
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول : يارب أمتى أمتى .
فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما
بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » ، قال
وحدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى
هريرة قال : « وضعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم ،
فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه ، فنهس نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ،
ثم نهس أخرى فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة . فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال :
ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين »
وساق الحديث بمعنى حديث أبى حيان عن أبى زرعة ، وزاد فى قصة إبراهيم فقال :
وذكر قوله فى الكوكب : هذا ربى ، وقوله لآلهتهم : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله
إنى سقيم . قال : والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتى
الباب لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة ، قال لا أدرى أى ذلك قال » . وروى الإمام
أحمد عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم
القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ، ويكسونى ربى عز وجل حلة خضراء ، ثم يؤذن لى
فأقول ما شاء الله تعالى أن أقول ، فذلك المقام المحمود » ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى
حديث أنس رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيامة
فيهتمون لذلك — وفى لفظة فيلهمون لذلك — فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى
يريحنا من مكاننا هذا ، قال فيأتون آدم » الحديث ، وتقدم فى حديث الصور قوله
صلى الله عليه وسلم « فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى

بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دماً ، وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان ، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا ؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم ، خلقه الله تعالى ، ونفخ فيه من روحه وكلّمه قبلا ، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه ، فيأبى ويقول : ما أنا بصاحب ذلك . فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاؤا نبياً أبى عليهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتونى فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجداً . قال أبو هريرة : يا رسول الله وما الفحص ؟ قال قدام العرش ، حتى يبعث الله إلىّ ملكاً فيأخذ بعضدى ويرفعنى فيقول لى : يا محمد . فأقول : نعم يارب ، فيقول الله عز وجل : ما شأنك ؟ وهو أعلم . فأقول : يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم . قال الله تعالى : قد شفعتك ، أنا آتيكم أقضى بينكم » الحديث . وروى الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه قال : حدثنى نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « إنى لقائم أنتظر أمتى تعبر على الصراط ، إذ جاءنى عيسى عليه السلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون — أو قال يجتمعون إليك — ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم جاءهم فيه ، فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال : انتظر حتى أرجع إليك ، فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقى ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل ، فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن « اذهب إلى محمد وقل له : ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع » الحديث . وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف « فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها . فقلت : اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم » .

فصل — اختصاصه صلى الله عليه وسلم باستفتاح باب الجنة

(وثانيــاً يشفع فى استفتاح دار النعيم لأولى الفـــــلاح)
(هــذا وهاتان الشــفاعتان قد خصتنا به بلا نكران)

هذه الشفاعة الثانية فى استفتاح باب الجنة ، وقد جاء فى الأحاديث أنها أيضاً من المقام المحمود ، وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحق بن إبراهيم . قال قتيبة حدثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس يشفع فى الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار ابن فلفل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » . وحدثنا أبو بكرِ بن أبى شيبة حدثنا حسين ابن على عن زائدة عن المختار بن فلفل قال : قال أنس بن مالك قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا أول شفيع فى الجنة ، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت ، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد » . وحدثنى عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلكِ » . قال حدثنا محمد بن طريف بن خليفة البجلى حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة ، وأبو مالك عن ربعى عن حذيفة رضى الله عنه قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله عز وجل . قال فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك ، وإنما كنت خليلا من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذى كلمه الله تعالى تكليماً . فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه ، فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط فيمر أولكم كالبرق » الحديث — تقدم باقيه فى الصراط . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبى جعفر قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر قال سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم ، وقال : إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم » . وزاد عبد الله حدثنى الليث قال حدثنى ابن أبى جعفر « فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى

يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم » . ففى هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين : الأولى فى فصل القضاء ، والثانية فى استفتاح باب الجنة ، وسمى ذلك كله المقام المحمود .

(**هذا**) أى ما ذكر (**وهاتان الشفاعتان**) المذكورتان اللتان هما المقام المحمود (**قد خصتا**) أى جعلهما الله تعالى خاصتين (**به**) أى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وليستا لأحد غيره (**بلا نكران**) بين أهل السنة والجماعة ، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة فى إخراج عصاة الموحدين من النار ، وهى المشار إليها بقولنا :

(وثالثا يشفع فى أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام)
(وأوبقتهم كثرة الآثام فادخلوا النار بذا الإجرام)
(أن يخرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذى الإحسان)

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأنكرها فى آخر عصر الصحابة الخوارج ، وأنكرها فى عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء ، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدينه مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم فى جهنم مع فرعون وهامان وقارون ، فجحدوا قول الله عز وجل ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وقوله عز وجل ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون ﴾ وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة . وقال البخارى رحمه الله تعالى : وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحبس المؤمنون يوم القيامة

حتى يهموا بذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال فيقول : لست هناكم . قال ويذكر خطيئته التى أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ، ولكن ائتوا نوحاً أول نبى بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . قال فيأتون إبراهيم فيقول : إنى لست هناكم ، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرّبه نجياً . قال فيأتون موسى فيقول: إنى لست هناكم ، ويذكر خطيئته التى أصاب قتله النفس ، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمته ، قال : فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى ، فإذا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعنى ما شاء الله تعالى أن يدعنى فيقول : ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط . قال : فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة » . قال قتادة : وسمعته أيضاً يقول « فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه ، فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ، ثم يقول : أرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط . قال : فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة » قال قتادة : وسمعته يقول « فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول : ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة » . قال قتادة : وقد سمعته يقول « فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن » أى وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا هذه الآية ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم وقال أيضاً : حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو

استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا — وذكره مختصراً وقال فى الثالثة أو الرابعة — حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن » وكان قتادة يقول عند هذا : أى وجب عليه الخلود . ورواه مسلم من طرق بنحوه وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أبو الربيع العتكى حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى . ح . وحدثنا سعيد بن منصور — واللفظ له — حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحي ، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال : يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة . قال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم فيقول له : اشفع لذريتك . فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله ؛ فيؤتى موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأوتى فأقول : أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى ، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ، ثم أخر له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع . فأقول : رب أمتى أمتى ، فيقال : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول ، . أمتى أمتى ، فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربى عز وجل فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل » هذا حديث أنس الذى أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كنا بظهر الجبان : قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف فى دار أبى خليفة . قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا : يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه فى الشفاعة . قال : هيه . فحدثناه الحديث . فقال : هيه . قلنا

ما زادنا . قال : قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئاً ما أدرى أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا ، قلنا له : حدثنا . فضحك وقال : خلق الإنسان من عجل ، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه « ثم ارجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع . فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله . قال : ليس ذاك لك — أو قال ليس ذاك إليك — ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن من قال لا إله إلا الله » قال : فاشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه أراه قال : قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع . وقال أيضاً : حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبى عروبة وهشام صاحب الدستواء عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ح . وحدثنى أبو غسان المسمعى ومحمد ابن المثنى قالا حدثنا معاذ وهو ابن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة . ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة » زاد ابن منهال فى روايته : قال يزيد فلقيت شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة حدثنا به قتادة عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث ، إلا أن شعبة جعل مكان الذَّرَّة ذُرَة ، قال يزيد صحف فيها أبو بسطام .

وقال رحمه الله تعالى : حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعنى محمد بن أيوب قال حدثنى يزيد الفقير قال : كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد تريد أن نحج ثم نخرج على الناس ، قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ و ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ فما هذا الذى تقولون ؟ قال فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد صلى

الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج . قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه ، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك ، قال غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها . قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم ، قال فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس ، فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد ، أو كما قال أبو نعيم . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابراً رضى الله عنه يقول سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم بإذنه يقول « إن الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة » ، وفى رواية له عن حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار « سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ؟ قال نعم » ، ورواه البخارى ، وفى رواية له أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير » قال الضغابيس وكان قد سقط فمه . وقال : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع ، فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين » . قال رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » . وهذه الشفاعة الثالثة قد فسر بها المقام المحمود أيضاً حديث أنس وحديث جابر رضى الله عنهما فيكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات كما فى التى أوتيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأولبين لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بهما دون غيره من عباد الله المكرمين ، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهى وإن كانت من المقام المحمود الذى وعده فليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين ولكن هو صلى الله عليه وسلم المقدم فيها ، ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى فى مثل ما يشفع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايدانيه فى ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ، ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين

وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين ، ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له آهل ، ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعة الشافعين ، ولذا قلنا فى ذلك :

(وبعده يشفع كل مرسل وكل عبد ذى صلاح وولى)
(ويخرج الله من النيران جميع من مات على الإيمان)
(فى نهر الحياة يطرحونا فحماً فيحيون وينبتونا)
(كأنما ينبت فى هيئاته حب حميل السيل فى حافاته)

تقدم فى حديث أبى هريرة المتفق عليه فى طريق الرؤية قول النبى صلى الله عليه وسلم « حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو أخر أهل النار دخولا الجنة » الحديث تقدم بطوله — وتقدم حديث أبى سعيد المتفق عليه أيضاً بطوله — وفيه فى نعت المرور على الصراط : « حتى يمر أخرهم يسحب سحباً ، فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق ، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غار فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا . ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا . ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا — قال أبو سعيد : فإن لم تصدقونى فاقرأوا ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ — فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار : بقيت شفاعتى ، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد

رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل فى رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » . وفى لفظ مسلم « حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا بهم . يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً » ، وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرَّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً ، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض . فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين . فيقول : لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون : ربنا أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » . وفيهما من حديثه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء فى رحمته ويدخل أهل النار النار . ثم يقول : انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون

منها حمماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية — وفى رواية لمسلم : كما تنبت الغثاءة فى جانب السيل » ، وله عنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال بخطاياهم — فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل. فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدكان بالبادية » . وللترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب . مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى » هذا حديث حسن غريب . وله عن عبد الله بن شقيق قال : كنت مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم . قيل : يا رسول سواك ؟ قال : سواى » فلما قام قلت : من هذا ؟ قالوا هذا ابن أبى الجذعاء . هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبى الجذعاء هو عبد الله ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه ، وللترمذى أيضاً عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس ، منهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل . حتى يدخلوا الجنة » . هذا حديث حسن .

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عايه وسلم قال : يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين » ورواه ابن ماجه . وله عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، ترونها للمتقين ، لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » . وله عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما خيرنى ربى الليلة ؟ قلنا : الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم ، قال : فإنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها . قال : هى لكل مسلم » .

ورواه الترمذي بلفظ « فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » :
والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً مشهورة مستفيضة بل متواترة ، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية ، وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة ، وبقي من النصوص في هذا الباب كثير ، وبالله التوفيق .

باب الإيمان بالقضاء والقدر

(والسادس الإيمان بالأقدار فأيقنن بها ولا تمارى)
(فكل شيء بقضاء وقدر والكل في أم الكتاب مستطر)

والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر خيره وشره ، قال الله تعالى ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ وقال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ وقال تعالى ﴿ ما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ وقال تعالى ﴿ وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ﴾ وقال تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخر السورة .
وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال : قرأت على مالك بن أنس (ح) . وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون « كل شيء بقدر » . قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس » ، أو « الكيس والعجز » . حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر . فنزلت ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

ورواه الترمذى وابن ماجه . وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها » حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبى عثمان عن أسامة قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته وعنده سعد وأبى بن كعب ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه ، فبعث إليها « لله ما أخذ ولله ما أعطى ، كل بأجل ، فلتصبر ولتحتسب » .
حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى قال أخبرنى عبد الله ابن محيريز الجمحى أن أبا سعيد الخدرى أخبره أنه بينما هو جالس عند النبى صلى الله عليه وسلم جاء رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله إنا نصيب سبياً ونحب المال كيف ترى فى العزل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو إنكم تفعلون ذلك ؟ لا عليكم أن لا تفعلوا ، فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هى كائنة » ، وقال رحمه الله تعالى : حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل » .
وقال أيضاً : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قد قدر له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل » . وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة وابن نمير قالا : حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .
وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الترمذى وغيره قول النبى صلى الله عليه وسلم له « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » الحديث .
والأحاديث فى القدر كثيرة جداً قد تقدم منها أشياء متفرقة وسنذكر منها ما ييسره الله عز وجل فى هذا الباب .

(**فصل**) واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب : المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم فى جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار ، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه ، كل ذلك بعلمه الذى هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ وقال تعالى ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ وقال تعالى ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴾ وقال تعالى ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ وقال تعالى ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين — أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ . وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب الله أعلم بما كانوا عاملين ، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين » ، حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرنى عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين » . حدثنى إسحاق أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من

جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها . قالوا يا رسول الله فرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » . وقال أيضاً رحمه الله تعالى : حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال : سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال « قال رجل : يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم . قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : كل يعمل لما خلق له » أو « لما يسر له » . وقال رحمه الله أيضاً : حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين فى غزوة غزاها مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه ، فأقبل الرجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مسرعاً فقال : أشهد أنك رسول الله . فقال : وما ذاك ؟ قال : قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه ، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين ، فعرفت أنه لا يموت على ذلك . فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك : إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » . وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » . حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت « توفى صبى فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا » . حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت « دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبى من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم » . وقال رحمه الله تعالى

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز - يعنى ابن محمد - عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة » قلت : وهذا الحديث وما فى معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب - يعنى ابن عبد الرحمن القارى - عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » الحديث يفسر الأول أن عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس .

وقال رحمه الله تعالى : حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبى الأسود الدؤلى قال : قال لى عمران بن الحصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم . فقلت : بل شىء قضى عليهم ومضى عليهم ، قال فقال : أفلا يكون ظلماً ؟ قال ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت : كل شىء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يُسألون ، فقال لى : يرحمك الله تعالى إنى لم أرد بما سألتك إلا حرز عقلك ، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفى شىء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال : لا بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم ، وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ . وفيه عن على رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالساً وفى يده عود ينكت به ، فرفع رأسه فقال : ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار . قالوا : يا رسول الله فلم نعمل ، أفلا نتكل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، إلى قوله - فسنيسره للعسرى ﴾ والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها ، وقد تقدم منها جملة فى إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات .

(**فصل**) المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذى لم يفرط فيه من شىء ، قال الله عز وجل ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ وقال تعالى ﴿ وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر ﴾ وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون ﴿ فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو — إلى قوله — ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب ، أو يذكر كل حدته . وكتابه تعالى من علمه . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عبدان بن أبى حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه قال : « كنا جلوساً مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت فى الأرض وقال : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا ، اعملوا فكل ميسر . ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ الآية . ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم — واللفظ لزهير — قال إسحق : أخبرنا . وقال الآخران : حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصره ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة . قال فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال : اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل

الشقاوة . ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أحمد ابن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير (ح) . وحدثنا يحيي بن يحيي أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال « جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال : يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما نعمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟ قال : لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير . قال : ففيم العمل ؟ قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه ، فسألت ما قال ؟ فقال اعملوا فكل ميسر » — وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عامل ميسر لعمله » .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون — إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن — ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ ، وقال منصور ابن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : وحرم بالحبشية وجب . حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » ، ورواه مسلم بهذا اللفظ وبلفظ قال صلى الله عليه وسلم « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » . وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه « ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام إني معلمك كلمات ينفعك الله بهن : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » ، ورواه الترمذي بنحوه وقال : حسن صحيح ، وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي

الأصبحى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قال قلنا : إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذى فى يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال للذى فى يساره : هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلأى شىء إذاً نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم بعمل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار ليختم بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل . ثم قال بيده فقبضها ثم قال : فرغ ربكم عز وجل من العباد . ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال : فريق فى الجنة . ونبذ باليسرى فقال : فريق فى السعير » ورواه الترمذى بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب . وغير ذلك من الأحاديث كثير .

(فصل) والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير : **(الأول)** التقدير الأزلى قبل خلق السموات والأرض عند ما خلق الله تعالى القلم ، كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ الآية ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : « دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بنى تميم . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قبلنا يا رسول الله . قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر . قال : كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض . فنادى مناد : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هى يقطع دونها السراب ، فو الله لوددت أنى كنت تركتها » . وقال مسلم رحمه

الله تعالى : حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرنى أبو هانئ الخولانى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وعرشه على الماء » ، ولهما عن أبى هريرة حديث احتجاج آدم وموسى ، وهذا اللفظ لمسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك فى جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض . فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيا . فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : فهل وجدت فيها ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ؟ قال : نعم . قال : أفتلومنى على أن عملت عملا كتب الله على : أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى » ، وله عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة . وقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا جعفر بن مسافر الهذلى حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الوليد بن رباح عن إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى حفصة قال : قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بنى إنك إن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . قال : رب وماذا اكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة » . يا بنى إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من مات على غير هذا فليس منى » . وقال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسى أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبى رباح فقلت له : يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون فى القدر . قال : يا بنى أتقرأ القرآن ؟ قلت ، نعم . قال : فاقرأ الزخرف . قال : فقرأت ﴿ حم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾ قال : أتدرى ما أم الكتاب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض فيه : إن فرعون من أهل النار ، وفيه تبت يدا أبى لهب وتب .

قال عطاء : فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته : ما كانت وصية أبيك عند الموت ؟ قال دعانى فقال : يا بنى اتق الله ، واعلم أنك لن تتقى الله تعالى حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره ، فإن مت على غير هذا دخلت النار . إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : أكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد » هذا حديث غريب . وقال البخارى رحمه الله تعالى : قال أصبغ : أخبرنى ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنى رجل شاب وأخاف على نفسى العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء ، فسكت عنى . ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختصر على ذلك أو ذر » ، وغير ذلك من الأحاديث .

(**فصل**) التقدير (**الثانى**) من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قال تعالى ﴿ وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ، وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا معاوية ابن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحق الفزارى حدثنا الأوزاعى حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » حسنه الترمذى . وقال أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا هشيم وسمعته أنا منه قال حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبى إدريس عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذى فى يمينه : إلى الجنة ولا أبالى ، وقال للذى فى كفه

اليسرى : إلى النار ولا أبالى » ، وقال رحمه الله تعالى : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث — يعنى ابن سعد — عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى . قال فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر » ، وفى الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وحديث عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين إلى الصحابى . وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى عن زيد بن أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل رضى الله عنه عن هذه الآية ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار » . وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير — يعنى ابن أبى حازم — عن كلثوم ابن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان — يعنى عرفة — فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا ﴿ ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ صححه الحاكم . وروى ابنه عبد الله فى زوائده على مسند أبيه حدثنا محمد بن يعقوب الربالى حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبى العالية عن أبى بن كعب رضى الله

عنه فى قول الله عز وجل ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ الآية قال « جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى — قال فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك ، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى فلا تشركوا بى شيئاً ، إنى سأرسل إليكم رسلى يذكرونكم عهـدى وميثاق وأنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك . فأقروا بذلك » الحديث . وقال الإمام الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى عمران قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن لك ما فى الأرض من شىء أكنت تفتدى به ؟ فيقول نعم ، فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى ، فأبيت إلا أن تشرك بى » ورواه مسلم وغيره ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة ، وقد قدمنا منها جملة وافية فى أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق . ولله الحمد والمنة .

(**فصل**) التقدير (**الثالث**) العمرى عند تخليق النطفة فى الرحم ، فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه . قال الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ﴾ وغيرها من الآيات . وروى البخارى

ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال : سمعت زيد بن وهب عن عبد الله
– يعني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه – قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى
ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ
فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات تكتب : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد .
فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل
أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل
الجنة فيدخلها » وهذا لفظ مسلم ، ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبى
بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« وكل الله تعالى بالرحم ملكاً فيقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة :
فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى ؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق ؟
فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه » ، وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنى أبو
الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى
الزبير المكى أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول :
الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . فأتى رجل من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدثه بذلك من قول ابن
مسعود فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك
فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة
بعث الله تعالى إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم
قال : يارب ذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يقول : يارب
أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك . ثم يقول : يارب ما رزقه ؟ فيقضى ربك
ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص »
وفى رواية له من طريق أخرى « فيقول : يارب أذكر أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً
أو أنثى . ثم يقول : يارب أسوى أو غير سوى فيجعله الله تعالى سوياً أو غير سوى .
ثم يقول : يارب ما رزقه ، ما أجله ، ما خلقه ؟ ثم يجعله الله تعالى شقياً أو سعيداً » ،
وفى رواية لأحمد « فيقول يارب ماذا أشقى أم سعيد ؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيكتبان ،

فيقول : ماذا أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله عز وجل فيكتبان . فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص » ، وله عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استقرت النطفة فى الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث الله إليه ملكاً فيقول يارب ما رزقه فيقال له . فيقول يارب ما أجله فيقال له . فيقول يارب ذكر أم أنثى ؟ فيعلمه . فيقول يارب شقى أو سعيد ؟ فيعلمه » ، تفرد به وإسناده حسن . وله عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فرغ الله إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره وشقى أم سعيد » والأحاديث فى ذلك كثير .

(**فصل**) والرابع التقدير الحولى فى ليلة القدر ، يقدر فيها كل ما يكون فى السنة إلى مثله ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ الآيات .

قال مجاهد : ليلة القدر ليلة الحكم ، وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج فى ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وقال الحسن البصرى : والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان ، وإنها لليلة القدر ، يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها ، وقال ابن عباس : يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان ، وقال مقاتل : يقدر الله تعالى فى ليلة القدر أمر السنة فى بلاده وعباده إلى السنة القابلة ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى : يقدر أمر السنة كلها فى ليلة القدر ، وذكر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : إنك لترى الرجل غشى فى الأسواق وقد وقع اسمه فى الموتى ، وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك والضحاك : فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها . والآثار فى ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة .

(**فصل**) والخامس التقدير اليومى وهو سوق المقادير إلى المواقيت التى قدرت لها فيما سبق ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن ﴾ وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي

عن أبيه قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ فقلنا : يا رسول الله وما ذاك الشأن ؟ قال : أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » . وروى ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » ، وعلقه البخارى موقوفاً ، وروى البزار عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قال « يغفر ذنباً ويكشف كرباً » . وله هو وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق فى كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء . وروى ابن أبى حاتم عن سويد بن جبلة الفزارى قال : إن ربكم كل يوم هو فى شأن فيعتق رقاباً ، ويعطى رغاباً ، ويقحم عقاباً . وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قال : من شأنه أن يجيب داعياً . أو يعطى سائلا . أو يفك عانياً . أو يشفى سقيماً . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً . ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً . وقال قتادة : لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيى حياً ويميت ميتاً . ويربى صغيراً ويفك أسيراً . وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم ، وقال الحسين بن فضل : هو سوق المقادير إلى المواقيت ، وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية : كل يوم له إلى العبيد بر جديد . وذكر البغوى رحمه الله تعالى قول المفسرين : من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفى مريضاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطى سائلا ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه فى خلقه ما يشاء . وجملة القول فى ذلك أن التقدير اليومى هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه ، فى الوقت الذى سبق أنه يناله فيه ، لا يتقدمه ولا يتأخره . كما أن فى الآخرة يأتى تأويل الجزاء الموعود إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوى رحمه الله تعالى : الدهر كله عند الله يومان : أحدهما مدة أيام الدنيا ، والآخر يوم القيامة ، فالشأن الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعنى وغير ذلك ، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب اهـ . ثم هذا التقدير اليومى تفصيل من

التقدير الحولى ، والحولى تفصيل من التقدير العمرى عند تخليق النطفة ، والعمرى تفصيل من التقدير العمرى الأول يوم الميثاق ، وهو تفصيل من التقدير الأزلى الذى خطه القلم فى الإمام المبين . والإمام المبين هو من علم الله عز وجل ، وكذلك منتهى المقادير فى آخريتها إلى علم الله عز وجل ، فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ .

(**فصل**) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ، ويفترقان فى ما لم يكن ولا هو كائن . فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى — ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة — ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً — أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً — ولو شاء الله ما اقتتلوا — ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ فالسبب فى عدم وجود الشىء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده ، لا أنه عجز عنه ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك ﴿ وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديراً ﴾ .

(**فصل**) والمرتبة الرابعة مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه ، وما من ذرة فى السموات ولا فى الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها ، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه . وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما فى توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(**فصل**) وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو تعالى الذى منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم فى الكتاب والسنة ، ووصفهم به ، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله عز وجل ، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم

فاعلين ، كما جمع تعالى بين ذلك فى غير ما موضع من كتابه كقوله عز وجل ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ وقوله تعالى ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وقال تعالى ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أى بسببه ، وقال تعالى ﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له » . وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله — لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ﴾ حدثنا أبو النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول : « والله لولا الله ما اهتدينا . ولا صمنا ولا صلينا ، فأنزلن سكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا ، والمشركون قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا » . وقال صلى الله عليه وسلم فى الحمر « ما أنزل الله علىَّ فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ » وغير ذلك ما لا يحصى ، وقد تقدم منها جملة وافية فى إثبات الإرادة والمشيئة والخلق ، فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم ، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم ، تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله ، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ، وليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هى عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله ، كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وهى من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة ، فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة ، والله تعالى هاد حقيقة ، والعبد مهتد حقيقة ، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال عز وجل ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة ، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، وكما أن الهادى تعالى ليس هو عين المهتدى ، فكذلك ليست الهداية هى

عين الاهتداء ، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة ، وذلك العبد يكون ضالا حقيقة ، وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا ﴿ هو الذى خلقكم فنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾ أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كوناً لا شرعاً ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ، ولهذا قال تعالى ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فأضاف الله تعالى الخلق الذى هو فعله القائم به إليه حقيقة ، وأضاف الإيمان والكفر الذى هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة ، والله تبارك وتعالى هو الذى جعلهم كذلك ، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التى منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها . والمقصود أن الله سبحانه فى جميع تصرفاته فى عباده فاعل حقيقة ، والعبد منفعل حقيقة ، فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر ، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر ، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة ، فالأول قول القدرية النفاة ، وأول من أحدثه فى هذه الأمة معبد الجهنى فى آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر فى سياق حديث جبريل السابق فى سؤاله النبى صلى الله عليه وسلم عن الدين ، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة وأئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفّروا منتحله ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضاً بمجانبته والفرار من مجالسته . ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التى انتحلها هو رءوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال ، وعمرو بن عبيد ومن فى معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأنكر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم ، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة ، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدى : رجل سوء كافر ، قال الذهبى : كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ومما قيل فيه :

ويجعل البُرَّ قمحا فى تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطراً فى القول يجعله ... فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر

وكان يتوقف فى عدالة أهل الجمل ويقول : إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم . هلك سنة

إحدى وثلاثين ومائة . وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان – ويقال ابن كيسان – التيمي مولاهم أبو عثمان البصري من أبناء فارس ، قال ابن كثير : هو شيخ القدرية والمعتزلة ، روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس وأبي العالية وأبي قلابة ، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد وهارون بن موسى ويحيي القطان ويزيد بن زريع ، قال الإمام أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال علي بن المديني ويحيي بن معين : ليس بشيء . وزاد ابن معين : وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة كان يحيي القطان يحدثنا عنه ثم تركه . وكان ابن مهدي لا يحدث عنه ، وقال أبو حاتم : متروك ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث ، وقال حماد بن سلمة قال لي حميد : لا تأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري . وكذا قال أيوب وعوف بن عون ، وقال أيوب : ما كنت أعدُّ له عقلا ، وقال مطر الوراق : والله لا أصدقه في شيء ، وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر ، وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه ، قال الحسن البصري : هذا سيد شباب القراء ما لم يُحْدِث ، قالوا فأحدث والله أشد الحدث ، وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث ، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة . وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهماً لا تعمداً . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ في اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة ، وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً – حتى قال – فيؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » إلى آخره ، فقال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أجبته ، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ، ولو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ما على هذا أخذت علينا الميثاق . وهذا من أقبح الكفر ، لعنه الله إن كان قال هذا ، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه . وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

أيهـــا الطـــالب علمـــا   إئت حمـــاد بن زيـــد
فخـــذ العـــلم بحـــلم   ثم قيـــده بقيـــد
وذر البـــدعة مـــن   آثـــار عمـــرو بن عبيـــد

وقال ابن عدى : كان عمرو يغر الناس بتقشفه ، وهو مذموم ضعيف الحديث جداً معلن بالبدع . وقال الدارقطنى : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادى : جالس الحسن واشتهر بصحبته ، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى .

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به ، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم ، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات ، ثم افترقوا فى أفعال الله كما افترقوا فى علمه ، ففرقة قالت : كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له ، لا خيرها ولا شرها . والأخرى قالت : الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له ، وأما الشر فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له . فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه ، وأثبتوا خالقين . فهم فى الحقيقة مجوس ثنوية ، بل أعظم منهم ، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين ، ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس ، فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخلة فى ربوبيته عز وجل ، وأنه يكون فى ملكه ما لا يريد ويريد ما لا يكون ، وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستهدونه الصراط المستقيم ، فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول لا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى ﴿ من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

(**فصل**) والقول الثانى وهو إضافة الفعل والأنفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون : إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوى من أعلى إلى أسفل . وأن تكليف الله

سبحانه وتعالى عباده — من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي — كتكليف الحيوان البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب ، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم ، وأن ذلك كتعذيب الطويل لِمَ لَمْ يكن قصيراً والقصير لم لم يكن طويلا والأسود لم لم يكن أبيض والأبيض لم لم يكن أسود ، فسلبوا العبد قدرته واختياره ، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها ، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة ، وجحدوا حجته الدامغة ، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده ، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدله وشرعه . فلا قيام عندهم لسوق الجهاد ، ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب ، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل ما لا يطاق والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيراً ، وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم ، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه ، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته . هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية . وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله ، فمن ذلك قول بعضهم :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله :

دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي

وقول كافر آخر فض الله فاه :

وضعوا اللحم للبزا ة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا عنهم الرسن
لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن . اهـ

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال : لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره . وصعد رجل يوماً على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما ، فقال الغلام : إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك ،

فقال : لَعلمك بالقضاء والقدر أحب إلى من كل شىء ، أنت حر لوجه الله . ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهى تقول : القضاء والقدر فقال : يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا ؟ فقالت : أوه تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس . فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال : لولاكِ لضللتُ . ورأى آخر رجلا يفجر بامرأته فقال : ما هذا ؟ فقالت : هذا قضاء الله وقدره . فقال : الخيرة فيما قضى الله . فلقب بالخيرة فيما قضى الله ، وكان إذا دعى به غضب وقيل لبعض هؤلاء : أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر ؟ فقال : دعنا من هذا ، رضيه وأحبه وأراده . وما أفسدنا غيره . ولقد بالغ بعضهم فى ذلك حتى قال : القدر عذر لجميع العصاة ، وإنما مثلنا فى ذلك كما قيل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبـون فنأتيكم فنعتـذر

وبلغ بعض هؤلاء أن علياً مرَّ بقتلى النهروان فقال : بؤساً لكم ، لقد ضركم من غركم . فقيل : من غرهم ؟ فقال : الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأمانى . فقال هذا القائل : كان على قدرياً ، وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد . واجتمع جماعة من هؤلاء يوماً فتذاكروا القدر ، فجرى ذكر الهدهد وقوله ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ فقال : كان الهدهد قدرياً ، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله . وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ أيمنعه ثم يسأله ما منعه ؟ قال : نعم قضى عليه فى السر ما منعه فى العلانية ولعنه عليه . قال له : فما معنى قوله عز وجل ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله ﴾ إذا كان هو الذى منعهم ؟ قال : استهزاء بهم . قال : فما معنى قوله ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ ؟ قال : فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى . وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصى الله فقال : إن كنت عاصياً لأمره فأنا مطيع لإرادته . وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم ، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال : إلى متى هذا اللوم ؟ ولو خلى لسجد ، ولكن منع . وأخذ يقيم عذره . فقال بعض الحاضرين : تباً لك سائر اليوم ، أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن ؟ وجاء جماعة إلى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه ، فلما رجع قال : كنت أصلح بين قوم . فقيل له : وأصلحت بينهم ؟ قال : أصلحت إن لم يفسد الله . فقيل

له : بؤساً لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك . ومر بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال : مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها ، وقيل لبعضهم : أترى الله كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه ؟ قال : والله قد فعل ذلك ، ولكن لا نجسر أن نتكلم . وقال بعض هؤلاء : ذنبة أذنبها أحب إلىّ من عبادة الملائكة . قيل : ولم ؟ قال : لعلمى بأن الله قضاها علىّ وقدرها ، ولم يقضها إلا والخيرة لى فيها ، وقال بعض هؤلاء : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله فى القدر . قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : عاتبت بعض شيوخ هؤلاء ، فقال لى : المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب ، والكون كله مراده ، فأى شيء أبغض منه ؟ قال فقلت له : إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من فى الكون وعاداهم ولعنهم ، فأحببتهم أنت وواليتهم ، أكنت ولياً للمحبوب ، أو عدواً له ؟ قال فكأنما ألقم حجراً . وقرأ قارئ بحضرة بعض هؤلاء ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ فقال : هو والله منعه ، ولو قال إبليس ذلك لكان صادقاً . وقد أخطأ إبليس الحجة ، ولو كنت حاضراً لقلت له : أنت منعته . وسمع بعض هؤلاء قارئاً يقرأ ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فقال : ليس من هذا شيء ، بل أضلهم وأعماهم اه — إلى أن قال : فيقال : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ما قدروا الله حق قدره ، ولا عرفوه حق معرفته ، ولا عظموه حق تعظيمه ، ولا نزهوه عما لا يليق به ، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم ، وهؤلاء خصماء الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث « يقال يوم القيامة أين خصماء الله ؟ فيؤمر بهم إلى النار » . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى تائيته :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة

قال وسمعته يقول : القدرية المذمومون فى السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث : نفاته وهم القدرية المجوسية . والمعارضون به للشريعة الذين قالوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ وهم القدرية المشركون . والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال ﴿ بما أغويتنى ﴾ ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم . فمن أقر

بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم ، ومن أشبه أباه فما ظلم . ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس . ثم ساق كلاماً طويلا فى فرق القدرية وضلالهم إلى أن قال رحمه الله تعالى : فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما فى جميع تركتهم وإما فى كثير منها وإما فى جزء منها ، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد ، وأنه هو الذى جعل المؤمن مؤمناً والمصلى مصلياً والمتقى متقياً ، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون إلى النار ، وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها ، وأنه يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، وأنه هو الذى وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه ، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به ، ولو شاء لوفقهم فآمنوا وأطاعوه ، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأنه لو شاء لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم ، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون .

والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم صلى الله عليه وسلم وأخبر بها عن ربه تعالى : الأول علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم ، الثانية كتابته ذلك فى الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض ، الثالثة مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه ، الرابعة خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله ، والله خالق كل شيء . فالخالق عندهم واحد وما سواه فمخلوق ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق . ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم فى كل ما فعله وخلقه ، وأن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هى التى اقتضت صدور ذلك وخلقه ، وأن حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته ، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها ، بل هى أمر وراء ذلك ، وهى الغاية المحبوبة له المطلوبة التى هى متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضل

وهدى ومنع وأعطى ، وهذه الحكمة هى الغاية والفعل وسيلة إليها ، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفى للغايات وهو محال ، إذ نفى الغاية مستلزم لنفى الوسيلة ، فنفى الوسيلة وهى الفعل لازم لنفى الغاية وهى الحكمة ونفى قيام الفعل والحكمة به نفى لهما فى الحقيقة ، إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا تقوم بالحكيم شىء لا يعقل ، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته ، وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد له عنه وإن أبى التزامه . وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور البتة بل قوله حق ولازم الحق حق كائناً ما كان .

والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة فى أفعال الرب تعالى وأوامره ، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهى وصدقوا بالوعد والوعيد ، فآمنوا بالخالق الذى من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة ، وبالأمر الذى من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب ، فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفى لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر ، وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة فى هذا الميراث النبوى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى . وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى . رحمه الله تعالى .

والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع ، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر ، وانفكاك أحدهما من الآخر محال ، فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى فى أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه ، وطعن فى حكمته وعدله ، وانتقاد عليه فى إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها ، وخلق النار لأعدائه المكذبين ، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين — الحكيم فى خلقه وشرعه ، العدل فى قوله وفعله وحكمه — إلى العبث والظلم فى ذلك كله . وكذلك الانقياد فى الشرع مع نفى القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة البارى وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن فى ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغنى عنك شيئاً ، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً . بل الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التى توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو

نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : لا ﴿ اعملوا فكل مُيسرٌ لما خلق له ﴾ . فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعانى ربوبيته ، وجعل العبد مستقلا بأفعاله خالقاً لها ، فأثبت خالقاً آخر مع الله تعالى ، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون ، ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافياً عن العبد قدرته واختياره التى منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعماً أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى ما لا يليق به ، ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه فى ذلك إذ يقول ﴿ رب بما أغويتنى ﴾ ، وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا رب سواه ، وينقادون للشرع أمره ونهيه ، ويصدقون خبر الكتاب والرسول ، ويحكمونه فى أنفسهم سراً وجهراً ، وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿ هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ وله فى ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركاً لا على القدر ، ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب ، ولا يحتجون به على المعاصى والمعايب ، فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد لله الذى هدانا سبلنا ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ ، وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه ، ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله ﴿ رب بما أغويتنى ﴾ ، وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ولم يقولوا كما قال الذين كفروا ﴿ وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ﴾ .

(**فصل**) واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال ، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح ، ولهذا لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال « لا ، اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ كما فى الأحاديث التى قدمنا وغيرها . فالله سبحانه وتعالى قدر المقادير وهيأ لها أسباباً وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب فى المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا من خلقه له فى الدنيا والآخرة ، فهو مهيأ له ميسر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً فى فعلها والقيام بها وأعظم منه فى أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً فى وجود الزرع ، والنكاح سبباً فى وجود النسل ، وكذلك العمل الصالح سبب فى دخول الجنة والعمل السيء سبب فى دخول النار . وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر « ما كنت بأشد اجتهاداً منى الآن » وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » . وفى المسند والترمذى وابن ماجه من حديث الزهرى عن ابن أبى خزامة عن أبيه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال « هى من قدر الله » يعنى أن الله تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منهما .

ذكر ما جاء من الأحاديث فى ذم القدرية

تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة أن هذه الآية ﴿ إن المجرمين فى ضلال وسعر . يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ أنها نزلت فى المخاصمين فى القدر . وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من مواضع من هذا المجموع ، وقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم قال حدثنى بمنى عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم

وإن ماتوا فلا تشهدوهم » ، ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، إلخ » وفى رواية « إن لكل أمة مجوساً وإن مجوس أمتى المكذبون بالقدر » إلخ ، وله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيكون فى هذه الأمة مسخ ألا وذاك فى المكذبين بالقدر والزنديقية » . وله عن نافع قال : كان لابن عمر رضى الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه ، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر : إنه بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدر ، فإياك أن تكتب إلى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيكون فى أمتى أقوام يكذبون بالقدر » . وللترمذى عن نافع عنه رضى الله عنه جاءه رجل فقال إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال : إنه بلغنى أنه قد أحدث ، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه منى السلام فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فى هذه الأمة — أو فى أمتى ، الشك منه — خسف أو مسخ أو قذف فى أهل القدر » هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال أبو داود رحمه الله أيضاً : حدثنا محمد بن أبى كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر . من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ، ومن مرض منهم فلا تعودوهم ، وهم شيعة الدجال ، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال » ، وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى أبو عبد الرحمن قال : حدثنى سعيد بن أبى أيوب قال : حدثنى عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلى عن يحيى بن ميمون الحضرمى عن ربيعة الجرشى عن أبى هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم » صحيح ، وقال رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبى سنان عن وهب بن خالد الحمصى عن ابن الديلمى قال : أتيت أبىّ بن كعب فقلت له : وقع فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله أن يذهبه من قلبى ، فقال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيت عبد الله بن

مسعود فقال مثل ذلك ، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال ثم أتيت زيد ابن ثابت فحدثني عن النبي مثل ذلك . وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه فى ذلك . وقال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن فضيل عن القاسم بن حبيب وعلى بن نزار عن نزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية » هذا حديث حسن غريب ، وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعى بن حراش عن على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر » . وقال رحمه الله تعالى : باب ما جاء من التشديد فى الخوض فى القدر . حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحى أنبأنا صالح المرى عن هشام ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ فى وجنتيه حب الرمان ، فقال : أبهذا أمرتم ، أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هـذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه » . ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، قال وكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمّان من الغضب ، قال فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم . قال فما غبطت نفسى بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسى بذلك المجلس أنى لم أشهده » ، ورواه ابن ماجه . ولأحمد عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر » . وله عن محمد بن عبيد المكى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قيل لابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر ، فقال : دلونى عليه ، وهو يومئذ قد عمى ، قالوا وما تصنع به يا أبا عباس ؟ قال : والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ، ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات » هذا أول شرك هذه الأمة ، والذى نفسي بيده

لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً » . وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : ما نزلت هذه الآيات ﴿ إن المجرمين فى ضلال وسعر . يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ إلا فى أهل القدر . ولابن أبى حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية ﴿ ذوقوا مس سقر ، إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ قال « نزلت فى أناس من أمتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بقدر الله » . وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبى رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه ، فقلت له : تُكلم فى القدر . فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ ذوقوا مس سقر ، إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ أولئك شرار هذه الأمة ، فلا تعودوا مرضاهم ، ولا تصلوا على موتاهم . إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين .

ذكر أقوال الصحابة فى هذا الباب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر ، وقول أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمى ، ووصية عبادة بن الصامت لابنه ، وروى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب ، قال ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . وله عنه فكتب فيما كتب ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ . وله عنه قال : أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم ، قال هذا فلان وهذا فلان ، ثم قبض قبضتين فقال للتى فى يمينه : ادخلوا الجنة ، وقال للتى فى يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالى . وله عنه قال : إن الرجل يمشى فى الأسواق وإن اسمه لفى الموتى ، وله عنه ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قال : إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت ، وله عنه أن أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب عنده ، ثم قرأ ﴿ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾ ، وله عن عكرمة قال : سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد مهندساً قال فأراد أن يسأله عن الماء ففقده . قلت وكيف يكون مهندساً والصبى ينصب له الحبالة فيصيده . قال إذا جاء القدر حال دون البصر . وله عن أبى الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت

فمر بمعبد الجهنى . فقال قائل لطاوس : هذا معبد الجهنى الذى يقول فى القدر ، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه ، فقال : أنت المفترى على الله القائل ما لا تعلم . قال معبد : يكذب علىَّ . قال أبو الزبير : فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس ، فقال له طاوس : يا أبا عباس الذين يقولون فى القدر . فقال ابن عباس : أرونى بعضهم ، قال قلنا صانع ماذا ؟ قال : إذن أجعل يدى فى رأسه ثم أدق عنقه ، وله عنه قال : ليس قوم أبغض إلىَّ من القدرية إنهم لا يعلمون قدرة الله ، إن الله تعالى يقول ﴿لا يُسئل عما يفعل وهم يُسألون﴾ . وله عن طاوس قال : كنت مع ابن عباس فى حلقة قال فذكروا أهل القدر ، قال فقال : أفى الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا . وله عنه وذكر عنده القدرية قال فقال : لو رأيت أحداً منهم لعضضت أنفه . وله عنه قال : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد . وفى لفظ : فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد . وله عن أبى يحيى مولى ابن عفراء قال : أتيت ابن عباس ومعى رجلان من الذين يذكرون القدر أو ينكرونه ، فقلت : يا ابن عباس ما تقول فى القدر لو أن هؤلاء أتوك يسألونك — وقال مرة — يسألونك عن القدر إن زنا وإن سرق أو شرب ؟ فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال : يا أبا يحيى لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به ، والله لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم ، إن زنا فبقدر ، وإن سرق فبقدر ، وإن شرب الخمر فبقدر . وروى إسحاق بن الملائى عنه فى قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قال : إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه ، وكتب رزقه ، وأجله ، ومصيباته ، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم ، وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم . وفى تفسير أسباط عن السدى عن أصحابه أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس . وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود . وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فى قوله ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ الآية قال : لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال : ادخلوا النار ولا أبالى . فذلك حين يقول أصحاب اليمين

وأصحاب الشمال ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية ، فقال هو والملائكه ﴿ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن الله ربه ، ولا مشرك إلا وهو يقول ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ فذلك قوله عز وجل ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ﴾ وذلك حين يقول تعالى ﴿ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ وذلك حين يقول ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ قال يعنى يوم الميثاق . وعن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ قال : تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم ، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب : وعنه رضى الله عنه قال : كتب فى الذكر عنده كل شىء هو كائن ، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ، ثم قرأ ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ وفى تفسير الضحاك عنه رضى الله عنه فى هذه الآية قال : هى أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان فى ذلك اليوم أو الليلة الذى يقتل والذى يغرق والذى يقع من فوق بيت والذى يتردى من جبل والذى يقع والذى يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله ، وإذا كان الشىء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما فى السماء مكتوباً فى الذكر الحكيم ، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن فى يمينه : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال لمن فى يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالى : ولعبد الله ابن الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لا يزال أمر هذه الأمة قواماً ، أو مقارباً ، ما لم يتكلموا فى القدر ، وله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال حين طعن : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ ، وله عن عبد الله بن الحارث الهاشمى قال : خطب عمر رضى الله عنه بالجابية وفى لفظ بالشام والجاثليق ماثل فتشهد فقال : « من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له » فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعنى نفضه ، وقال : إن الله لا يضل أحداً . فقال : ما يقول ؟ فقالوا ما قال . فقال كذبت عدو الله ، الله خلقك ، والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله ، والله لولا عقد لك لضربت عنقك ثم قال : إن الله خلق آدم فنثر ذريته فى يديه ثم كتب أهل

الجنة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون ، ثم قال : هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه . قال فتصدع الناس وما يتنازع فى القدر . وقال على رضى الله عنه : ما من آدمى إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له ، فإذا جاء القدر خلاه وإياه . وله عنه رضى الله عنه قال وذكر عنده القدر يوماً فأدخل إصبعيه السبابة والوسطى فى فيه فرقم بهما باطن يديه فقال : أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا فى أم الكتاب ، وله عن أسير بن جابر قال : طلبت علياً فى منزله فلم أجده ، فنظرت فإذا هو فى ناحية المسجد . قال فقلت له — كأنه خوفه — قال فقال : إيه ليس أحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر . فإذا نزل القدر لم يغن شيئاً . وله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما — وقال له رجل إنا نسافر فنلقى قوماً يقولون لا قدر — قال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم برىء وهم منه برآء ثلاث مرات . ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر : إن أناساً عندنا يقولون الخير والشر بقدر . وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر — فقال ابن عمر : إذا رجعت إليهم فقل لهم : إن ابن عمر يقول إنه منكم برىء وأنتم منه برآء . ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه قال : من زعم أن مع الله بارئاً أو قاضياً أو رازقاً أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً أو موتاً أو حياة أو نشوراً بعثه الله يوم القيامة فأخرسه وأعمى بصره وجعل عمله هباء منثوراً وقطع به الأسباب وكبه على وجهه فى النار . وله عن نافع قال قيل لابن عمر : إن قوماً يقولون لا قدر . فقال : أولئك القدريون . أولئك مجوس هذه الأمة .

وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : مضت الكتب وجفت الأقلام فشقى أو سعيد : فريق فى الجنة وفريق فى السعير . وله عن الحسن بن على رضى الله عنه قال : رفع الكتاب وجفت الأقلام وأمور تقضى فى كتاب قد خلا . وفى رواية قضى القضاء وجف القلم وأمور تكفى فى كتاب قد خلا . وله عنه رضى الله عنه قال : سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر فيلعنهم أبو هريرة عند قوله هذا . وله عن عمار مولى بنى هاشم قال : سألت أبا هريرة عن القدر فقال : اكتفى بآخر سورة الفتح . وله عن أبى الحجاج الأزدى عن سلمان رضى الله عنه قال لقيته بماء سبذان قال فقلت له : أخبرنى كيف الإيمان بالقدر ؟ قال : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا . وروى عبد الرزاق عن معمر قال : قال عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى :

وددت أنى وجدت من أخاصم إليه ربى . فقال أبو موسى : أنا . فقال عمرو بن العاص : أيقدّر علىّ شيئاً يعذبنى عليه ؟ فقال أبو موسى : نعم ، قال لم ؟ قال لأنه لا يظلمك . فقال عمرو : صدقت . وله عن ابن الديلمى سألت عبد الله بن عمرو عن « جف القلم » فقال : إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه شىء منه اهتدى . وكلام الصحابة فى هذا الباب يطول ذكره ، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة .

ذكر أقوال التابعين

قال عبيد بن عمير : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم . وقال سعيد بن جبير ﴿ يحول بين المرء وقلبه ﴾ قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان . وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بخت نصر وملك ابنه فرأى كفاً فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين . فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علماً ، فقالت له أمه : إنك لو أعدت لدانيال منزلته التى كانت له من أبيك — وكان قد جفاه — أخبرك . فدعاه فقال : إنى معيد لك منزلتك من أبى فأخبرنا ما هذان السطران ؟ قال : أما ما ذكرت أنك معيد لى منزلتى من أبيك فلا حاجة لى بذلك . وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة . فأخرج من فى القصر أجمعين وأمر بقفلة جلاد فقفلت بها الأبواب عليه ، وأدخل معه آمن أهل القرية فى نفسه ، معه سيف ، وقال له : من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال أنا فلان . وبعث الله عليه البطن فجعل يمشى والآخر مستيقظ ، حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه ، ثم نبهه البطن فذهب يمشى والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال : أنا فلان ، وضربه بالسيف فقتله . وقال ابن المسيب : ما قدر الله فهو قدر . وكان إياس بن معاوية يقول : أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم ، يقول : إن كل من لم يدخل فى خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم : كان من قدر الله كذا وكذا . وقال معمر : إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له مد الله فى عمرك ، يقول : إن العمر لا يزاد فيه ولا ينقص ، وقال أبو حازم : قال الله تعالى ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال : فالفاجرة ألهمها الله الفجور ، والتقية ألهمها الله التقوى . وقال مجاهد : قول الله ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها . وعن إبراهيم بن أبى عبلة قال : وقف رجاء بن حيوه على مكحول وأنا معه فقال : يا مكحول بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدر ، ووالله لو أعلم ذلك لكنت صاحبك من بين الناس . فقال مكحول : لا والله أصلحك

الله ، ما ذاك من شأني ولا من قولي أو نحو ذلك . وقال إبراهيم النخعي : إن آفة كل دين كان قبلكم — أو قال : — آفة كل دين القدر . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لم يوكل في القرآن إلى القدر ، وأخبرنا أنا إليه نصير . وكان طاوس بمكة يصلي ورجلان خلفه يتجادلان في القدر ، فانصرف إليهما فقال : يرحمكما الله تجادلان في حكم الله ؟ وقال ميمون : لا تسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تعلموا النجوم ، ولا تجادلوا أهل القدر . وقال طاوس أيضاً : أدركت ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : كل شيء بقدر . وقال أبو حازم : لعن الله ديناً أنا أكبر منه — يعني التكذيب بالقدر — يقول هذا عند ما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » . وعن عمرو بن محمد قال : كنت عند سالم بن عبد الله فجاءه رجل فقال : الزنا بقدر ؟ فقال: نعم . قال : كتبه علي ؟ قال : نعم ، قال : ويعذبني عليه ؟ قال فأخذ له الحصى . وقال الحسن : من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن . وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾ قال : أعمال لابد لهم من أن يعملوها . وعن أبي صالح ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ وأنا قدرتها عليك ، وقال حميد : قدم الحسن مكة ، فقال لي فقهاء مكة — الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد — لو كلمت الحسن فأخلانا يوماً . فكلمت الحسن فقلت : يا أبا سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يوماً . قال : نعم ونعمت عين ، فواعدهم يوماً فجاءوا واجتمعوا ، وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم ، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئاً إلا في مسألة . فقال له رجل : يا أبا سعيد من خلق الشيطان ؟ قال : سبحان الله ، سبحان الله ، وهل من خالق غير الله ؟ ثم قال : إن الله تعالى خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير . فقال رجل منهم : قاتلهم الله يكذبون على الشيخ . وقال أيضاً : قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره ، وكان يفسره على الإثبات . وقال خالد الحذاء : قلت للحسن أرأيت آدم أللجنة خلق أم للأرض ؟ قال : للأرض ؟ قال قلت : أرأيت لو اعتصم ؟ قال : لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة . وقال إياس بن معاوية : ما كلمت أحداً من أهل الأهواء بعقلي كله ، إلا القدر ، فإني قلت لهم : ما الظلم فيكم ؟ فقالوا : أن يأخذ الإنسان ما ليس له . فقلت لهم : فإن الله على كل شيء قدير . ولعبد الرزاق عن معمر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى

عدى بن أرطاة « أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عمان كان من الخطايا التى قدر الله عليك وقدر أن تبتلى بها » . ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه . قال : لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس . ثم قرأ ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين ، إلا من هو صالى الجحيم ﴾ وله عنه رضى الله عنه أنه قال لغيلان : ألست تقر بالعلم ؟ قال : بلى . قال : فما تريد مع أن الله يقول ﴿ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين ، إلا من هو صالى الجحيم ﴾ . وله عن أبى جعفر الخطمى قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه فى القدر ، فقال : ويحك يا غيلان ما هذا الذى بلغنى عنك ؟ قال : يكذب علىَّ يا أمير المؤمنين ويقال علىَّ ما لم أقل ، قال : ما تقول فى العلم ، قال : قد نفذ العلم . قال فأنت مخصوم . اذهب الآن فقل ما شئت . ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت ، وإن جحدته كفرت . وإنك أن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر . قال ثم قال له : تقرأ يس ؟ فقال : نعم . فقال له اقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ فقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم — إلى قوله — لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ قال : قف ، كيف ترى ؟ قال : كأنى لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين . قال : زد . قال ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ قال له عمر : قل سداً فأغشيناهم . قال ، قال له عمر قل ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ، وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قال : كيف ترى ؟ قال : كأنى لم أقرأ هذه الآيات ، وإنى أعاهد الله أن لا أتكلم فى شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً . قال : اذهب . فلما ولى قال : اللهم إن كان كاذباً فيما قال فأذقه حر السلاح . قال فلم يتكلم زمن عمر ، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه ، قال فتكلم غيلان ، فلما ولى هشام أرسل إليه فقال : أليس قد عاهدت الله تعالى لعمر أن لا تتكلم فى شيء من هذا الأمر أبداً ؟ قال : أقلنى ، فلا والله لا أعود . قال : لا أقالنى الله إن لم أقلتك ، هل تقرأ فاتحة الكتاب ؟ قال : نعم . قال : اقرأها . فقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : قف علام تستعينه ؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلا به ، أو على أمر فى يدك أو بيدك ؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه ، واضربوا عنقه واصلبوه قال ابن عون : أنا رأيت غيلان مصلوباً على باب دمشق . وعنه قال فى أصحاب القدر : فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين . وقال مالك عن عمه سهل قال : كنت

مع عمر بن عبد العزيز فقال لى : ما ترى فى هؤلاء القدرية ؟ قال قلت : أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف . فقال عمر بن عبد العزيز : ذلك رأيى . قلت : أسألك فما رأيك أنت ؟ قال : هو رأيى . القائل لمالك فما رأيك ؟ هو إسحاق بن عيسى . وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة : أصلحك الله اضرب أعناقهم . يعنى القدرية . وقال ابن سيرين . إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون فى آيات الله فلا أدرى من هم . وقال مجاهد : لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية ، ثم تزندقوا ثم تمجسوا . وقال منصور بن عبد الرحمن : سألت الحسن عن قوله تعالى ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ فقال : الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك ، ومن رحم غير مختلف فيه ، فلقنته ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال : نعم ، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره . وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه . وقال أيضاً : قلت للحسن : قوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ قال : قسمة الله ، ومن يشك فى هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله تعالى قبل أن تبرأ النسمة . وقال محمد بن كعب القرظى نزلت هذه الآية ﴿ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ فى أهل القدر . وفى رواية عنه قال : نزلت تعييراً لأهل القدر . وعنه أن الفضل الرقاشى قعد إليه فذاكره شيئاً من القدر ، فقال له محمد بن كعب القرظى تشهده فلما بلغ « من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له » رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال : قم . فلما قام فذهب قال : لا يرجع هذا عن رأيه أبداً . وقال مطر رحمه الله : لقينى عمرو بن عبيد فقال : والله إنى وإياك لعلى أمر واحد . قال وكذب والله ، إنما عنى على الأرض . وقال : والله ما أصدقه فى شىء . وعن ثابت البنانى قال : رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف ، فقلت : ما تصنع ؟ فقال : أثبت مكانه أخير منه . وعن حماد بن زيد قال : كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم ، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف وقفته فما ردوا عليه السلام ، ثم جاز فما ذكروه ، وعن الحسن بن شقيق قال قلت : لعبد الله يعنى ابن المبارك سمعت من عمرو بن عبيد ؟ قال هكذا بيده ، أى كثيراً . قلت : فلم لا تسميه وأنت تسمى غيره من القدرية ؟ قال : لأن هذا كان رأساً . وعن معاذ بن مكرم قال : رآنى ابن عون مع عمرو بن عبيد فى السوق فأعرض عنى ، قال فاعتذرت إليه

قال : أما إني قد رأيتك فما زادني . وعن أبي بحر البكراوى قال : قال رجل لعمرو — يعني ابن عبيد — وقرأ عنده هذه الآية ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾ فقال له : أخبرنى عن ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ كانت فى اللوح المحفوظ ؟ قال : ليست هكذا كانت . قالوا : وكيف كانت ؟ قال : كانت تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب ، فقال له الرجل : وهكذا ينبغى لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة ؟ فغضب عمرو . فتركه حتى سكن ثم قال له : يا أبا عثمان أخبرنى عن تبت يدا أبى لهب كانت فى اللوح المحفوظ ؟ فقال : ليس هكذا كانت . قال : فكيف كانت ؟ قال : تبت يدا من عمل بمثل عمل أبى لهب ، قال فرددت عليه ، قال عمرو : إن علم الله ليس بسلطان ، إن علم الله لا يضر ولا ينفع . قلت إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وإن كان ذلك مكذوباً عليه فلعنة الله على الكاذبين . وعن سلام بن أبى مطيع قال : كنت أمشى مع أيوب فى جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو ابن عبيد فى الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه ، قال فقال لى أيوب من غير أن أسأله : لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه . وعن أبى رجاء قال : رأيت رجلين يتكلمان فى المربد فى القدر ، فقال فضل الرقاشى لصاحبه : لا تقر له بالعلم ، إن أقررت له بالعلم فأمكنت من نفسك ، يسحبك عرض المربد . وعن حوثرة بن أشرس قال : سمعت سلاماً أبا المنذر غير مرة وهو يقول : سلوهم عن العلم ، هل علم أو لم يعلم ؟ فإن قالوا قد علم فليس فى أيديهم شيء ، وإن قالوا لم يعلم فقد حلت دماؤهم . قال حوثرة : وحدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى قال قيل لعمر بن عبد العزيز : إن غيلان يقول القدر كذا وكذا ، قال فمرَّ به فقال : أخبرنى عن العلم ، قال : سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هى عاملة وإلى ما هى صائرة . فقال عمر بن عبد العزيز : والذى نفسى بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك ، اذهب الآن فجاهد جهدك . وعن معاذ بن معاذ قال : صليت خلف رجل من بنى سعد ، ثم بلغنى أنه قدرى ، فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة . وقال إبراهيم بن طهمان : الجهمية كفار والقدرية كفار . وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس : اخزوا معبداً الجهنى فإنه قدرى . وقال الحسن بن محمد بن على : لا تجالسوا أهل القدر . وقال عكرمة بن عمار : سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره . وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار : سمعت أبى وعمى

يقولان سمعنا الحسن — وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهنى — يقول : لا تجالسوا معبداً فإنه ضال مضل . قال مرحوم قال أبى : ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم فى القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له سسويه . وقال عكرمة : سألت يحيى بن أبى كثير عن القدرية فقال : هم الذين يقولون إن الله لم يقدر الشر . وقال مسلم بن يسار : إن معبداً يقول بقول النصارى . وقال عمارة بن زاذان : بلغنى أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين ، فيقولون : والله ما كنا مشركين ، فيقال لهم : إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون . قال وبلغنى أنه يقال لهم يوم القيامة أنتم خصماء الله عز وجل . وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبى يقول : لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية . وسألت أبى مرة أخرى عن الصلاة خلف القدرى ، فقال : إن كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلى خلفه . سمعت أبى وسأله على بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً ؟ قال : إذا جحد العلم ، إذا قال : إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله فهو كافر . اهـ ، من كتاب السنة .

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره ، ومحله كتب النقل الجامعة ، وفيما ذكرنا كفاية ، ولله الحمد والمنة .

اللهم يا ربنا ومليكنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة ، ومن شقى بمعصيتك والنار ، وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك ، ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ولا يدرى عبدك فى أى القسمين ولا فى أى القبضتين هو وأنت تعلم . اللهم إياك نعبد إيماناً بكتبك وتصديقاً لرسلك وانقياداً لشرعك وقياماً بأمرك ودينك ، وإياك نستعين إيماناً بربوبيتك واستسلاماً لقضائك وقدرك وافتقاراً إليك وتوحيداً لك فى إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك . ولا مشيئة إلا أن تشاء ، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه ، ولا معصوم إلا من عصمت ، ولا حول ولا قوة إلا بك . اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسرته لليسرى ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلا ، ولا الضالين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر ، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على

دينك حتى نلقاك به ، ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(لا نوء لا عدوى ولا طير ولا   عما قضى الله تعالى حولا)
(لا غول لا هامة لا ولا صفر   كما بذا أخبر سيد البشر)

هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإن نفى هذه الخصال الست وما فى معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر ، الذى بيده النفع والضر ، واعتقاد صحة شىء منها شرك مناف للتوحيد أو لكماله ، مناقض للتوكل على الله عز وجل عياذاً بالله منه .

الكلام على النوء

فأما النوء فهو من الاعتقاد فى النجوم الذى سبق بسط القول فى بيان بطلانه ، فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيراً فى هبوب الرياح وسكونها ، وفى مجىء المطر وتأخره ، وفى رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك . فإذا وقع شىء من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا : هذا بنوء عطارد أو المشترى أو المريخ أو كذا أو كذا . وردَّ الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شىء قدير ﴾ ، وقال تعالى ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم — إلى قوله تعالى — وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ . وقال الإمام مالك بن أنس فى موطئه رحمه الله تعالى : باب الاستمطار بالنجوم . عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادى مؤمن

بي وكافر بي ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » . ورواه الشيخان من طريقه بلفظه ، وعليه ترجم البخاري رحمه الله تعالى : باب قول الله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ . وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى : حدثنا حرملة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي . قال المرادي : حدثنا عبد الله ابن وهب عن يونس ، وقال الآخران أخبرنا ابن وهب ، قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تروا إلى ما قال ربكم ؟ قال . ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب » . وحدثني محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث (ح) . وحدثني عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الله الغيث فيقولون : الكوكب كذا وكذا » . وفي حديث المرادي « بكوكب كذا وكذا » . وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة — وهو ابن عمار — حدثنا أبو زميل قال حدثنا ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا . قال فنزلت هذه الآية ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم — حتى بلغ — وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ . وقال الترمذي رحمه الله تعالى . حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال : شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا . هذا حديث حسن غريب . ورواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم ، وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث

لسعيد بن المسيب فقال : ونحن قد سمعنا من أبى هريرة . وقال رحمه الله تعالى : حدثنى يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية — فيما أحسبه أو غيره — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول : مطرنا ببعض عثانين الأسد ، فقال صلى الله عليه وسلم « كذبت بل هو رزق الله عز وجل » ، وقال رحمه الله تعالى : حدثنى أبو صالح الصرازى حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودى حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين . ثم قال ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا » . وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس : مطرنا بنوء الفتح ، ثم يتلو هذه الآية ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ . وروى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

ما ورد فى العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد إلى جسد بطبيعته ، فنفى الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ . وروى البخارى عن الزهرى قال : أخبرنى سنان بن أبى سنان الدؤلى أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى » فقام أعرابى فقال أرأيت الإبل تكون فى الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « فمن أعدى الأول » ورواه مسلم من طريق آخر بنحوه . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنى محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال : سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : كلمة طيبة » ورواه مسلم . ولهما من

ط ق عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ، هذا لفظ البخارى ، والأحاديث فى نفى العدوى كثيرة فى الصحيحين والسنن وغيرهما ، ولا يعارض ذلك حديث « لا يورد ممرض على مصح » وحديث « فر من المجذوم فرارك من الأسد » وكلاهما فى الصحيح متصلا بحديث « لا عدوى ولا طيرة » ، فإن البخارى رحمه الله تعالى قال : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى » . قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا توردوا الممرض على المصح » ، وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » .

والجمع بين نفى العدوى وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما فى معناها من ثلاثة أوجه كلها نفى العدوى فيها على إطلاقه . الوجه الأول : أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شىء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه يسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التى نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقع فى الحرج ، فأمر صلى الله عليه وسلم بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسما للمادة وسداً للذريعة لا إثباتاً للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء ، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابى الذى استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل فى الإبل الصحاح فتجرب ، فقال له صلى الله عليه وسلم « فمن أعدى الأول » يعنى أن الله تعالى ابتدأ المرض فى الباقى كما ابتدأه فى الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر . الوجه الثانى : أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن المخالطة لأنها من الأسباب التى أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضى إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر فى مسببه بقضاء الله تعالى وقدره ، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئاً ، ومن قوى إيمانه وكمل توكله وثقته بالله ، وشاهد مصير الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبية وهمته علية وقلبه ممتلىء بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب

ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها ، والدليل على ذلك ما روى أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال « كل ثقة بالله وتوكل عليه » ففى أمره صلى الله عليه وسلم بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التى خلقها الله عز وجل وفى أكله صلى الله عليه وسلم معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له . الوجه الثالث أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جداً لا سيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن الله فى سقمها قضاء من الله وقدراً لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية ، والدليل على هذا ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا مخلد بن خالد وعباس العنبرى قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال : أخبرنى من سمع فروة بن مسيك قال : قلت يا رسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة — أو قال وباؤها شديد — فقال النبى صلى الله عليه وسلم « دعها عنك فإن من القرف التلف » والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض ، والتلف بوزنه هو الهلاك يعنى أنه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لا سيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ .

فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفى العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء ، تبين لك الجمع بينها وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح ، فإنه إذا كان صلى الله عليه وسلم قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى ، فإن العلل التى قدمنا أنها من سبب النهى عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة فى إيراد الممرض على المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك الممرض وربما أدى ذلك بغضه إياه وغير ذلك . والمقصود أن نفى العدوى مطلق على عمومه ، وفيه إفراد الله سبحانه وتعالى بالتصرف فى خلقه ، وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولا مغالب له فى شىء من خلقه وأمره ، وفى ذلك تقوية لقلوب المؤمنين ، وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين ، وحجة لهم

على المشركين وسائر المعاندين ، وليس فى الأمر بمجانبة البلاء ولا فى النهى عن إيراده على المعافى منه منافاة ولا مناقضة . بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقى الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والالتجاء من الله إليه ، وليس فى فعل الأسباب ما ينافى التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب ، وليس التوكل بترك الأسباب ، بل التوكل من الأسباب ، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها ، كما أن من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقاً وخوفاً وارتياباً وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلا على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب ، فكما لا يكون المرتاب متوكلا بمجرد تركه الأسباب ، كذلك لا يكون الموحد تاركاً التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقى المضرة وحرصه على ما ينفعه ، فإنما الشأن فيما وقر فى القلوب وسكنت إليه النفوس ، والتوفيق بيد الله ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .

ومن هذا الباب نهيه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على البلاد التى بها الطاعون وعن الخروج منها فراراً منه ، فإن فى القدوم عليه تعرضاً للبلاء ، وإلقاء بالأيدى إلى التهلكة وتسبباً للأمور التى أجرى الله تعالى العادة بمضرتها ، وفى الفرار منه تسخط لقضاء الله عز وجل وارتياب فى قلوه وسوء ظن بالله عز وجل ، فأين المهرب من الله وإلى أين المفر ، لا ملجأ من الله إلا إليه ، كما روى مالك فى موطئه عن ابن شهاب عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام ، قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب : ادع إلىّ المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال عمر : ارتفعوا عنى ، ثم قال : ادع لى الأنصار ، فدعوهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال : ارتفعوا عنى ، ثم قال : ادع لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر فى الناس : إنى مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له

عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً فى بعض حاجته فقال : إن عندى من هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » قال فحمد الله عمر ثم انصرف . وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه ، وقوله صلى الله عليه وسلم « فلا تخرجوا فراراً منه » تقييد للنهى بخروج لقصد الفرار ، فلا يدخل فى ذلك من خرج لحاجته اللازمة ، كما قيد صلى الله عليه وسلم الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابراً محتسباً صحيح اليقين ثابت العزيمة قوى التوكل مستسلماً لقضاء الله عز وجل ، كما قال البخارى رحمه الله تعالى : باب أجر الصابر فى الطاعون حدثنا إسحاق أخبرنا حبان حدثنا داود بن أبى الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد ، فخرج بهذه الأوصاف من مكث فى أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة ، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه لعموم النهى وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه ، وإن خرج فراراً منه فهى معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله ، وعلى هذا يحمل حديث أنس عن البخارى أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطاعون شهادة لكل مسلم » فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيداً وذلك لضعف يقينه ، وقد يقال هو شهيد فى الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات ، كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون فى معركة الكفار ليسوا سواء ، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما فى قلوبهم ، وذلك معلوم من الدين بالضرورة . والله تبارك وتعالى أعلم .

الكلام على الطيرة والتطير والغول

وأما الطيرة فهى ترك الإنسان حاجته ، واعتقاده عدم نجاحها ، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها ... وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت ، قالوا إنها ناعية أو مخبرة بشر ، وكذا التشاؤم

بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء ، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقداً عدم نجاحها ، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار ،حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهة له . وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال فى ذلك اليوم خيراً قط ،وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه فى حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لا يجد خيراً ، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادى والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحاً ولا يعمل فيها عملا مهماً ابتداء ، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس ، وكذا التشاؤم ببعض الجهات فى بعض الساعات فلا يستقبلها فى سفر ولا أمر حتى تنقضى تلك الساعة أو الساعات . وهى من أكاذيب المنجمين الملاعين ، يزعمون أن هناك فلكاً دواراً يكون كل يوم أو ليلة فى جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة فى الوقت الذى يكون فيها هذا الفلك ألا ينال خيراً ولا يأمن شراً ، وهم فى ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله ولعنهم ، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر ، وكذا صوت الثعلب عندهم ، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها ، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذى أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان ، وهذا وما شاكله كثير منه كان فى الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان فى هذا الزمان أكثر مما كان عليه فى الجاهلية بأضعاف مضاعفة ، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم ، أرداهم الله وألحقهم به آمين .

قال الله تعالى ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ، فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطَّيروا بموسى ومن معه ، ألا إن طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ، قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ، قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ﴾ وقال تعالى فى قصة الثلاثة رسل عيسى ﴿ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ، وما علينا إلا البلاغ المبين ، قالوا إنا تطيرنا بكم ﴾

قال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ﴾ قالوا : العافية والرخاء نحن أحق بها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ قال بلاء وعقوبة ﴿ يطيروا بموسى ﴾ قال : يتشاءموا به . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ قال الأمر من قبل الله . وقال رضى الله عنه فى قوله ﴿ طائركم عند الله ﴾ قال : الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم ، وتقدم ذكر الطيرة ونفيها فى الأحاديث السابقة . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة » والشؤم فى ثلاث : فى المرأة والدار والدابة ، والشؤم ضد اليمن ، وهو عدم البركة ، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التى لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك . وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما فى معنى ذلك ، وكذا الدابة التى لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما فى معنى ذلك ، فهذا كله شيء ضرورى مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه ، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس ، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره ، وذلك من وحى الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين ، قال الله تعالى ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ حتى إن رجلا فى زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه ، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له : إنى أريد أن أنكح امرأة ، ما ترى فيها هل هى سعد لى أو نحس على ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له : دعها فإنك إن أخذتها لا تبلى معها ثوباً ، يعنى يموت سريعاً لا تطول معها صحبته ، وكانت تلك المرأة التى سأله عنها وسماها له هى زوجته وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد ، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له : هؤلاء أولادى منها . ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم . والمقصود أن الشؤم المثبت فى هذا الحديث أمر محسوس ضرورى مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التى يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا طيرة ، وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة . يسمعها أحدكم » . قال حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل الصالح الكلمة الحسنة » . قلت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال « سهل الله أمركم » الحديث وما شاكله .

ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصوداً ، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال . ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف فإنه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً . ساء ما يعملون . وما أدرى كيف حال من فتح على قوله تعالى ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل ﴾ وقوله ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وأمثال هذه الآيات . ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأنه تفاءل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ الآيات فيقال إنه أحرق المصحف غضباً لذلك فقال أبياتاً لا نسود بها الأوراق . والمقصود أن هذه بدعة قبيحة ، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام ، وقد روى الإمام أحمد فى تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضى الله عنهما « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » ، وروى فى كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وقفه من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » . وقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الطيرة شرك » ثلاثاً « وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » وقوله « وما منا إلا » إلخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذى رحمه الله فى روايته عن المرفوع حيث قال : سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث « وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » كل هذا عندى قول عبد الله بن مسعود . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبى شيبة قالا حدثنا وكيع

عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر عن أحمد القرشي قال : ذكرت الطيرة عند رسول صلى الله عليه وسلم فقال « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً . فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأما الغول فهي واحد الغيلان وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع ، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشراً وطغياناً ، وزادتهم الجن إخافة وخبلا وكفراناً . وكان أحدهم إذا نزل وادياً قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهائه فيأتى الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه فى نفسه ، فيقول : يا صاحب الوادى ، جارك أو نحو ذلك . فيسمع منادياً ينادى ذلك المعتدى أن اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك . فأبطل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك ونفى أن يضروا أحداً إلا بإذن الله عز وجل ، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السموات والأرض ، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التى لا يجاوزهن جبار ولا متكبر ، فقال الله تبارك وتعالى ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ إلى آخر السورة ، ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ إلى آخر السورة وغيرها من الآيات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هاتين السورتين « ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرحل من منزله ذلك » وهو فى الصحيح . وفى بعض الأحاديث « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان » . وفى الحديث الصحيح « إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله ضراط — وفى لفظ حصاص » . وأحاديث الاستعاذة والأذكار فى طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة فى مواضعها من كتب السنة ، وأما قول من قال إن المراد فى الحديث نفى وجود الغيلان مطلقاً فليس بشىء لأن ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم . والله أعلم .

وأما الهامة والصفر فقال أبو داود رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية قال : قلت لمحمد — يعنى ابن راشد — قوله « هام » قال : كانت الجاهلية تقول ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة . قلت فقوله « صفر » قال : سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا صفر » قال محمد : وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ فى البطن ، فكانوا يقولون هو يعدى فقال « لا صفر » ، وقال رحمه الله : حدثنا يحي بن خلف حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج عن عطاء قال : يقول الناس الصفر وجع يأخذ فى البطن . قلت فما الهامة ؟ قال يقول الناس : الهامة التى تصرخ هامة الناس ، وليست بهامة الإنسان ، إنما هى دابة . وقال رحمه الله : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم أشهب قال : سئل مالك عن قوله « لا صفر » قال : إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا صفر » . قلت وكل هذه المعانى لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث . ولله الحمد والمنة .

مرتبة الإحسان

(وثالث مرتبـــة الإحسان وتلك أعلاها لدى الرحمن)

(وهو رسوخ القلب فى العرفان حتى يكون الغيب كالعيـــان)

هذه المرتبة هى الثالثة من مراتب الدين المفصلة فى حديث جبريل المتقدم وهى أعلى مراتب الدين وأعظمها خطراً وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقربون فى علو الدرجات ، وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان ، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن ، وأما عند الإطلاق فكل منها يشمل دين الله كله ، وقد جاء الإحسان فى القرآن فى مواضع كثيرة ، تارة مقترناً بالإيمان ، وتارة بالتقوى ، وتارة بهما معاً ، وتارة بالجهاد ، وتارة بالإسلام ، وتارة بالعمل الصالح مطلقاً . قال الله تبارك وتعالى ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا

الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ وقال تعالى ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ . وتارة بالانفاق فى سبيل الله وهو من الجهاد كقوله تعالى ﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ . وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً لا يستطيعه من المخلوقين أحد غيره صلى الله عليه وسلم لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم فقال صلى الله عليه وسلم : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أخبر صلى الله عليه وسلم أن مرتبة الإحسان على درجتين ، وأن للمحسنين فى الإحسان مقامين متفاوتين :

المقام الأول — وهو أعلاهما — أن تعبد الله كأنك تراه ، وهذا مقام المشاهدة ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عز وجل بقلبه ، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة فى العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، فمن عَبدَ الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، وفى حديث حارثة المرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « يا حارثة كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة . قال : يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر أهل الجنة فى الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار فى النار كيف يتعاوون فيها . قال : أبصرت فالزم » عبدٌ نوَّر الله تعالى بصيرته .

المقام الثانى مقام الإخلاص ، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه ، فإذا استحضر العبد هذا فى عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى ، لأن استحضاره ذلك فى عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول . ولهذا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم تعليلا للأول فقال « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وفى بعض ألفاظ الحديث « فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك » فإذا تحقق فى عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى عليه شيء من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه

يراه .. وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى فى غير ما موضع من القرآن ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين . ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾ وغير ذلك من الآيات ، فأولياء الله المتقون المحسنون ، هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأفردوه بالعبادة محبة وتذللا وانقياداً وخوفاً ورجاء ورغبة ورهبة وخشية وخشوعاً ومهابة وتعظيما وتوكلا عليه وافتقاراً إليه واستغناء به عما سواه ، واتقوه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سراً وعلناً وظاهراً وباطناً قولا وعملا واعتقاداً ، واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علما وقدرة ولطفاً وخبرة بأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا ، فكان عملهم خالصاً لله موافقاً لشرعه مناطاً بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه ، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه ، لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم فطرحوا النفوس بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه والتجأوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره ، فيه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى وبذكره يذكرون .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .
وقال رحمه الله تعالى : حدثنى محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا

سليمان بن بلال حدثنى شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن عاذ بى لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » ذكروا الله تعالى فذكرهم ، وشكروه فشكرهم ، وتولوه ووالوا فيه فتولاهم ، وعادوا أعداءه لأجله فآذن بالحرب من عاداهم ، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم وأجزله ، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة — هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ولما ذكر أهل الجنة وما وعدهم به من النعم وصفهم أن ذلك جزاء إحسانهم فقال ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ ، ثم فسر إحسانهم ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ ، وقدمنا فى الفصل الأول أن الحسنى التى وعد الله عز وجل المحسنين هى الجنة ، والزيادة هى النظر إلى وجه الله عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم . فلما كانوا يعبدون الله عز وجل فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم وينظرون إليه فى حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النظر إلى وجهه تبارك وتعالى فى الآخرة عياناً بأبصارهم ، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال تعالى فيهم ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ لما كان حالهم فى الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته فى الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته فى الآخرة ، وذلك قول الله عز وجل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ . ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ .

هذا آخر ما يسر الله تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل ، وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى فى شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين فى هذا الحديث ، قال : فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دل عليه هذا الحديث العظيم علم أن جميع

العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته ، وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التى يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دل عليه مجملا ومفصلا ، فإن الفقهاء إنما يتكلمون فى العبادات التى هى من جملة خصال الإسلام ، ويضيفون إلى ذلك الكلام فى أحكام الأموال والأبضاع والدماء ، وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه ويبقى كثير من علم الإسلام — من الآداب والأخلاق وغير ذلك — لا يتكلم عليه إلا القليل منهم ، ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله . والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التى تدخل فى الإيمان أيضاً كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك ، فانحصرت العلوم الشرعية التى يتكلم عليها فرق المسلمين فى هذا الحديث ورجعت كلها إليه ، ففى هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فصل
فى ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

(فصل) فى مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين : الأولى كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والثانية تفاضل أهله فيه . والثالثة أن فاسق أهل الملة الإسلامية لا يكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله . والرابعة أنه لا يخلد فى النار . والخامسة أنه فى العقاب وعدمه تحت المشيئة . والسادسة أن التوبة فى حق كل فرد مقبولة ما لم يغرغر سواء من كفر أو دونه من أى ذنب كان .

١ - الإيمان يزيد وينقص

(إيماننـــا يزيد بالطاعات ونقصـه يكون بالزلات)

هذه هى المسألة الأولى من مسائل الفصل ، وهى أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخارى رحمه الله تعالى فى كتابه فقال فى جامعه : كتاب الإيمان ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس » ، وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ ﴿ وزدناهم هدى ﴾ ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ وقوله تعالى ﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسليما ﴾ وقال الترمذى رحمه الله تعالى : باب فى استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » وحديث « يا معشر النساء تصدقن » إلخ وهو فى الصحيحين ، والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب وذوى الرأى منكن » ، وذكر حديث أبى هريرة وهو فى الصحيحين أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله » . هذا لفظ الترمذى وقال : حسن صحيح ولفظه « بضع وستون » ولمسلم رواية « بضع وسبعون » لكن قالا « شعبة » بدل « بابا » . وقال النسائى : باب زيادة الإيمان — وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقاً على تفاضل أهل الإيمان فيه ، وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهوماً

لا منطوقاً . ومثله حديث أبي سعيد الخدرى « رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى » الحديث ، وفيه « وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين » ، ثم ذكر حديث عمر فى نزول قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ودلالتها على ذلك منطوقاً ، وعلى ذلك ترجم البخارى رحمه الله تعالى وقال : حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون حدثنا أبو العميس قال أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أى آية ؟ قال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة . وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة ، وساقوا فى ذلك أحاديث تتضمنه منطوقاً ومفهوماً .

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن يحيى التيمى وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن إياس الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة الأسيدى قال وكان من كتاب رسول صلى الله عليه وسلم قال : لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد الصغار ، فنسينا كثيراً . قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة » ثلاث مرات . حدثنى إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبى يحدث حدثنا سعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار . قال ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة ،

قال فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له قال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر . فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت . يا رسول الله نافق حنظلة . فقال : مه ! فحدثته بالحديث فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال : يا حنظلة ساعة وساعة . ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق . ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار الحديث . وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم ، وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصى من باب أولى كما سيأتى إن شاء الله تبارك وتعالى بيانه قريباً .

٢ - تفاضل أهل الإيمان

(وأهلــه فيــه على تفاضل   هل أنت كالأملاك أو كالرسل)

هذه هى المسألة الثانية ، وهى تفاضل أهل الإيمان فيه ، كما ذكر الله تبارك وتعالى أقسامهم التى قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ الآيات . فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين ، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه . وإلى سابق بالخيرات ، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس ، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذى يسمعون به وبصرهم الذى يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق ، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأما الظالم لنفسه فى المراد به عن السلف الصالح قولان : أحدهما أن المراد به الكافر ، فيكون كقول الله عز وجل فى تقسيمهم فى سورة الواقعة عند البعث ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ، والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ إلى آخر الآيات . وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال عز وجل ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ فإن تفاضل أهل الإيمان فى تقسم

هذه السورة إنما هو على درجتين : سابقين مقربين ، وأبرارهم أصحاب اليمين . وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق . وإنما الخلاف في الظالم نفسه فى آية فاطر . والقول الثانى أن المراد به عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم ، ولكن ظلم دون ظلم ، لا يخرج من الدين ولا يخلد فى النار ، فعلى هذا يكون قسم ثالث فى تفاضل أهل الإيمان . ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى ، فإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم ، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسل متفاضلون فقال ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ وقد تقدم تقرير ذلك فى موضعه ، وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم فى الإيمان فى دار التكليف كذلك جعل الجنة التى هى دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها ، فقال فى سورة الرحمن ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان تجريان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان . متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلى آخر السورة . وكذا فى سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التى يدخلها السابقون أعظم وأعلى من صفات الجنة التى يدخلها أصحاب اليمين ، وكذلك فى سورة المطففين . قال تبارك وتعالى ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون ﴾ وغير ذلك من الآيات . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » . وأهل الجنة متفاوتون فى الدرجات حتى إنهم يتراءون ، أهل عليين يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب فى الأفق الشرقى أو الغربى ، ومتفاوتون فى الأزواج ومتفاوتون فى الفواكه من المطعوم والمشروب ، ومتفاوتون فى الفرش والملبوسات ، ومتفاوتون فى الملك ، ومتفاوتون فى الحسن والجمال والنور ، ومتفاوتون فى قربهم من الله عز وجل ، ومتفاوتون فى تكثير زيارتهم إياه ، ومتفاوتون فى

مقاعدهم يوم المزيد ، ومتفاوتون تفاوتاً لا يعلمه إلا الله عز وجل . وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أن عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم ، متفاوتون تفاوتاً بعيداً : متفاوتون فى مقدار ما تأخذ منهم ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود . وكذلك يتفاوتون فى مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها ، لأنهم متفاوتون فى الإيمان والتوحيد الذى بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبداً . فيقال للشفعاء أخرجوا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم من كان فى قلبه نصف دينار من إيمان ، ثم من كان فى قلبه وزن برة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه ذرة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان . فأين هذا ممن الإيمان فى قلبه مثل الجبل العظيم ، وأين من نوره على الصراط كالشمس ، ممن نوره على إبهام قدمه يَنْتَوْنص تارة ويطفأ أخرى ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون ﴾ . وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علىّ وعليهم قمص ، فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك . وعرض علىّ عمر وعليه قميص يجره : قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين » . وقال ابن أبى مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه . ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل . ذكره البخارى تعليقاً مجزوماً به . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ملىء عمار إيماناً إلى مشاشه » . وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح . وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ قال حين فرغ : إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل ، وأن المؤمن إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهل الجنة ، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنة فهو شاك فى كتاب الله مكذب ، أو جاهل لا يعلم . فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقاً مستكمل الإيمان ، ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل ، ولا يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمناً حقاً حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك عبد

حتى يؤثر شهوته على دينه . يا سفيه ما أجهلك ، لا ترضى أن تقول أنا مؤمن حتى تقول أنا مؤمن حقاً مستكمل الإيمان ، والله لا تكون مؤمناً حقاً مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض الله عليك وتجتنب ما حرم الله عليك وترضى بما قسم الله لك ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله منك . ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل ، وقرأ ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ فقد سمى الله تعالى دين القيمة بالقول والعمل ، فالقول الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم ، والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم ، وقرأ ﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ وقال ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا ﴾ فالدين التصديق بالعمل كما وصفه الله تعالى ، وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته . والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ فالتوبة من الشرك جعلها الله تعالى قولا وعملا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . وقال أصحاب الرأى : ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان ، افتراء على الله وخلافاً لكتابه وسنة نبيه ، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة . وقال فضيل : يقول أهل البدع : الإيمان الإقرار بلا عمل ، والإيمان واحد ، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان . قال : فمن قال ذلك فقد خالف الأثر ، ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » . وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقول إن فرائض الله ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا إن فرائض الله ليست من الإيمان ، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية ، أخاف أن يكون جاحداً للفرائض راداً على الله أمره ، ويقول أهل السنة : إن الله تعالى قرن العمل بالإيمان وإن فرائض الله من الإيمان . قال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فهذا موصول العمل بالإيمان . ويقول أهل الإرجاء : لا ولكنه مقطوع غير موصول ، وقال أهل السنة : قال الله تعالى ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ فهذا موصول ، وأهل

الإرجاء يقولون بل هو مقطوع ، وقال أهل السنة : قال الله تعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ فهذا موصول ، وكل شيء فى القرآن من أشباه هذا فأهل السنة يقولون : هو موصول مجتمع ، وأهل الإرجاء يقولون : بل هو مقطوع متفرق . ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصى والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل ، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقال فضيل : أصل الإيمان عندنا وفرعه — بعد الشهادة لله بالتوحيد والشهادة للنبى صلى الله عليه وسلم بالبلاغ ، وبعد أداء الفرائض — صدق الحديث ، وحفظ الأمانة وترك الخيانة ، والوفاء بالعهد ، وصلة الرحم ، والنصيحة لجميع المسلمين ، والرحمة للناس عامة . قيل له — يعنى فضيلا — هذا من رأيك تقوله أو سمعته ؟ قال : بل سمعناه وتعلمناه . ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به .

وقال فضيل : يقول أهل الإرجاء : الإيمان قول بلا عمل ، ويقول الجهمية : الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل ، ويقول أهل السنة : الإيمان المعرفة والقول والعمل . فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة . ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر ، لأنه لا يدرى أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه . وقال يعنى فضيلا : قد بينت لك إلا أن تكون أعمى . وقال فضيل : لو قال لى رجل : مؤمن أنت ؟ ما كلمته ما عشت . وقال : إذا قلت آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن . وإذا قلت أنا مؤمن لا يجزيك من أن تقول آمنت بالله لأن آمنت بالله أمر قال الله تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الآية ، وقولك أنا مؤمن تكلف لا يضرك أن لا تقوله ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية ، وقال فضيل سمعت الثورى يقول : من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن ، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار فى المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك . ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، لا ندرى ما لهم عند الله عز وجل . وقال فضيل : سمعت المغيرة الضبى يقول من شك فى دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله . قال فضيل : الاستثناء ليس بشك .

وقال فضيل : المرجئة كلما سمعوا حديثاً فيه تخويف قالوا : هذا تهديد . وإن المؤمن يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده ، وإن المنافق لا يخاف تهديد الله ولا تحذيره ولا تخويفه ولا وعيده ولا يرجو وعده . وقال فضيل : الأعمال تحبط الأعمال ، والأعمال تحول دون الأعمال . قال عبد الله قال أبى : أخبرت عن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾ قال : الفقه

والعلم اهـ من كتاب السنة . وفيه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال « القلوب أربعة : قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلف ، فذلك قلب الكافر . وقلب مصفح ، فذلك قلب المنافق . وقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب ، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم ، فأيهما غلب عليه غلبه » اهـ . وهذا الموقوف قد روى مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد حسن . فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه . وقلب منكوس . وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره . وأما القلب الأغلف فقلب الكافر . وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر . وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق . ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح ، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » .

والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين فى هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . والمقصود بيان بأن الناس متفاوتون فى الدين بتفاوت الإيمان فى قلوبهم ، متفاضلون فيه بحسب ذلك ، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل . وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد . وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذى خلقهم ورزقهم . وكما يتفاوتون فى مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون فى أعمال الإيمان الظاهرة ، بل والله يتفاضلون فى عمل واحد يعمله كلهم فى آن واحد وفى مكان واحد ، فإن الجماعة فى الصلاة صافون كلهم فى رأى العين ، مستوون فى القيام والركوع والسجود ، والخفض والرفع ، والتكبير والتحميد ، والتسبيح والتهليل والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات ، فى مسجد واحد ووقت واحد وخلف إمام واحد ، وبينهم من التفاوت والتفاضل ما لا يحصى : فهذا قرة عينه فى الصلاة يود إطالتها ما دام عمره ، وآخر يرى نفسه فى أضيق سجن يود انقضاءها فى أسرع من طرفة عين ، أو يود الخروج منها ، بل يتندم على الدخول فيها ، وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهده ، وآخر قلبه فى الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى إن يدرى ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى . وهذا ترفع

صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السموات إلى عرش الرحمن عز وجل . وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها ، وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة ، وهذا يخرج منها وما كتب له إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها ، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب له منها شيء ، وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . هذا والناظر إليهم يراهم مستوين فى فعلها ، ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا الله الرقيب على كل نفس بما كسبت الذى أحاط بكل شيء علماً لا تخفى عليه خافية . وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدواً واحداً على دين واحد متساوين ظاهراً فى القوى والعدد ، فهذا يقاتل حمية وعصبية ، وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه ، وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره ، وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وذا هو المجاهد فى سبيل الله لا لغيره ، وهذا هو الذى يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح . وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجميع أعمال الإيمان ، الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر فى قلوبهم من العلم واليقين . وعلى ذلك يموتون ، وعليه يبعثون ، وعلى قدره يقفون فى عرق الموقف ، وعلى ذلك الوزن والصحف . وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط . وبحسب ذلك يمرون عليه . ومن يبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . وبذلك يتسابقون فى دخول الجنة . وعلى حسبه رفع درجاتهم . وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى فى يوم المزيد . وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم ، والله يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

٣ — فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان

(والفاسق الملى ذو العصيان لم ينف عنه مطلق الإيمان)
(لكن بقدر الفسق والمعاصى إيمانه ما زال فى انتقاص)

هذه هى المسألة الثالثة . وهى أن فاسق أهل القبلة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه . ولا يوصف بالإيمان التام . ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان . أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته . فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم . والمراد بالفسق هنا هو الأصغر . وهو عمل الذنوب الكبائر التى سماها الله ورسوله فسقاً وكفراً وظلماً

مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها . فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ومع هذا لم تخرج ذلك الرجل الذى نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقاً ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه . وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » الحديث وغيره . وقد استب كثير من الصحابة على عهده ومن حضوره . فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه فى الدين . وقال الله سبحانه ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ . فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالإصلاح بينهما ولو بقتال الباغية . ثم قال ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ ثم لم ينف عنهم الأخوة أخوة الإيمان لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقاً فقال عز وجل ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ . وكذلك فى آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوة الإيمان فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى . الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ . وكذلك الذين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال فى صفة الخوارج « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » ، ومعلوم أن أصحاب على بن أبى طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما قد اقتتلا قتالا عظيما ، فسمى الجميع مسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم فى سبطه الحسن بن على « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين » فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضى الله عنهما فى عام الجماعة ، ولله الحمد والمنة .

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً أو عامله فاسقاً ، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه ، لأنه ليس كل فسق يكون كفراً ، ولا كل ما سمى كفراً وظلماً يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته ، وذلك لأن كلا من

الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت فى النصوص على قسمين : أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية ، وأصغر ينقص الإيمان وينافى كماله ولا يخرج صاحبه منه ، فكفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسوق دون فسوق ، ونفاق دون نفاق . قال الله تعالى فى بيان الكفر ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وقال ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيداً . إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ . وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان الكفر الأصغر « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، وقال الله تعالى فى الظلم الأكبر ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وقال فى الظلم الأصغر ﴿ واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ وقال فى الفسوق الأكبر ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ ، وقال تعالى فى النفاق الأكبر ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ ، وقال ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى النفاق الأصغر « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » . فهذه الخصال كلها نفاق عملى لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادى المتقدم ، وما تمسك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف ، فضربوا نصوص الوحى بعضها ببعض ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فقالت الخوارج : المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول صلى الله عليه وسلم بالبلاغ ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد وهو مخلد فى النار أبداً مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون . وقالت المعتزلة : العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسميهم فاسقين . فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين . ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة

فى الآخرة بين المنزلتين . بل قضوا بتخليده فى النار أبداً كالذين قبلهم ، فوافقوا الخوارج مآلا وخالفوهم مقالا ، وكان الكل مخطئين ضلالا . وقابل ذلك المرجئة فقالوا لا تضر المعاصى مع الإيمان لا بنقص ولا منافاة ، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية . ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبى بكر وعمر ، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة ، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين ، إذ الكل مستوفى النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم فى بحث الإيمـــان . نسأل الله تعالى العافية .

٤ ـ العاصى لا يخلد فى النار وأمره إلى الله

(ولا نقـــول إنه فى النـــار مخلد بل أمره للبـــــارى)
(تحت مشيئة الإلـــه النافذه إن شا عفا عنه وإن شا آخذه)
(بقـــدر ذنبه إلى الجنان يخرج إن مات على الإيمان)

(ولا نقول إنه) أى الفاسق بالمعاصى التى لا توجب كفراً **(فى النار مخلد)** هذه هى المسألة الرابعة من مسائل الفصل **(بل نقول أمره)** مردود حكمه **(للبارى)** فى الجزاء والعفو **(تحت مشيئة الإله النافذه)** فى خلقه **(إن شاء)** الله عز وجل **(عفا عنه)** وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله **(وإن شاء آخذه)** أى جازاه وعاقبه **(بقدر ذنبه)** الذى مات مصراً عليه ، كما فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك . **(إلى الجنان يخرج)** من النار **(إن)** كان **(مات على الإيمان)** كما تقدم فى أحاديث الشفاعة وإنه لا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة الشافعين .

(والعرض تيسير الحساب فى النبا ومن يناقش الحساب عذبا)

فى هذا البيت إشارة إلى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل

﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ الآيات كما فى صحيح البخارى وغيره من طرق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قالت : قلت يا رسول الله جعلنى الله فداءك أليس يقول الله عز وجل ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال : ذلك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك » وفى رواية « عذب » . وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم فى الآخرة بحسب تفاوتهم فى الدار الدنيا فى طاعة ربهم وضدها من سابق ومقصد وظالم لنفسه .

إذا عرفت هذا فاعلم أن الذى أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات : الأولى قوم رجحت حسناتهم بسيآتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبداً . الطبقة الثانية قوم تساوت حسناتهم وسيآتهم وتكافأت فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ، ثم يؤذن لهم فى دخول الجنة ، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿ ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم ، فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ . الطبقة الثالثة قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ، ومعهم أصل التوحيد ، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم ، فنهم من تأخذه إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ،

ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم فوق ذلك ، حتى إن منهم من لم يحرم منه على النار إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه ، فيحد لهم حداً فيخرجونهم ، ثم يحد لهم حداً فيخرجونهم ، ثم هكذا ، فيخرجون من كان فى قلبه وزن دينار من خير ، ثم من كان فى قلبه نصف دينار من خير ، ثم برة ، ثم خردلة ، ثم ذرة ، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء : ربنا لم نذر فيها خيراً . ويخرج الله تعالى من النار أقواماً لا يعلم عدتهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين ، ولم يخلد فى النار أحد من الموحدين ولو عمل أى عمل ، ولكن كل من كان منهم أعظم إيماناً وأخف ذنباً كان أخف عذاباً فى النار وأقل مكثا فيها وأسرع خروجاً منها ، وكل من كان أضعف إيماناً وأعظم ذنباً كان بضد ذلك والعياذ بالله . والأحاديث فى هذا الباب لا تحصى كثرة ، وقد قدمنا منها ما فيه كفاية . وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه » . وهذا مقام ضلت فيه الأفهام ، وزلت فيه الأقدام ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى فى كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال : قد روينا أخباراً عن النبي صلى الله عليه وسلم يحسب كثير من أهل الجهل والعناد أنها خلاف هذه الأخبار التى ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها فى الشفاعة وفى إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم ، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته . وأهل الجهل الذين ذكرتهم فى هذا الفصل صنفان : صنف منهم من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة . الصنف الثانى الغالية من المرجئة التى تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبار التى رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه اللفظة على خلاف تأويلها .

فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة وفى

إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار . ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » ، وحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار : « لا إله إلا الله » . وحديث عتبان بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله إلا حرم الله على النار — وفى رواية : فإن الله قد حرم على النار — أن تأكل من قال لا إله إلا الله » ، وحديث عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة » ، وحديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة » ، وحديث عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة » ، وفى رواية « حرمه الله على النار » ، وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فقال « اذهب فناد فى الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقناً — أو مخلصاً — دخل الجنة » ، وحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قال رجل : يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا داجة إلا أتيت عليها ، قال : أو تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فإن هذا يأتى على ذلك كله » . وحديث عمر رضى الله عنه « إن رسول الله أمره أن يؤذن الناس أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً فله الجنة . قال عمر : يا رسول الله إذاً يتكلوا . قال : فدعهم » ، وحديث عبد الله بن سلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وجبت له الجنة » ، وحديث أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال لى جبريل : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ولم يدخل النار . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق » ، وحديث أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قلت : فإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ قال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قلت : يا رسول الله وإن زنى وسرق يا رسول الله ؟ قال ﴿ ولمن خاف

مقام ربه جنتان ﴾ قلت : يا رسول الله وإن زنى وسرق ؟ قال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وإن زنى وسرق ، ورغم أنف أبى الدرداء » فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه . وحديث ابن مسعود رضى الله عنه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة وأنا أقول أخرى ، قال : من مات وهو يجعل لله نداً دخل النار . قال وأقول : من مات وهو لا يجعل لله نداً دخل الجنة » . قال أبو بكر : قد كنت أمليت أكثر هذا الباب من كتاب الإيمان وبينت فى ذلك الموضع معنى هذه الأخبار وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة ، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أن محمداً رسول الله ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم ولا آمن بشىء من كتاب الله عز وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار . ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار ، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله عز وجل وخلاف سنن النبى صلى الله عليه وسلم لجاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا تؤولت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمداً نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه ، ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير متقصاة وبأخبار مجملة غير مفصلة لا يفهمون أصول العلم فيستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها ، قد ثبتت الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظة لو حملت على ظاهرها كما حملت المرجئة الأخبار التى ذكرناها فى شهادة أن لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقاً للجنة وإن لم يقر بذلك بلسانه ولا أقر بشىء مما أمر الله تعالى بالإقرار به ، ولا آمن بقلبه بشىء مما أمر الله بالإيمان به ، ولا عمل بجوارحه شيئاً أمر الله به ، ولا انزجر عن شىء حرمه الله من سفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم ، فاسمع الخبر الذى ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره كما حملت المرجئة الأخبار التى ذكرناها على ظاهرها . ثم ذكر حديث عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » ، وحديث عمران بن حصين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من علم أن الله ربه وأنى نبيه صادقاً من قلبه — وأومأ بيده إلى فلذة صدره — حرم الله لحمه على النار » ، وحديث معاذ رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من مات وهو يوقن

بقلبه أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من فى القبور . قال ابن سيرين : إما دخل الجنة ، وإما قال نجا من النار » ، كيف جاز للجهمى الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من فى القبور ، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى من معنى هذه الأخبار ، لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم « من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة » فيدعى أن جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به ولا صدق بقلبه بشىء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع فى شىء أمر الله به ولا انزجر عن شىء حرمه الله ، إذ النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة كما أخبر أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ، ثم ذكر حديث عثمان بسنده ، قال أبو بكر : فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر فى الإيمان واستحقاق المرء به الجنة وترك الاستدلال بالأخبار المفسرة المتقضاة لم يؤمن أن يحتج جاهل معاند فيقول : بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به ، ولا يعمل بشىء من الطاعات التى فرض الله على عباده ، ولا انزجر عن شىء من المعاصى التى حرمها الله ، ويحتج بخبر عمار بن روبية فذكره بإسناده إلى عمار بن روبية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حرمه الله على النار » فقال رجل من أهل البصرة : وأنا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو بكر : قد أمليت طرق هذا الخبر فى كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النبى صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله » وكل عالم يعلم دين الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لا توجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصى ، إنها إنما رويت فى فضائل هذه الأعمال ، وإنما رويت أخبار النبى صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » فضيلة لهذا القول ، لا أن هذا القول كل الإيمان ، قلت : للا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد . قال رحمه الله تعالى : ولئن جاز لجاهل أن يقول إن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدعى جاهل معاند أيضاً أن جميع الإيمان القتال فى سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول

النبي صلى الله عليه وسلم « من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة » كاحتجاج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » ، ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله المشى فى سبيل الله حتى تغبرّ قدما الماشى ، ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » وبقوله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم » . ويدعى جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار » ، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى » ، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم فى سبيل الله ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » ، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبداً » ثم ذكره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه . ثم قال رحمه الله تعالى : وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب ، وفى قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أخبر بفضائل هذه الأعمال التى ذكرنا وما هو مثلها لا أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان ، وكذلك إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » أو « حرم على النار » فضيلة لهذا القول لا أن جميع الإيمان كما ادعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبداً » هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ما حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب ابن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يجتمعان فى النار اجتماعاً » يعنى أحدهما مسلم قتل كافراً ثم سدد المسلم وقارب ، قال أبو بكر : لذاك نقول فى فضائل الأعمال التى ذكرنا : من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصى ، لذلك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول فى موضع واحد من

النار ، لا إنه لا يدخل النار ولا موضعاً منها وإن ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفر له ما دون الشرك ، فقد أخبر الله عز وجل أن للنار سبعة أبواب فقال لإبليس ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين — إلى قوله تعالى — لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ فأعلمنا ربنا عز وجل أنه قسم تابعى إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار ، فجعل لكل باب منهم جزءاً معلوماً ، واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم ، فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس ، والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منها لذاك علمنا فى محكم تنزيله قوله ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وأعلمنا خالقنا عز وجل أن آدم الذى خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى ، وأنه عز وجل برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى ، ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه . فمن لم يغفر الله له حوبته التى ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل فى الأجزاء جزءاً وقسماً لأبواب النار السبعة . وفى ذكره آدم صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ما يبين ويوضح أن اسم الغاوى قد يقع على مرتكب خطيئة قد زجر الله عن إتيانها وإن لم تكن تلك الخطيئة كفراً ولا شركاً ولا ما يقاربهما ويشبههما ، ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه المطيع لخالقه فى أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهى عن أكثر المعاصى وإن ارتكب بعض المعاصى والحوبات فى قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة له أو صاحبة أو ولداً — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — ولم يؤمن بشىء مما أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله فى شىء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان فى درجة واحدة من النار ، والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوباً لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذاباً فى النار ، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقرباً إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة فى الجنان وأعظم ثواباً وأجزل نعمة ، فكيف يجوز أن يتوهم عاقل مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون فى النار فى الدرجة مع من كان يفترى على الله عز وجل فيدعو له شريكاً وشركا فيدعو له صاحبة وولداً ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب جميع المعاصى

فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان ، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بداً من تكذيب الأخبار الثابتة من التي ذكرتها عن النبي صلى الله عليه وسلم فى إخراج أهل التوحيد من النار ، إذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها ، وأكثر استحالة من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها . وفى إبطال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم اضمحلال الدين وإبطال الإسلام ، والله عز وجل لم يجمع بين جميع الكفار فى موضع واحد من النار ولا سوّى بين عذاب جميعهم ، قال الله عز وجل ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ وقال ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ . ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر ، شرع رحمه الله فى بيان ما تشبث به الخوارج واحتجوا به على باطلهم ، وما كفر به المرجئة وردوه بباطل آخر . فقال رحمه الله تعالى : باب ذكر أخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة من جهة النقل ، جهل معناها فرقتان : فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد فى النار محرم عليه الجنان . والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلا منها بمعانيها . وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله .

ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبى وقاص وأبى بكرة وسعد بن أبى مالك رضى الله عنهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » ، وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من انتسب لغير أبيه فلن يرح بريح الجنة ، وريحها يوجد من مسيرة سبعين عاماً » ، وحديث حذيفة قال : قال رسول الله « لا يدخل الجنة قتات » وفى رواية « نمام » ، وحديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن كان قضيباً من أراك » ، وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام ولا عاق ولا مدمن خمر » ، وحديث جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قاطع » ، وحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء » ، وحديث عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ينظر الله إليهم

يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن خمر ، والمنان بما أعطى » وحديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل نفساً معاهدة بغير حقها حرم الله عليه الجنة ان يشم ريحها » .

ثم قال رحمه الله تعالى : معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين : أحدهما لا يدخل الجنة أى بعض الجنان ، إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلم أنها جنان من جنة ، واسم الجنة واقع على كل جنة منها ، فمعنى هذه الأخبار التى ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصى حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التى هى أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيماً وسروراً وبهجة وأوسع ، لأنه أراد لا يدخل شيئاً من تلك الجنان التى هى فى الجنة ، وعبد الله بن عمرو قد بين خبره الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » إنه إنما أراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على أحد المعنيين . ثم ساق بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه قال « لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاق ولا منان » . قال : والمعنى الثانى ما قد أعلمت أصحابى ما لا أحصى من مرة أن كل وعيد فى الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة ، أى إلا أن يشاء الله تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة ، إذ الله عز وجل قد خبر فى محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب فى قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ قد أمليت هذه المسألة فى كتاب معانى القرآن الكتاب الأول ، واستدللت أيضاً بخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى . وساق بإسناده إلى قيس بن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلاماً ، فغضب عليه وقال : والله ما وهبت لك شيئاً . فلما أصبح رده عليه وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف على يمين صبراً ليقتطع مال امرئ مسلم لقى الله يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » ، قلت وتقدم حديث عبادة بن الصامت فى قصة البيعة ، وهو دليل على هذا المعنى ، قال أبو بكر : فاسمعوا الخبر المصرح بصحة ما ذكرت أنها جنان فى جنة ، واسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التى ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لبعض المعاصى لم يدخل الجنة إنما أراد بعض التى هى أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيماً وأوسع ، إذ محال أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من

فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئاً من الجنان ، ويخبر أنه يدخل الجنة فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعاً الآخر ، لأن هذا الجنس مما لا يدخله الناسخ ، ولكنه من ألفاظ العام الذى يراد به الخاص . ثم ساق بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه « أن الربيع أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنبئنى عن حارثة أصيب يوم بدر فإن كان فى الجنة صبرت واحتسبت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت فى البكاء . فقال : يا أم حارثه إنها جنان فى جنة وإنه أصاب الفردوس الأعلى » قال أبو بكر : قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر فى كتاب الجهاد ، وقد أمليت فى كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد ما بين الدرجتين . منها أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما ترون الكوكب الدرى فى أفق من آفاق السماء لتفاضل ما بينهما ، وقول بعض أصحابه : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال « بلى رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ، وأمليت أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام . فمعنى هذه الأخبار التى فيها ذكر بعض الذنوب الذى يرتكبه بعض المؤمنين أن مرتكبه لا يدخل الجنة ، معناها لا يدخل العالى من الجنان التى هى دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا . ثم قال : وقد يجوز أن يقول صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التى يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة ، لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب ، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب ، فمعنى هذه الأخبار على هذه المعانى لأنها إذا لم تحمل على هذه المعانى كانت على وجه التهاتر والتكاذب ، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا به الذى هو أهناه وأهداه وأتقاه ، ثم ساقه بإسناده عن على رضى الله عنه فذكره . انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكرره فلا تستطله فإنه كلام متين من إمام متضلع من معانى الكتاب والسنة ذى خبرة وعلم لمواردها ومصادرها . وقوله رحمه الله تعالى : وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعن رحمه الله التأويل الذى اصطلحه المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدة التى هضموا

بها معانى النصوص بما اقتضته عقولهم السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأنه رحمه الله وإنما عنى ما أشار إليه فى غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر ، والمختصر على المتقصى ، والمطلق على المقيد ، والعموم على الخصوص ، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض ، لأن ذلك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم . وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه فى أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضى عنهم .

مسألة . فإن قيل وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب حداً لم يقم عليه قال فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ، وبين ما صرحت به النصوص التى فى الميزان والحساب والجنة من أن من رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولابد . قلنا لا إشكال فى ذلك ولا منافاة ولله الحمد . وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة رضى الله عنها الذى ذكرنا فى شرح البيت الأدنى بأن من يشأ عز وجل أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذى فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالعرض ، وقال فى معنى العرض فى الأحاديث السابقة فى صفته : « يدنو أحدكم من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه ، فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول نعم ، ويقول أعملت كذا وكذا ؟ فيقول نعم ، فيقرره ثم يقول : إنى سترت عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » . وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » . نسأل الله عز وجل أن ييسر حسابنا ويتجاوز عنا ويغفر لنا بمنه وكرمه آمين .

(ولا نكفـــر بالمعاصى مؤمناً إلا مع استحلالة لما جنى)

(ولا نكفر بالمعاصى) التى قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفراً ، والمراد بها الكبائر التى ليست بشرك ، ولا تستلزمه ولا تنافى اعتقاد القلب ولا عمله **(مؤمناً)** مقراً بتحريمها معتقداً له ، مؤمناً بالحدود المترتبة عليها ، ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ما تجارأ عليه منها . والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ وما فى معناها من آيات الحدود والكبائر ، وقول

النبي صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد » الحديث فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه . والدليل على أن النفى فى هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التى صرحت بتسميته مؤمناً وأثبتت له أخوة الإيمان ، وأبقت له أحكام المؤمنين .

(إلا مع استحلاله لما جنى) هذه هى المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله لو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول صلى الله عليه وسلم وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع . فمن جحد أمراً مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شك فى كفره .

(وتقبل التوبة قبـــل الغرغره كما أتى فى الشرعة المطهره)

هذه هى المسألة السادسة وهى أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب كفراً كان أو دونه . وقد دعا الله تبارك وتعالى إليها جميع عباده فدعا إليها من قال المسيح هو الله ، ومن قال هو ثالث ثلاثة ، ومن قال يد الله مغلولة ، ومن قال إن الله فقير ونحن أغنياء ، ومن دعا لله الصاحبة والولد فقال لهم جميعاً ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ ودعا إليها من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى ما علمت لكم من إله غيرى فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ وقال له فى الآية الأخرى ﴿ أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون ﴾ وفى الآية الأخرى ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ، ودعا إلى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهى الشرك وقتل النفس بدون حق والزنا ، فقال تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ﴾ . ودعا إليها من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى فقال تعالى ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ .

ودعا إليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ . ودعا إليها المنافقين قاطبة فقال تعالى ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ﴾ . ودعا إليها جميع المسرفين بأى ذنب كان فقال تعالى ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ الآيات وغيرها ما لا يحصى ، بل لم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم .

وفى الصحيح من حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » ، وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال « أذنب عبدى ذنباً فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى ربى اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، اعمل ماشئت فقد غفرت لك» ، وفيه عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » ، وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء

تائباً مقبلا بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوه ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » قال قتادة فقال الحسن : ذكر لنا أنه « لما أتاه الموت ناء بصدره » وفى رواية « فلما كان فى بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ، ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها شبراً فجعل من أهلها » . وفيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا ، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة ، فنزل ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ﴾ ونزل ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ . وقال محمد بن إسحاق : قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنهما فى حديثه قال « وكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . قال : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ قال عمر رضى الله عنه : فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضى الله عنه . قال فقال هشام : لما أتتنى جعلت أقرأها بذى طوى ، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم أفهمنيها . قال : فألقى الله عز وجل فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا ، فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة » .

والأحاديث فى شأن التوبة والحث عليها وفى تكفيرها للذنوب كثيرة جداً لها مصنفات مستقلة ، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فإنما المراد بها التوبة النصوح ، وهى التى اجتمع فيها ثلاثة شروط : الأول الإقلاع عن الذنب ، الثانى الندم على فعله ، الثالث العزم على أن لا يعود فيه . فإن كان فى ذلك الذنب حق لآدمى لزم استحلاله منه إن أمكن ، للحديث الذى قدمنا « من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل

منه اليوم ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم » الحديث فى الصحيح . وهذه الشروط فى كيفية التوبة . وأما الشرط فى زمانها فهو ما أشرنا إليه فى المتن بقولنا « قبل الغرغرة » وهى حشرجة الروح فى الصدر ، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ . وعن أبى العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جرير . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شىء عصى الله به فهو جهالة عمداً كان أو غيره . وقال مجاهد : كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من جهالته عمل السوء ، وعنه رضى الله عنه قال ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ قال : بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت . وقال الضحاك : ما كان دون الموت فهو قريب ، وقال قتادة والسدى : ما دام فى صحته . وهو مروى عن ابن عباس . وقال الحسن البصرى : ثم يتوبون من قريب ما لم يغرغر . وقال عكرمة : الدنيا كلها قريب ، وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » ، وله عن عبد الرحمن بن البيلمانى قال : اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم » فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم » فقال الثالث : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة » وقال الرابع : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه » ، وروى ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر » . وهذا توقيت زمان التوبة فى حق كل فرد من العباد ، وأمل فى حق عمر الدنيا ، فقد تقدم فى الآيات والأحاديث

أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها ، لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا ، كما أن رؤية ملك الموت آية الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة ، وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب . قال الله تبارك وتعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ .

فصل

فى معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا به الدين، وانه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب، ويكفر من صدقه واتبعه

(نبينــا محمــد من هاشم إلى الذبيح دون شك ينتمى)

(**نبينا محمد**) صلى الله عليه وسلم (**من**) ولد (**هاشم**) ، وهو صلى الله عليه وسلم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف واسمه مغيرة بن قصى واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار . وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال . وأم عبد مناف حيَّ بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى . وأم قصى فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجدرة من جعشمة الأسد من اليمن . وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة . وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر . وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين بن الجسر من قضاعة . وأم لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعى . وأم غالب ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة . وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى . وأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . وأم خزيمة امرأة من قضاعة . وأم مدركة بن الياس خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة . وأم الياس بن مضر جرهمية . وأم مضر سودة بنت عك ابن عدنان . وأم ربيعة أخى مضر شقيقة بنت عك بن عدنان ، وهاتان القبيلتان المضروب

بهما المثل — ربيعة ومضر — ابنا نزار بن معد بن عدنان . ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار ، ولربيعة أخ شقيق أيضاً وهو أنمار بن نزار .

وهذا هو النسب المتفق على سرده ، لا خلاف فيه لأحد . وكذا لا خلاف فى أن نسب عدنان إلى الذبيح إسماعيل الحليم ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام . وكذا لا خلاف فى أن إبراهيم ينتمى إلى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة ، وكذا لا خلاف فى أن نوحاً ينتمى إلى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام . وإنما الخلاف فى كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم ، وبين إبراهيم وسام بن نوح ، وبين نوح وشيث بن آدم . وقد كان كثير من أئمة الدين — كمالك بن أنس الإمام وغيره — يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان . ويقولون : هو رجم بالغيب ، وما يدرى من يفعل ذلك ، والله تعالى يقول ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : كان قوم من السلف — منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأودى ومحمد ابن كعب القرظى — إذا تلوا ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ قالوا : كذب النسابون ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنان يقول : كذب النسابون . قال السهيلى : وقد رأى جماعة جواز ذلك ، منهم ابن إسحق والبخارى والزبير ابن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء ، قال أبو عمر بن عبد البر : والذى عليه أئمة هذا الشأن فى نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

والمقصود أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أخرجه الله تعالى من أوسط العرب نسباً وأكرمهم حسباً ، وأعلاهم كعباً ، وأعظمهم جرثومة ، وأشرفهم أصلا وأطيبهم فرعاً . وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن مهران الرازى ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعاً عن الوليد . قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » . وروى الترمذى عن العباس ابن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة فى كبوة من الأرض . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله

تعالى خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم خير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، ثم خير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » ، وفى رواية فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال « من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله عليك السلام . قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » هذا حديث حسن . وحمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شيء من ذلك لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعاً « إنى ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل كما روى الترمذى وغيره عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل . قال : وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بنى يعمر ابن ليث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله أكبر منى وأنا أقدم منه فى الميلاد . قال : ورأيت حدق الفيل أخضر محيلا . قال الترمذى : حديث حسن .

(مولده بمكة المطهرة هجرته لطيبة المنورة)
(بعد أربعين بدا الوحى به ثم دعا إلى سبيل ربه)
(عشر سنين أيها الناس اعبدوا ربآ تعالى شأنه ووحدوا)
(وكان قبل ذاك فى غار حرا يخلو بذكر ربه عن الورى)

(**مولده**) صلى الله عليه وسلم (**بمكة المطهرة**) من كل رجس حساً ومعنى (**هجرته**) صلى الله عليه وسلم (**لطيبة**) المدينة (**المنورة**) وكان ذلك موجوداً فى الصحف التى بشرت به صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل وغيرهما ، والآيات فى ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى ، ثم كان الأمر كما بشرت ، فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة إلى الله فيها ، ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتى إن شاء الله عز وجل .

(**بعد أربعين**) سنة من عمره صلى الله عليه وسلم (**بدأ الوحى**) من الله عز وجل إليه (**به**) صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم ، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل . بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين » الحديث . وكيفية بدء الوحى ما ذكره البخارى رحمه الله تعالى قال : حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلّ وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جذع . ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى » . قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن

فترة الوحى . فقال فى حديثه « بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملونى زملونى . فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدَّثر قم فأنذر — إلى قوله — والرجْزَ فاهجر ﴾ فحمى الوحى وتتابع » . تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال ابن رداد عن الزهرى . وقال يونس ومعمر « بوادره » . حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبى عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه . فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما . وقال سعيد : وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما . فحرك شفتيه . فأنزل الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال جمعه لك بصدرك وتقرأه ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ قال فاستمع له وأنصت ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه » . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىَّ ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقاً .

(**ثم دعا إلى سبيل ربه**) وهو على دين الإسلام الذى أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه ، وهو دينه فى السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه ، (**عشر سنين**) دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس ولا غيرها قائلا (**أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه**) لا تعبدوا إلا الله (**ووحدوا**) تفسير لذلك . وهذه دعوة من قبله من نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يقول ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ . وكانت الدعوة فى أول البعثة سراً ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره قال ابن مسعود رضي الله عنه :

مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت ﴿ واصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ . وقال البخارى رحمه الله تعالى فى تفسير سورة الشعراء : قوله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين — واخفض جناحك ﴾ حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ . حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة عن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يابنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً . ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغنى عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، سليني ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » . ورواهما مسلم أيضاً وقال رحمه الله : حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا : حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « لما نزلت هذه الآية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال : يا بنى كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ، أنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها » .
وله عن عائشة رضى الله عنها قالت « لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت

عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلونى من مالى ما شئتم » ، وله عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا « لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى : يا بنى عبد مناف إنى نذير ، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله ، فخشى أن يسبقوه ، فجعل يهتف : يا صباحاه **(وكان قبل ذلك فى غار حراء إلخ)** تقدم معناه فى حديث الحارث بن هشام .

حديث الإسراء والمعراج

(وبعد خمسين من الأعوام مضت لعمر سيد الأنام)
(أسرى به الله إليه فى الظلم وفرض الخمس عليه وحتم)

وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل ، قال الله تبارك وتعالى فى ذكر الإسراء : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ . وقال تبارك وتعالى فى ذكر المعراج ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب حديث الإسراء وقول الله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبنى قريش ، قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . باب المعراج . حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال : « بينما أنا فى الحطيم — وربما قال فى الحجر — مضطجعاً إذ أتانى آت ، فقد قال وسمعته يقول ، فشق ما بين هذه إلى هذه » فقلت للجارود وهو إلى جنبى ما يعنى به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . وسمعته يقول : من قصه إلى شعرته « فاستخرج قلبى . ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبى ، ثم حشى

ثم أعيد . ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم « يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال مرحباً بالا بن الصالح والنبى الصالح . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء . ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . فسلمت فردا ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف ، قال هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت إذا إدريس ، قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا هارون ، قال هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قال مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا موسى ، قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى . ثم صعد بى إلى السابعة فاستفتح جبريل ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قال مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا إبراهيم قال : هذا أبوك فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد على

السلام قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت ما هذان يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك ، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال : بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال سألت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم ، قال فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » ، رواه مسلم مختصراً . قلت وقوله فى هذه الرواية عن إدريس مرحباً بالأخ الصالح هذا قد يشكل ، لأن إدريس من آبائه ، والمعنى والله أعلم على ما فى الحديث « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات » . إلخ . وقال البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال : سمعت ابن مالك — يعنى أنساً رضى الله عنه — يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة « إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه . ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديده —

يعنى عروق حلقه ثم أطبقه . ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال جبريل . قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قال وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قالوا فمرحباً به وأهلا ، فيستبشر أهل السماء لا نعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى نعلمهم ، فوجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك فسلم عليه ، فسلم ورد عليه آدم وقال مرحباً وأهلا يا بنى ، نعم الابن أنت ، فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال هذا النيل والفرات . ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك . ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قالوا مرحباً به وأهلا . ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علىّ أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه : يارب خفف عنا فإن أمتى لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة فقال : يارب إن أمتى ضعفاء أجسامهم

وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا. فقال الجبار: يا محمد، قال لبيك وسعديك، قال إنه لا يبدل القول لديّ، كما فرضت عليك فى أم الكتاب. قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا موسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت إليه. قال فاهبط باسم الله. قال واستيقظ وهو فى المسجد الحرام». ورواه مسلم بعد حديث ثابت البنانى أصله وقال نحو حديث ثابت البنانى وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص، وهذا السياق روايته لحديث ثابت قال رحمه الله تعالى: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء. قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام: اخترتَ الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وسلامه، فرحبا ودَعَوا لى بخير، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذ هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لى بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم. قال وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح الباب فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب ودعا لى بخير، قال الله عز وجل ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل وقد

بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم ، فرحب ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل من هذا؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلىّ ما أوحى ، ففرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت إلى ربى فقلت يارب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت حط عنى خمساً ، قال إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحـــدة . قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه . وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب كيف فرضت الصلاة فى الإسراء . حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فخرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال جبريل ، قال هل معك أحد ؟ قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال أرسل

إليه ؟ قال نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسورة وعلى يساره أسورة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الأسورة عن يمينه وشماله ذريته ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسورة التى عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ، حتى عرج بى إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ، ففتح . قال أنس فذكر أنه وجد فى السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت من هذا ؟ قال هذا إدريس ، ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا ؟ قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ، ثم مررت بإبراهيم فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت من هذا ؟ قال هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم «فرض الله على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة ، قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته فقال هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدىّ ، فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك ، فقلت استحييت من ربى ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ وإذا ترابها المسك . وافقه عليه مسلم رحمه الله تعالى . وله عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، قال ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال فراش من ذهب ، قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة

وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات . وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت مثلها قط ، قال فرفعه الله لى أنظر إليه : ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم » الحديث . وهذا الذى ذكرنا من حديث أنس وجابر ومالك بن صعصعة وأبى ذر وابن مسعود وأبى هريرة وابن عباس وأبى حبة هى من أصح ما ورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لاتفاق الشيخين على إخراجهما ، وعن هؤلاء روايات أخر لم نذكرها استغناء عنها بما فى الصحيحين . وفى الباب أحاديث أخر عن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر : عمر ابن الخطاب وعلى وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبد الله بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتا أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين. ثم الذى دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لا مناماً، ولا ينافى ذلك ما ذكر فى بعض الروايات فى قوله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنه استمر نائماً ، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً ، ولكن فى سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناما ، وكذا لا ينافى ذلك رواية شريك « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » فإن رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس فى أكثر من عشرة مواضع سردها فى الفتح ، وسياقه يدل على أنه بالمعنى ، وصرح فى مواضع كثيرة أنه لم يثبتا ، وتصريح الآية ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ شامل للروح والجسد ، وكذلك قوله تعالى فى سورة النجم ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ جعل رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلا لرؤيته إياه فى الأبطح ، وهى رؤية عين حقيقة لا مناماً . ولو كان الإسراء والمعراج بروحه فى المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ، ومحمد يزعم أنه أسرى به إليه وأصبح فينا ، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به صلى الله عليه وسلم ، لو كان ذلك رؤيا مناماً لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى ، لأن الإنسان قد يرى فى منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه ، وإنما قصّ عليهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم مسرى حقيقة يقظة لا مناماً فكذبوه واستهزءوا به استبعاداً لذلك واستعظاماً له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل ما يريد، ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال : إن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا وتصدقه بذلك ؟ قال نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء يأتيه بكرة وعشياً . أو كما قال .

واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ وعن عكرمة قال : سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قال نعم . قال فقلت لابن عباس : أليس يقول الله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ ؟ قال : لا أم لك ، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء . وروى عنه من طرق لا تحصى كثرة قال : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه . وعنه رآه بقلبه . وفى رواية : رآه بفؤاده مرتين ، رواه مسلم وغيره . وله عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه ؟ وفى رواية قال : رأيت نوراً ، قال ابن خزيمة فى قوله « نور أنى أراه » : هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب : أحدهما الإثبات ومعناه أنى أراه ، أو كيف أراه فهو نور ، أو فإن ما أرى نور . ويؤيد هذا رواية « رأيت نوراً » . المعنى الثانى النفى قال : والعرب قد تقول « أنى » على معنى النفى كقوله عز وجل ﴿ قالوا أنىٰ يكون له الملك علينا ﴾ ، الآية ، يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ثم روى عن أبى ذر قال : رآه بقلبه ولم يره بعينه ، وله عن عباد بن منصور قال : سألت الحسن فقلت ﴿ ثم دنا فتدلىٰ ﴾ من ذا يا أبا سعيد ؟ قال : ربى . وله عن المبارك بن فضالة قال : كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه . وله عن كعب قال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين . وروى ابن أبى حاتم عن عباد بن منصور قال : سألت عكرمة عن قوله ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فقال عكرمة : تريد أن أخبرك أنه قد رآه ؟ قلت نعم . قال : قد رآه ، ثم قد رآه . وروى ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « لم أره بعينى ، ورأيته بفؤادى مرتين » ، ثم

تلا ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ وقال البغوى : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه ، وهو أنس والحسن وعكرمة قالوا : رأى محمد ربه . قال ابن كثير : وقول البغوى فيه نظر . وروى البخارى ومسلم عن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من « ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب — ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ، ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ — ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب — ثم قرأت ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ﴾ — ومن حدثك أنه كتم فقد كذب — ثم قرأت ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية — ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين » هذا لفظ البخارى ، ولفظ مسلم عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة رضى الله عنها فقالت « يا أبا عائش ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله عز وجل ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ ، ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، منهبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض . فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ أو لم تسمع أن الله يقول ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىٌّ حكيم ﴾ قالت : ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ وزاد فى رواية — قالت : ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً مما أنزل إليه لكتم هذه الآية ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ . وعن أبى هريرة وابن مسعود فى آية النجم مثل قول عائشة ، قال

أبو بكر بن خزيمة رحمه الله فى قول عائشة رضى الله عنها « فقد أعظم على الله الفرية »
قال : هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها فى وقت غضب كانت لفظة أحسن منها
يكون فيها درك لبغيتها ، كان أجمل بها ، ليس يحسن فى اللفظ أن يقول قائل أو قائلة
قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم ،
ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التى يكون غيرها أحسن وأجمل منها ، أكثر
ما فى هذا أن عائشة رضى الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك
رضى الله عنه قد اختلفوا : هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت عائشة رضى
الله عنها : لم يرَ النبى صلى الله عليه وسلم ربه ، وقال أبو ذر وابن عباس رضى الله عنهما
قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه ، وقد أعلمت فى مواضع من كتبنا أن النفى لا
يوجب علماً والإثبات هو الذى يوجب العلم ، لم تحك عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه أخبرها أنه لم ير ربه عز وجل ، وإنما تلت قوله عز وجل ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾
وقوله ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ﴾ ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك
الصواب علم أنه ليس فى واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمداً رأى ربه الرمى
بالفرية على الله ، كيف بأن يقول قد أعظم الفرية على الله — ثم قال رحمه الله تعالى :
فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه ، وبيقين يعلم
كل عالم أن هذا ليس من الجنس الذى يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون ،
ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبى مصطفى ، ولا
أظن أحداً من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه
برأى ولا ظن لا ولا أبو ذر ولا أنس بن مالك ، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر
اختلاف عائشة رضى الله عنها وابن عباس فى هذه المسألة : ما عائشة عندنا أعلم من
ابن عباس ، نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة ، كذلك
ابن عباس رضى الله عنهما ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا النبى صلى الله عليه
وسلم له أن يرزق الحكمة والعلم . وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن ،
وقد كان الفاروق رضى الله عنه يسأله عن معانى القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن
هو أكبر سناً منه وأقدم صحبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وإذا اختلفا فمحال أن يقال
قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأنه قد أثبت شيئاً نفته عائشة رضى الله عنها ،
والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة ، وإن غلط بعض العلماء فى معنى الآية من كتاب الله
عز وجل أو خالف سنة أو سنناً من سنن النبى صلى الله عليه وسلم لم تبلغ المرء تلك

السنن ، فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئاً لم ينفه كتاب ولا سنة ، فتفهموا هذا لا تغالطوا . ثم قال رحمه الله تعالى : وقد كنت قديماً أقول إن عائشة حكت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت تعتقد فى هذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرَ ربه جل وعلا وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك وأبو ذر رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه لعلم كل عالم يفهم هـذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه إذ جائز أن تكون عائشة رضى الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أرَ ربى قبل أن يرى ربه عز وجل ، ثم يسمع غيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أنه قد رأى ربه بعد رؤيته ربه ، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه . انتهى كلامه رحمه الله .

حديث الهجرة

(وبعدَ أعـوامٍ ثلاثةٍ مضت   من بعد معراج النبي وانقضت)
(أوذن بالهجـرة نحو يثربا   مع كل مسلم له قد صحبا)

(وبعد أعـوام ثلاثة) وقيل خمسة ، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر ، وهذا الذى فى المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى الثلاثة الأصول ، وله فيه سلف ، وليست مسألة التاريخ اعتقادية فى هذا الباب ، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير فى تاريخه وتعيين سنته ووقته . غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وعلى قول من يقول إن خديجة رضى الله عنها أدركت فريضة الصلوات فالمعراج فى سنة عشر أو قبلها والله أعلم ، لأنها توفيت هى وأبو طالب فى ذلك العام .

(أوذنَ بالهجـرة) أمره الله عز وجل بها **(نحو يثرب)** وهى المدينة المنورة **(مع كل مسلم)** فى ذاك الزمن **(له قد صحبا)** على الإسلام ، وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . قال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام حدثنا

عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين . وقال البغوى رحمه الله تعالى فى تفسير قول الله عز وجل ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ : وهذه الآية معطوفة على قوله ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ﴾ واذكر ﴿ إذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ ، ﴿ وإذ قالوا اللهم ﴾ وأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كان بمكة ، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ﴾ وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشاً فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من كبارهم فى دار الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رءوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدى وشيبة ابن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف ، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى صورة شيخ ، فلما رأوا قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأياً ونصحاً ، قالوا : ادخل ، فدخل . فقال أبو البخترى : أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه ، وتسدوا باب البيت ، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء . قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدى وقال : بئس الرأى رأيتم ، والله لئن حبستموه فى بيت فخرج أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم . قالوا : صدق الشيخ النجدى . فقال هشام ابن عمرو من بنى عامر بن لؤى : أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه . فقال إبليس لعنه الله : ما هذا لكم برأى تعتمدونه ، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه ، والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم . قالوا : صدق الشيخ النجدى . فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى ما أرى غيره ، إنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا

قتلوه تفرّق دمه فى القبائل كلها ، ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها ، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدى قريش ديته . فقال إبليس لعنه الله : صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيا ، القول ما قال لا أرى رأياً غيره . فتفرقوا على قول أبى جهل وهم مجمعون له ، فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى يبيت فيه ، فأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة ، فأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب أن ينام فى مضجعه وقال له « اتشح ببردتى هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه » ، ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه ، فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا — إلى قوله — فهم لا يبصرون ﴾ ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر ، وخلف علياً بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده ، وكانت الودائع تودع عنده صلى الله عليه وسلم لصدقه وأمانته ، وبات المشركون يحرسون عليا فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا علياً رضى الله عنه فقالوا : أين صاحبك؟ قال : لا أدرى ، فاقتصوا أثره وأرسلوا فى طلبه ، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة ، فذلك قوله تعالى ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ وبسط حديث الهجرة ما ساقه البخارى رحمه الله تعالى قال : حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير رضى الله عنه أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت « لم أعقل أبوىَّ قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية . فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى . قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على

نوائب الحق . فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بمكة يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان . قالت عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت رجلا عقدت له . فقال أبو بكر : فأنا أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل — والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة — فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين « إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ، قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضى الله عنها : فبينما نحن فى يوم جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله متقنعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فدى له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله . قال فإنى قد أذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز . وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطته على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق . قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالى يبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج عنـدهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام . ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث . واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خرّيتاً ، والخرّيت الماهر بالهداية ، قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش ، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى — وهو ابن أخى سراقة بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إنى قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا هم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم . ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضرهم ؟ أم لا ؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام تقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ،

فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنانٍ ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا أن قال : أخف عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياباً بيضاً . وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردّهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظاره فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جدّكم الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : لا بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

هـذا الحمال لا حمـال خيـبر   هـذا أبرّ ربنـــا وأطهر

ويقول : اللهم إن الأجر أجر الآخره   فارحم الأنصار والمهاجـره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى ، قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت .

وهذا الكلام كما ترى ليس من باب الشعر ، ولا هو فى شيء من بحوره وأوزانه ، وإنما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيراً .

وقال رحمه الله تعالى : حدثنى محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز ابن صهيب حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ونبى الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل . قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخبر . فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا ، ، فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اصرعه » فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم ، فقال : يا نبى الله مرنى بما شئت . قال : فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا . قال : فكان أول النهار جاهداً على نبى الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فسلموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحفوا بهما بالسلاح ، فقيل فى المدينة : جاء نبى الله ، جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فأشرفوا ينظرون ويقولون : جاء نبى الله جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يسير حتى نزل دار أبى أيوب فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه فتسمع من نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أهله ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا نبى الله صلى الله عليك وسلم ، هذه دارى

وهذا بابى ، قال : فانطلق فهيئ لنا مقيلاً . قال قوما على بركة الله تعالى . فلما جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فى . فأرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فو الله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق ، فأسلموا . قالوا : ما نعلمه . قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم . قال : يا ابن سلام اخرج إليهم . فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله ، فو الله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق ، فقالوا كذبت ، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق قال سمعت البراء يحدث قال : ابتاع أبو بكر من عازب رحلا فحملته معه ، قال فسأله عازب عن مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ، ثم رفعت لنا صخرة أتيناها ولها شىء من ظل . قال ففرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة معى ثم اضطجع عليها النبى صلى الله عليه وسلم فانطلقت أنفض ما حوله فإذا أنا براع قد أقبل فى غنمه يريد من الصخرة مثل الذى أردنا ، فسألته لمن أنت يا غلام ؟ فقال : أنا لفلان ، فقلت هل فى غنمك من لبن ؟ قال نعم . قلت له : هل أنت حالب ؟ قال نعم . قال فأخذ شاة من غنمه فقلت له انفض الضرع ، قال فحلب كثبة من لبن ومعى إداوة من ماء عليها خرقة قد روأتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ثم أتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت اشرب يا رسول الله ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضيت . ثم ارتحلنا والطلب فى أثرنا . قال البراء : فدخلت مع أبى بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى فرأيت أباها أقبل وقال : كيف أنت يا بنية ؟ . وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة

عن أبي إسحق قال سمعت البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : أول ما قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله حتى جعل الإماء يقلن : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما قدم حتى قرأت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ فى سور من المفصل .

الإذن بالقتال

(وبعــدها كلف بالقتــال لشيعة الكفــران والضــلال)

(حتى أتــوا للدين منقادينــا ودخلــوا فى السلم مذعنينــا)

(**وبعدها**) أى بعد الهجرة (**كلف**) أى أمر (**بالقتال**) فى سبيل الله عز وجل (**لشيعة**) أعوان (**الكفران**) بالله وما أرسل الله به رسله ونزل به كتبه (**والضلال**) عن صراطه المستقيم . وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ الآيات ، وهى أول ما نزل بعد فترة الوحى ، وبينها وبين نزول الآيات من صدر سورة العلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق رحمه الله ، وذلك مدة الفترة ، وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهاداً لهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً . ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً ، فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ . وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكة مأموراً إلا بالعفو أو الإعراض عن الجاهلين والصبر على أذاهم واحتمال ما يلقى منهم كقوله تعالى ﴿ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ﴾ الآيات وقوله ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ الآيات وغيرها . ولهذا قال أئمة التفسير إن آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وصارت لهم دار منعة وإخوان صدق وأنصار حق ، أذن الله تعالى لهم فى الجهاد فقال عز وجل ﴿ أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس

بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ ، وقال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ — إلى أن قال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين . يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ الآية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » الحديث ، وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له بأن يقولوا لا إله إلا الله » ، أو كما قال ، وقال صلى الله عليه

وسلم « اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله » الحديث ، والآيات والأحاديث فى الجهاد أكثر من أن تحصى ، وقد أفردت لها مصنفات مستقلات .
والجهاد ذروة سنام الإسلام ، ولا يقوم إلا به ، كما أن بيان شرائعه لا تقوم إلا بالكتاب ، ولهذا قرن الله تعالى بينهما فقال ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه ، والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه .

والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أذن الله له بالقتال وأمره به ، شمر عن ساعد الاجتهاد فى شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية ، ونصره الله بالرعب فى قلوب أعدائه مسافة شهر ، حتى فتح الله به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب وعمرها ، ففتح البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمر البلاد بالعدل والقلوب بالعلم ، فلله الحمد والمنة . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف : سيف للمشركين ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ ، وسيف للمنافقين ﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ، وسيف لأهل الكتاب ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ ، وسيف للبغاة ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ ، وقد بذل المهاجرون والأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله كما وصفهم الله تبارك وتعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ ، وبذل المشركون جهدهم ومجهودهم فى عداوته وقتاله وألبوا وتحزبوا كما قال الله تعالى ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ فقد فعل تبارك وتعالى .

(**حتى أتوا للدين**) دين الإسلام ، (**منقادينا**) الألف للإطلاق طوعاً وكرهاً ،

(ودخلوا فى السلم) أى الإسلام **(مذعنينا)** مستسلمين . وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً لأنهم فى الجاهلية هم سادة العرب وقادتها ، وكذلك هم فى الإسلام ، فلما أسلموا بادر كل قوم بإسلامهم ، وتواترت الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فج عميق ، وانتشر الإسلام وجرت أحكامه ، وانتشرت أعلامه فى كل جزيرة العرب والنبى صلى الله عليه وسلم حى ، وأنزل الله عز وجل عليه ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ ولهذا علم هو أصحابه أن ذلك أجله، أعلمه الله به ، كما قال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم . فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما روّيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم . قال : ما تقولون فى قول الله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وذلك علامة من أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول . وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التى لم تفرض من قبل ، فالجهاد فى السنة الأولى ، وأتمت صلاة السفر فى الأولى ، وشرع الأذان والصيام وزكاة الفطر وزكاة النصب وتحويل القبلة إلى الكعبة كلها فى الثانية ، وشرع التيمم سنة ست ، وصلاة الخوف سنة سبع ، والحج فى السادسة وقيل فى التاسعة وقيل فى العاشرة وفيها حج صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة يوم الجمعة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ كما قدمنا فى الحديث فى الصحيحين .

وفاته صلوات الله وسلامه عليه

(وبعد أن قد بلَّغ الرساله واستنقذ الخلقَ من الجهاله)
(وأكمل الله به الإسلاما وقام دين الحق واستقاما)
(قبضَه الله العليُّ الأعلى سبحانه إلى الرفيق الأعلى)

(**وبعد أن قد بلغ**) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (**الرسالة**) من القرآن وبيانه أمراً ونهياً وخبراً ووعداً ووعيداً وقصصاً (**واستنقذ الخلق**) حتى أنقذهم الله به (**من الجهالة**) من الشرك وما دونه (**وأكمل الله به الإسلاما**) بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها ، (**وقام**) ظهر (**دين الحق**) الذى بعثه الله ليظهره على الدين كله ، (**واستقاما**) اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل ، وذهبت عنه غياهب الشرك وظلم الغى وطغاية الشبهات ، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ، ﴿ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ ، وتبين الرشد من الغى والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دل الأمة عليه،ولا شر عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، وترك فيهم ما لم يضلوا إن تمسكوا به كتاب الله ، وبعد هذا (**قبضه الله العلى**) بجميع معالى العلو ذاتاً وقهراً وقدراً (**الأعلى**) بكل تلك المعانى ، فلا شىء أعلى منه عز وجل (**سبحانه**) وكان قبضه إياه (**إلى الرفيق الأعلى**) وهى أعلى عليين ، وهى الوسيلة التى هى أعلى درجة فى الجنة ولا تنبغى إلا له صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرنا أن نسأل الله له ذلك ، اللهم آت نبينا محمداً الوسيلة والفضيلة آمين ، وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول نهار الإثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة ، قال تبارك وتعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

منها ، وسنجزى الشاكرين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ ، وقال ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : يوم الخميس وما الخميس ، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال « آتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع ، فقالوا : ما شأنه ، استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه . وأوصاهم بثلاث قال « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » وسكت عن الثالثة ، أو قال : فنسيتها . وله عن عائشة رضى الله عنها : دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته إلى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به ، فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاستن به ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استناناً قط أحسن ، فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده أو إصبعه ثم قال « فى الرفيق الأعلى » ثلاثاً ثم قضى ، وكانت تقول : مات ورأسه بين حاقنتى وذاقنتى ، وفى رواية قالت : وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات » ، ثم نصب يده فجعل يقول « فى الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده . وفى أخرى قالت : فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة . وفى الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها : ألا تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : بلى ، ثقل النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . قال « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق . فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . فقال « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال « أصلى الناس » فقلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . فقال « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ فقلنا : لا ، وهم

ينتظرونك يا رسول الله . قال والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر أن يصلى بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس . فقال أبو بكر — وكان رجلا رقيقاً — : يا عمر صلِّ بالناس . قال ، فقال عمر : أنت أحق بذلك . قالت: فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر ، وقال لهما « أجلسانى إلى جنبه » ، فأجلساه إلى جنب أبى بكر ، وكان أبو بكر يصلى وهو قائم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، والنبى صلى الله عليه وسلم قاعد . الحديث . وفيه عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ، فنظرنا إليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً فبهتنا ونحن فى الصلاة من فرح بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم ، قال : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرخى الستر ، قال : فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك . وفى رواية قال : لم يخرج إلينا نبى الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فدفعه ، فلما وضح لنا وجه نبى الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه النبى صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرنى أبو سلمة . أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه . ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، والله لا يجمع الله عليك موتتين : أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها . قال الزهرى :

وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . قال الله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — إلى قوله — الشاكرين ﴾ . وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها . فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر رضى الله عنه قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكرٍ تلاها فعقرت حتى لا تقلنى رجلاى ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته قالها أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات .

تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله

(نشهد بالحق بلا ارتياب   بأنه المرسل بالكتاب)
(وأنه بلغ ما قد أرسلا   به وكل ما إليه أنزلا)

(**نشهد بالحق**) بيقين وصدق (**بلا ارتياب**) بدون شك (**بأنه المرسل بالكتاب**) بالقرآن إلى كافة الناس ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، وقال تبارك وتعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمه على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها إرساله فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم رسولًا من عند الله تبارك وتعالى العلى العظيم الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، بكلامه الذى هو صفته ، وهو كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ليهديهم به من الضلالة . ويبصرهم به من العمى ، وينقذهم به من دركات الردى ، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه ﴿ كتاب أنزلناه إليك

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ يالها نعمة ما أعظمها وأجلها ، ومنَّة ما أكملها وأجزلها ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالا بكون ذلك الرسول من أنفسهم يعرفون شخصه ونسبه ورحمه ، ما من أهل بيت من العرب إلا وله صلى الله عليه وسلم فيهم نسب ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾ ثم جعل الرسالة بلسانهم الذى به يتحاورون ، ومن جنس كلامهم الذى فيه يتفاخرون ، معجزاً بالفصاحة التى فى ميدانها يتسابقون بأوضح المبانى وأفصحها ، وأكمل المعانى وأصحها ، مع اتساق سياقه وسلاسة ألفاظه ، وانتساق تراكيبه وملاحة مفرداته . ثم مع هذا التالى له من أنفسهم رسول من عند ربهم ثم هو صلى الله عليه وسلم مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قاله رب العزة لم يقله النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ الضمير لله عز وجل ليسمعوا لذيذ خطابه. ويتأملوا لطيف عتابه ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ ﴿ ويزكيهم﴾ يطهرهم ظاهراً وباطناً حساً ومعنى لمن التزمه واتبعه أما قلوبهم فيزكيها بالإيمان من دنس ورجس الشرك ورجزه كما قال تعالى ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ و ﴿والرجز فاهجر﴾ وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها، وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم إليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضربها ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن المجيد ﴿ والحكمة ﴾ السنة النبوية التى هى تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه ، وتدل كما قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أوتيت القرآن ومثله » يعنى السنة ﴿ وإن كانوا من قبل ﴾ إرساله إليهم وبعثه فيهم ﴿ لفى ضلال مبين ﴾ من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم الموجبة لدخول جهنم ، والخلود فى عذابها الأليم المقيم ، أجارنا الله منها . وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فاستجاب الله له تلك الدعوة المباركة كما قضى الله عز وجل ذلك فى الأزل وسبق علمه وسطره فى كتابه وأخذ على رسله الميثاق فى الإيمان به والقيام

بنصره كما قال تبارك وتعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى الترمذى « كنت نبياً وآدم منجدل فى طينته[1] » وفى رواية أخرى « وآدم بين الروح والجسد » يعنى وجبت له فى الكتاب ، ولأن السائل قال له : متى وجبت لك النبوة ؟ هذا معنى الحديث ، وقال صلى الله عليه وسلم « أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى » أو كما قال ، فأما دعوة إبراهيم فما فى الآية السابقة ، وأما بشرى عيسى فقول الله عز وجل ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ الآية ، وأما رؤيا أمه فإنها رأت كأنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ، الحديث . وقد شهد الله تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ وقال تعالى ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وأرسلناك للناس رسولًا وكفى بالله شهيداً . من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ وغير ذلك من الآيات . وقال تبارك وتعالى فى عموم رسالته إلى الأحمر والأسود والجن والإنس ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى

---

(١) على تقدير صحته ، ليس معناه أنه كان قد نبئ يومئذ ، ولا أنه ولد نبيا ، ولم يبدأه الوحى إلا بعد تمام الأربعين من عمره وذلك العمر الذى قال الله تعالى ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾ ، وقال ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ﴾ الآية وقال ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ﴾ وقال ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ ولعله قد بسط هذا المعنى فى موضع غير هذا . اهـ مؤلفه

كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ومعنى كونه أمياً : لا يقرأ ولا يكتب ، وكذلك أمته أمية لا يقرؤون ولا يكتبون ، قال الله تباركْ وتعالى ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله﴾ وقال تعالى ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ وغير ذلك من الآيات ، وقال تعالى أيضاً فى ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ الآيات ، ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتو الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ وقال ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وغير ذلك من الآيات . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . وفيه عنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفس محمد بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » . وفى حديث الخصائص « وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وهو فى الصحيحين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان

موسى حياً واتبعتموه وتركتمونى لضللتم » وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى » وأخبر صلى الله عليه وسلم أن عيسى ينزل حكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقيم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ناسخ ولا مغير لشريعته ، ولا يسع أحداً الخروج عنها . ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة إلى الثقلين ، ولم يقبل من أحد صرفاً ولا عِدلاً إلا باتباعه ، ولا يصل أحد دار السلام التى دعا الله إليها عباده إلا من طريقه ، فهو صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل ، وأمته خير الأمم ، وشريعته أكمل الشرائع ، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل ، لا نسخ له بعده ولا تغيير ، ولا تحويل ولا تبديل،وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التى أعظمها هذا القرآن الذى تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه إتساعاً وأطولها فيه باعا . وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعا ، مع عظم محادتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده ، وهو ينادى عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها ، وأمتنها وأجزلها ﴿ أم يقولون تقوّله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ ، ﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ ، ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ . ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين ، لا فى زمن واحد ولا فى أزمان ، فقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ، وغير ذلك من الآيات ، ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاتة مع علمه أنه لا يقدر على شيء البتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأرك ما ينطق به ، وصار أضحوكة للصبيان فى كل زمان ومكان ، حتى إنه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنثين ، وصار كذبه معلوماً عند كل أحد ، ووسمه الله عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باسم الكذاب فلا يسمى إلا به ، ولا يعرف إلا به ، حتى صار أشهرعليه من العلم ، بل لا علم له غيره أبداً ، ويروى أن أصحاب الفيلسوف الكندى قالوا له : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن ، فقال : نعم أعمل مثل بعضه ، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إنى فتحت المصحف

فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلًا عاماً ، ثم استثنى بعد استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته فى سطرين ، ولا يقدر أحد أن يأتى بهذا ، قلت : وهذا الذى قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه ، وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون ، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . ومن ذلك انشقاق القمر قال الله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الآيات ، وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال « سأل أهل مكة أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا » زاد فى رواية « ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم ».ومنها حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمها إليه تئن أنين الصبى الذى يسكن ، قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها »،وفى رواية « قال فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت»

فيا حامداً معنى بصورة عاقل ... أمالك من قلب شهيد ولا سمع
يحن إليه الجذع شوقاً وما لنا ... ألسنا بذاك الشوق أولى من الجذع

ومنها تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله عز وجل ، ونبع الماء من أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم ، كما فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً . كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقلّ الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : حى على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل » . وعن أنس رضى الله عنه قال « أتى النبى صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال وكانوا ثلاثمائة أوزهاء ثلاثمائة »، وعن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ ،

فجهش الناس نحوه فقال : مالكم ؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك . فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت كم كنتم ؟ قال:لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » ، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبى صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج فى البئر فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا ».وعن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شىء ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولا ثتنى ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسلك أبو طلحة » ؟ فقلت : نعم ، قال « بطعام » ؟ قلت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت:الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هلم يا أم سليم ما عندك » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا . وعن جابر رضى الله عنه أن أباه توفى وعليه دين ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أبى ترك دَيْناً وليس عندى إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معى لكيلا يفحش على الغرماء ، فمشى حول بيدر من بيادر التمر ، فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذى لهم وبقى مثل ما أعطاهم.وفى حديث أبى قتادة الطويل فى تلك الغزوة : ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شىء من ماء فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء ، قال وبقى منها شىء من ماء ، ثم قال لأبى قتادة « احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ » الحديث ، إلى أن قال :

فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمى كل شيء وهم يقولون : يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال « لا هلك عليكم — ثم قال — اطلقوا لى غمرى » قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن رأى الناس ماء فى الميضة تكابوا عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحسنوا الملء كلكم سيروى » قال ففعلوا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى « اشرب » فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ، قال « إن ساقى القوم آخرهم شرباً » قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتى الناس الماء جامين رواء . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : الله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ثم قال « أبا هر » قلت:لبيك يا رسول الله . قال « الحق » ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخل فوجد لبنا فى قدح فقال « من أين هذا اللبن » قالوا أهداه لك فلان أو فلانة ،قال: «أبا هر »قلت : لبيك يا رسول الله ، قال « الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى » قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على حد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة ، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاء أمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت . قال « أبا هر » قلت:لبيك يا رسول الله ، قال « خذ فأعطهم » قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىّ القدح ، فأعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلىّ فتبسم فقال «ياأباهر » قلت:لبيك يا رسول الله قال « بقيت أنا وأنت » قلت:صدقت يا رسول الله ، قال « اقعد فاشرب » فقعدت فشربت ، فقال « اشرب » فشربت ، فما زال يقول

اشرب حتى قلت « لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً » قال « فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . وقال أبو داود رحمه الله : حدثنا سليمان بن داود المهر حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها « أسممت هذه الشاة » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هذه التى فى يدى » وهى الذراع . قالت:نعم قال « فما أردت بذلك » ؟ قالت : قلت إن كنت نبياً فلن تضرك . وإن لم تكن نبياً استرحنا منك . الحديث وهو فى صحيح البخارى عن أبى هريرة فى مواضع مختصراً ومطولًا . لكن الشاهد منه فى هذه الرواية أصرح وهو قوله « أخبرتنى هذه » للذراع . وقد رواه جماعة من الصحابة فى عامة الأمهات وغيرها . ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى فى الأسفار فضلا عن هذا المختصر ، وقد جمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وبالله التوفيق . وكذا قد صنفت التصانيف الجمة فى صفته الخلقية والخلقية وسيرته وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتها . وكذا خصائصه التى انفرد بها فى الدنيا والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والأرضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك .

(و) نشهد (**أنه بلغ**) إلى الناس كافة (**ما**) أى الذى (**قد أرسلا**) بالبناء للمفعول والألف للإطلاق (**به**) من ربه (**وكل ما إليه أنزلا**) من الكتاب والحكمة . وفى هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر :

الأولى — أنه أى الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله عز وجل ، لم يقل شيئا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس ، وتلاوة آياته على الناس ، وتعليمهم الحكمة والتبيان ، وذلك معنى كونه صلى الله عليه وسلم رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه ، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصة الله وأخبر به ، ولذا كانت طاعته طاعة الله عز وجل ، ومعصيته معصية لله عز وجل ، وتكذيبه تكذيباً لإخبار الله عز وجل فى أنه رسوله . قال الله تبارك وتعالى ﴿ وأرسلناك للناس رسولًا وكفى بالله شهيداً . من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً . إن عليك إلا البلاغ ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ وقال تعالى ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾ وقال ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحَى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ﴾ وقال ﴿ نحن أعلم بما يقولون ، وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ، إلا بلاغاً من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ وقال ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ﴾ وقال تعالى ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وغير ذلك من الآيات ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحَى علمه شديد القُوى ﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين — ربيعة ومضر » ، فقال رجل : يا رسول الله وما ربيعة من مضر ؟ قال « إنما أقول ما أقول » ، وله عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق » وله عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أقول إلا حقًّا » . قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا ، قال « إنى لا أقول إلا حقاً » وللبزار عنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذى لا شك فيه » وغير ذلك من الأحاديث ، ويكفى فى ذلك قول الله تعالى ﴿ ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ﴾

الآيات

المسألة الثانية : أنه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أرسل به لم يكتم منه حرفاً واحداً قال الله تعالى ﴿ ياأيها الرسوّل بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ . وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال : لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ».وفى صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله صلى الله عليه وسلم:وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تُسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا:نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات » الحديث . وفيهما من حديث ابن عباس فى ذلك الجمع الأعظم حين خطب : اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ؟.ومن حديث أبى بكرة فى تلك الخطبة أيضاً:ألا هل بلغت ؟ قالوا:نعم . قال:اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فربّ مبلغ أوعى من سامع ».وفى صحيح البخارى من رواية أبى جحيفة وهب بن عبد الله السوائى قال : قلت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : هل عندكم شيء من الوحى مما ليس فى القرآن ؟ فقال « لا والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة ، إلا فهمًا يعطيه الله رجلا فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة » قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال « العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر » ، وفيه من رواية الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن على رضى الله عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم«المدينة حرم مابين عير إلى كذا ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين » الحديث . وفى رواية قال : خطبنا على رضى الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال « والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة . فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل ، وإذا فيها : المدينة حرم من عير إلى كذا ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا . وإذا فيه : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . وإذا فيها : من والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا » . ولابن أبى حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس ، فجاء رجل فقال له : إن أناسا يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس . فقال ابن عباس « ألم تعلم أن الله تعالى قال ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء فى بيضاء » وإسناده جيد . وتقدم قول عائشة رضى الله عنها قالت « من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب ، والله تعالى يقول ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية .

المسألة الثالثة : أن هذا الذى بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكملاً محكماً لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل ، ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حل ، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل ، قال الله تعالى ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ فكما أن الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن ، كما علمه الله عز وجل ، فكذلك هذا القرآن واف شاف كاف محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها ، فمن لم يكفه فلا كفى ، ومن لم يشفه فلا شفى . ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو واف بالذب عنه ، وبرد كل شبهة ترد عليه ، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحادّ ، وبدمغ كل باطل وإزهاقه ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ . ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ ، ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون ﴾ ، ﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم إنه

بما تعملون بصير . إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم . ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصلت آياته أأعجمي وعربي ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ ، وكذلك السنة من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اختصه الله بها ، هى روح المعانى والوحى الثانى ، والحكمة والبيان وتبيان القرآن . والنور والبرهان . فلم يتوف صلى الله عليه وسلم حتى بين الشريعة أكمل بيان ، ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، والله تعالى يقول ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ويقول تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتذكرون ﴾ ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك ، فكيف يتوفاه قبل إنفاد ذلك وإنجازه ، مع قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولأمته كلهم ﴿ ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ، كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل ﴿ لا يخلف الميعاد ﴾ ؟ والذى بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ما توفاه الله عز وجل حتى بلغ ما أرسله الله به أكمل بلاغ وبينه أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأكمل به الدين وأتمَّ علينا النعمة ولهذا أنزل عليه فى آخر ما أنزل فى يوم الجمعة الذى اختص به هو وأمته وهداهم له فى أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة فى ذلك الجمع الأعظم الذى لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ، فأخبر فيها بإكمال دينه الذى وعدنا إظهاره فى قوله عز وجل ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وبإتمامه النعمة كما وعد فى قوله تعالى ﴿ ولأتمّ نعمتى عليكم ﴾ وتقدم الحديث الصحيح فى قول اليهودى لعمر فى شأنها وما ردّ عليه به . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه فلا يسخطه

أبداً . قلت وفى ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » وأمرنا بهذا الذكر فى كل مساء وصباح ، وقال أسباط عن السدى : نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات ، قالت أسماء بنت عميس : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة ، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل ، فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآن فبركت ، فأتيته فسجيت عليه برداً كان على . وقال ابن جرير وغير واحد : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً . رواهما ابن جرير ، وله عن هارون بن عنترة عن أبيه قال : لما نزلت ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وذلك يوم الحج بكى عمر رضى الله عنه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ قال رضى الله عنه:كنا فى زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فأنه لم يكمل شىء إلا نقص ، فقال « صدقت ».وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ قال ولا يأتونك بمثل أى بما يلتمسون به غير القرآن والرسول ﴿ إلا جئناك بالحق ﴾ الآية أى لإنزال جبريل من الله تعالى بجوابهم ، وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحى من الله عز وجل بالقرآن صباحا ومساء وليلًا ونهاراً ، سفراً ، وحضراً ، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتب قبله المتقدمة ، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم نبى أرسله الله تعالى . وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا : ففى الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجما بحسب الوقائع والحوادث ﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ ، ﴿ وقرآنا فَرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزَّلنا تنزيلا ﴾ وكما وفىَ بالرد على كل مشاق لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيين وغيرهم ، ونزل منجما على حسب ذلك ، فكذلك هو واف برد شبهة كل ملحد إلى يوم القيامة ، اقرأ على من ادعى النبوة ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ ، وعلى الدجال فواتح سورة الكهف ، وعلى المعطل والمشبه

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً ﴾ ، وعلى النافى للقدر ﴿ من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ ، ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ، وعلى الجبرية الغلاة ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ، ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ، ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ ، وعلى نفاة الرؤية ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ وعلى الرافضة ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ وعلى الناصبة ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ الآية ﴿ إنما يريد الله لِيُذْهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيراً ﴾ ، وعلى الفريقين ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ وعلى كل ذى بدعة مطلقاً ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ إلى آخرها مع قوله تعالى ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ ، ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ .

(المسألة الرابعة) : أن هذا الدين التام المكمل الذى بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها ولا نقصاً منها ولا تغييراً ولا تبديلا ولا يقبل من أحد دينا سواه ، ولا تقبل لأحد عبادة لم يتعبدها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، ولا يعبد الله تعالى إلا بما شرع ، وهذه المسألة يأتى إن شاء الله الكلام عليها فى الفصل الأخير ، والله المستعان .

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ، فلا نبى بعده

(المسألة الخامسة) : أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل فلا نبى بعده ، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده ، فهو محكم أبداً . وهذه المسألة هى المشار إليها بهذا البيت والذى بعده .

(وكل مَن مِن ببعده قد ادعى نبوة فكاذب فيما ادعى)
(فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق)

قال الله تبارك وتعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ وقال تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنى معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لى خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » ورواه مسلم وزاد « وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى » وله عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال « أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة ». وقال البخارى رحمه الله تعالى : باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها يتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة » رواه مسلم وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » . وقال البخارى رحمة الله تعالى : حدثنا قتيبة عن سعيد حدثنا إسمعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » رواه مسلم من طرق . وله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل النبيين » فذكر نحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا أبو عامر الأزدى حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، وجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة » . ورواه الترمذى عن أبى

عامر العقدى به وقال حسن صحيح . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى » . ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » قال سعيد:فأحببت أن أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثنى به عامر فقال : أنا سمعته ، فقلت:أنت سمعته ؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا سُكتا . وتقدم فى جديث الدجال قوله صلى الله عليه وسلم « أنه يبدئ فيقول أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى » الحديث . وفى حديث ثوبان الطويل عند أبى داود وغيره « وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى ».وللبخارى ومسلم وهذا لفظه : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة ، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، ثم هذا اليوم الذى كتبه الله علينا هدانا الله له فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غداً والنصارى بعد غد » وفى رواية « وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق » . وفى صحيح البخارى فى موضع من صحيحه من طرق عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس » وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال : من يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط . فقال : من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ، فقال : من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ قال : ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ، ألا لكم الأجر مرتين . فغضبت اليهود والنصارى ، فقالوا نحن أكثر عملًا وأقل عطاء ، قال الله تعالى : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه فضلى أوتيه من شئت » . ولهما عن أبى حازم قال : قاعدت أباهريرة رضى الله عنه خمس سنين سمعته يحدث عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلف نبى وإنه لا نبى بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا بيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم ». وروى الإمام أحمد والترمذى وصححه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبى » . قال فشق ذلك على الناس ، فقال « ولكن المبشرات » . قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال « رؤيا الرجل المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة ». وللبخارى من حديث أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لم يبق من النبوة إلا المبشرات . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة » . وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل — وهو ابن جعفر — عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » . وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته » . وله عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال « أنا محمد النبى الأمى (ثلاثا) ولا نبى بعدى ، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه » . وقد وردت عدة أحاديث فى صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لا نبى بعده لا بأس أن نذكر ما تيسر منها ، فروى البخارى ومسلم عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال « ذهبت بى خالتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابن أختى وقع . فمسح رأسى ودعا لِىَ بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة » ، ولمسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادهن لم يتبين ، وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية . فقال رجل : وجهه مثل السيف . قال : بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبهه الحسن » ، وفى رواية قال : « رأيت خاتماً فى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم

كأنه بيضة حمام » . وله عن عبد الله بن سرجس رضى الله عنه قال « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأكلتُ معه خبزاً ولحماً — أو قال ثريداً — قال فقلت له : استغفر لك النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ولك » ثم تلا هذه الآية ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ . قال « ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عن ناغض كتفه اليسرى جمع عليه خيلان كأمثال الثآليل ».وروى أبو داود الطيالسى عن معاوية بن قرة عن أبيه قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أرنى الخاتم ، فقال أدخل يدك فأدخلت يدى فى جربانه فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لى وإن يدى لفى جربانه » ورواه النسائى . وروى الإمام أحمد عن أبى رمثة التيمى قال « خرجت مع أبى حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه ردع حناء ، ورأيت على كتفه مثل التفاحة ، فقال أبى : إنى طبيب أفلا أطبها لك ؟ قال : طبيبها الذى خلقها » . قال « وقال لأبى : هذا ابنك ؟ قال : نعم . قال : أما إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » . وروى البيهقى عن سلمان الفارسى قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى رداءه وقال : يا سلمان أنظر إلى ما أمرت به ؟ قال فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة ».وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوخى الذى بعثه هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك الحديث ، وفيه « فحل حبوته عن ظهره ثم قال : ههنا امض لما أمرت به ، قال فجلت فى ظهره فإذا أنا بخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة » . وروى الإمام أحمد عن غياث البكرى قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدرى بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابة : هكذا لحم ناشز بين كتفيه صلى الله عليه وسلم . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبى حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : إن جعل لى محمد من بعده — يعنى الأمر — تبعته . وقدمها فى بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت ابن قيس بن شماس وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقال « لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك . ولئن أدبرت ليعقرنك الله ،وإنى لأراك الذى أُريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت

يجيبك عنى » . ثم انصرف عنه . قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وإنى لأراك الذى أريت فى ما رأيت » فأخبرنى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا نائم رأيت فى يدىَّ سوارين من ذهب ، فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدى أحدهما العنسى والآخر مسيلمة » . حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ، فوضع فى كفى سواران من ذهب ، فكبر على ، فأوحى إلىّ أن أنفخهما ، فنفختهما فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة » والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً وفيما أشرنا إليه كفاية .

(**فهو**) محمد صلى الله عليه وسلم (**ختام الرسل**) فلا نبى بعده ، والرسالة من باب أولى إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ ، فالنبوة وحى مطلق مجرداً ، فإن أمر بتبليغه فرسالة ، فكل رسول نبى ولا عكس (**باتفاق**) من كل كتاب منزل وكل نبى مرسل وكل مؤمن بالله واليوم الآخر (**وأفضل الخلق**) كلهم (**على الإطلاق**) بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم : هو محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » . وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق فى الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبى قومه وبعث إلى الجن والإنس والأسود والأحمر كافة ، وأتى فى الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبى قبله من انشقاق القمر وحنين الجذع إليه ونبع الماء من أصابعه وتسليم الأشجار والأحجار عليه وغير ذلك .

وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين ، لا تفنى عجائبه ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار ولا يمل مع التكرار . بل يحلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يُعلى ، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها ، وهو كل يوم براهينه فى مزيد ومعجزاته فى تجديد ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

وقد ظهرت فضيلته صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماماً ، وعلوه فوق الجميع مقاما ، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى

حيث شاء الله عز وجل ، واختص صلى الله عليه وسلم بأشياء أخر فى سماحة شريعته ، ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعاً ، وكذلك يبدو فضله فى الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته ، وله الحوض المورود وهو الكوثر ، وهو أكثر الأنبياء وارداً ، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ، وله المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ، ويرغب إليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن ، وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلثا أهل الجنة ، لما جاء أنهم ثمانون صفا وغيرهم من الأمم أربعون صفاً ، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ، ويشفع الواحد من أمته فى مثل ربيعة ومضر ، وله صلى الله عليه وسلم الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن عز وجل ، وليست هى لأحد غيره صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك من مقاماته العلية التى لا ينالها غيره ولا يدركها سواه ، وهذا مقام يطول ذكره ولا يقدر قدره . ولا يحيط بغايته إلا الذى اصطفاه له ، وأكرمه به . جعلنا الله عز وجل ممن اقتدى واهتدى بهديه وكان هواه تبعاً لما جاء به آمين

مسألة: فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما يهودى يعرض سلعته أعطى بها شيئا كرهه ، فقال : لا والذى اصطفى موسى على البشر . فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم خده وقال : تقول والذى اصطفى موسى على البشر والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ؟ فذهب اليهودى إليه صلى الله عليه وسلم فقال : أبا القاسم إن لى ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهى ؟ فقال : لم لطمت وجهه ؟ فذكره . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم حتى رؤى فى وجهه ثم قال « لا تفضلوا بين أنبياء الله عز وجل ، فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من يشاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى ؟ ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى » ، ولهما عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما ينبغى لعبد أن يقول إنى خير من يونس بن متى »،ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال — يعنى الله تبارك وتعالى — « لا ينبغى لعبد لى » الحديث . قال النووى رحمه الله تعالى فى الحديث الأول قوله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوا بين أنبياء الله » جوابه من خمسة أوجه :

أحدها أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، فلما علم أخبر به . والثانى قاله أدبا وتواضعاً . والثالث أن النهى إنما هو تفضيل يؤدى إلى تنقيص المفضول . والرابع إنما نهى عن تفضيل يؤدى إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور فى سبب الحديث . والخامس أن النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة فلا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ، رواه ابن كثير رحمه الله تعالى وجها أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل ، وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به . اهـ . قلت: الوجه الأول من كلام النووى ضعيف ، والثانى والخامس فيهما نظر ، والرابع قريب . ويقوى عندى الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير ، فليس التفضيل بالرأى ومجرد العصبية ، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحطّ من قدره ، كل هذا وما معناه محرم قطعا منهى عنه شرعاً ، وهو الذى غضب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يقصده ذلك الأنصارى رضى الله عنه ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه عن ذلك تعليم عامة للأمة وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك . وأما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه فى الوحى بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم مما ذكرناومما لم نذكر فهو الذى يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم ، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله وروسوله إلا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم . والله المستعان وبه التوفيق .

وقال النووى رحمه الله تعالى فيما قاله صلى الله عليه وسلم فى شأن يونس أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا زاجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وسلم من أجل ما فى القرآن من قصته : قال العلماء وما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة،وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره فى القرآن بما ذكر . وأما قوله صلى الله عليه وسلم«ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس » فالضمير قيل يعود إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل يعود إلى القائل ، أى لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين فى عبادة أو غير ذلك من الفضائل ، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة ، ويؤيد هذا التأويل الرواية التى فيها قوله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » والله أعلم .

فى من هو أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر الصحابة بمحاسنهم ، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم رضى الله عنهم

أهم ما فى هذا الفصل خمس مسائل : الأولى مسألة الخلافة ، والثانية فضل الصحابة وتفاضلهم بينهم . والثالثة تولى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم . الرابعة ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم . والخامسة السكوت عما شجر بينهم وأن الجميع مجتهد : فمصيبهم له أجران أجر على اجتهادة وأجر على إصابته ، ومخطؤهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور

(وبعده الخليفة الشفيق نعم نقيب الأمة الصديق)
(ذاك رفيق المصطفى فى الغار شيخ المهاجرين والأنصار)
(وهو الذى بنفسه تولى جهاد من عن الهدى تولى)

(**وبعده**) أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الخليفة**) له فى أمته (**الشفيق**) بهم وعليهم (**نعم**) فعل مدح (**نقيب**) فاعل نعم ، والنقيب عريف القوم وأفضلهم (**الصديق**) هو المخصوص بالمدح وهو النقابة منه لجميع الأمة ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمى ، أول الرجال إسلاماً ، وأفضل الأمة على الإطلاق رضى الله عنه ، فلنسق الكلام أولا فى خلافته ، ثم فى مقاماته أيام خلافته رضى الله عنه .

فأما خلافته فقد تقدم الحديث فى تقديم النبى صلى الله عليه وسلم إياه إماماً فى الصلاة مقامه أيام مرضه صلى الله عليه وسلم ، وهو فى الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ ، وعن جماعة غيرها من الصحابة رضى الله عنهم فى الصحيحين وغيرهما ، منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعرى وعمر بن الخطاب ، وقد راجعته عائشة وحفصة رضى الله عنهما مراراً وهو يكرر مراراً عديدة

يقول « مروا أبا بكر فليصل بالناس ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، مروا أبا بكر فليصل بالناس » ولما أشير بغيره حرك يده وقال « ليصل بالناس ابن أبى قحافة » وفى رواية « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » رضى الله عنه . وروى البخارى ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال « أتت امرأة النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت:أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت ، قال صلى الله عليه وسلم : إن لم تجدينى فأتى أبا بكر »وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه . ثم استحالت غرباً ، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن ».وفيهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يحدث « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل ، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فينقطع ، ثم وصل فقال أبو بكر : يا رسول الله بأبى أنت والله لتدعنى فأعبرها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اعبرها : قال : أما الظلة فالإسلام ، وأما الذى ينطف السمن والعسل فالقرآن حلاوته تنطف ، فالمستكثر من القرآن والمستقل . وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه تأخذ به فيعليك الله عز وجل ، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل فيعلو به . فأخبرنى يا رسول الله بأبى أنت أصبت أم أخطأت ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : أصبت بعضا وأخطأت بعضا . قال:فوالله يا رسول الله لتحدثنى بالذى أخطأت،قال:أتقسم ».وفيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال « إن الله تعالى خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله عز وجل . قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أمنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر رضى الله عنه ، ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن

أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبا بكر رضى الله عنه . وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه : ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » . وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال « لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال : مروا من يصلى للناس . فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : يا عمر قم فصل بالناس . فتقدم فكبر ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رضى الله عنه رجلا مجهراً قال : فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث إلى أبى بكر رضى الله عنه فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس » وفى رواية قال « لما سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت عمر رضى الله عنه قال ابن زمعة : خرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال صلى الله عليه وسلم : لا ، لا ، لا ، ليصل للناس ابن أبى قحافة » . وله عن الحسن عن أبى بكرة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم : من رأى منكم رؤيا ؟ قلت : أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبى بكر ، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »، ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبى بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال « فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم » يعنى فساءه ذلك فقال « خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء ». وله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم . وله عن سمرة بن جندب رضى الله عنه « أن رجلا قال : يا رسول الله إنى رأيت كأن دلواً دليت من السماء ، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شرباً ضعيفاً ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء » . وروى

الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنى لأرى ما بقائى فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدى » وأشار إلى أبى بكر وعمر . حديث حسن . وله عن عائشة رضى الله عنهاقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره » . وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها وسئلت : من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلفه ؟ قالت:أبو بكر . فقيل لها : ثم من بعد أبى بكر ؟ قالت : عمر ، قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح .

وصفة بيعته رضى الله عنه بخلافة النبوة ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح ، فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .قالت: وقال عمر والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال : بأبى أنت وأُمى ، طبت حياً وميتاً . والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك . فلما تكلم جلس عمر رضى الله عنهما ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حىٌّ لا يموت وقال ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ وقال ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾ قال فنشج الناس يبكون .

قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ثم تكلم أبلغ الناس ، فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . فقال حباب : والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ولكن نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، إن قريشاً هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً ، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد ابن عبادة ، فقال عمر : قتله الله . زاد فى رواية : فما كانت من خطبتهما من خطبة

إلا نفع الله بها ، لقد خَوف عمر الناس وإنَّ فيهم النفاق ، فردَّهم الله بذلك ، ثم بصر أبو بكر الناس الهدى وعرَّفهم الحق الذى عليهم وخرجوا به يتلون ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — إلى — الشاكرين ﴾ .

وفيه أيضاً عن عمر رضى الله عنه من خطبته الطويلة قال : ثم إنه بلغنى أن قائلًا منكم يقول : والله لو مات عمر بايعت فلاناً . فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمت ، ألا إنها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرها . وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر . من بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا ، وإنه قد كان من خيرنا حين توفى الله نبينا صلى الله عليه وسلم . إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وخالف عنا على والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلًا صالحاً فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم ، فقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقال : لا عليكم أن لا تقربوهم ، اقضوا أمركم ، فقلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بنى ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ماله ؟ قالوا : يوعك . فلما جلسنا قليلًا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم ، وكنت زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر : على رسلك . فكرهت أن أُغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم منى وأوقر ، والله ما ترك كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها وأفضل منها ، حتى سكت فقال : ما ذكر فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم . فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها . كان والله أن أُقدم تُضرب عنقى ولا يقربنى ذلك من إثم أحب إلىّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلّا أن تسول إلىَّ نفسى عند الموت شيئاً لا أجده الآن . فقال قائل من

الأنصار : أنا جذيلها المحكك وعُذَيْقها المرجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقْتُ من الاختلاف ، فقلتُ : ابسط يدك يا أبا بكر . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة . فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . فقلت : قتل الله سعد بن عبادة . قال عمر : وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلًا منهم بعدنا ، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد ، فمن بايع رجلًا على غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو والذى بايعه تغرة أن يقتلا .

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى صائفة من المدينة ، قال : فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال : فداك أبى وأمى ، ما أطيبك حياً وميتاً ، مات محمد ورب الكعبة . فذكر الحديث . فانطلق أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يتعادان حتى أتوهم ، فتكلم أبوبكر فلم يترك شيئاً أُنزل فى الأنصار أوذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادى الأنصار» ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد « قريش ولاة هذا الأمر فبرُّ الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء . وله بإسناد جيد عن رافع الطائى رفيق أبى بكر الصديق فى غزوة ذات السلاسل قال : وسألته عما قيل فى بيعتهم فقال وهو يحدث عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأنصار وما ذكر به من إمامتى إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، فبايعونى لذلك وقبلتها منهم ، وتخوَّفتُ أن تكون فتنة بعدها ردَّة . وروى البخارى عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ، يريد بذلك أن يكون آخرهم ، فإن يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به ، به هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقدموا فبايعوه ، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة

بنى ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المنبر . قال الزهرى عن أنس بن مالك : سمعت عمر يقول يومئذ لأبى بكر : اصعد المنبر ، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس . وقال محمد بن إسحاق : حدثنى الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر رضى الله عنه على المنبر ، وقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا — يقول يكون آخرنا — وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له ، وإن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوِّمونى . الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوى عندى حتى أزيح علته إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله عز وجل ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله عز وجل إلا ضربهم بالذل ، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ماأطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. وروى البيهقى من طريق ابن خزيمة بإسناد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس فى دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره . قال فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم . وأخذ بيد أبى بكر وقال: هذا صاحبكم. فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار. قال فصعد أبو بكر المنبر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير قال فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين . فقال : لاتثريب ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام فبايعه. ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا، فدعا بعلى

ابن أبى طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين . قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه . وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ما تركناه صدقة » إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا المال ، وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالتها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك . قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها على بن أبى طالب ليلًا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها على . وكان لعلى رضى الله عنه من الناس وجهة حياة فاطمة رضى الله عنها ، فلما توفيت استنكر علىٌّ وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد — كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فقال عمر لأبى بكر : والله لا تدخل عليهم وحدك ، فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بى ، إنى والله لآتيهم . فدخل عليهم رضى الله عنه ، فتشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم قال : إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر ، وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر رضى الله عنه ، فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه قال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىَّ أن أصل من قرابتى ، وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الحق ، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته . فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما : موعدك العشية للبيعة . فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علىّ وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر إليه ، ثم استغفر وتشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه فعظم حق أبى بكر رضى الله عنه وأنه لم يحمله على

الذى صنعه نفاسة على أبى بكر ولا إنكار للذى فضله به ، ولكنا كنا نرى لنا فى الأمر نصيباً فاستبد علينا به فوجدنا فى أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون وقالوا : أصبت ، فكان المسلمون إلى على قريباً حين راجع الأمر بالمعروف . وهذا لا ينافى ما ذكر فى بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها ، ولفظة « لم يكن بايع تلك الأشهر » إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التى أثبتها أبو سعيد وغيره ، لأن الرجال فى مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النساء . وأيضاً فقد قدمنا مراراً أن مجرد النفى لا يكون علماً وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافى ، إذ فآية ما عند النافى أنه لا يعلم . ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشى ولم يبلغها حضوره صبحتها فى البيعة العامة . وإن كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد ما فهمه من البيعة الأخرى ظن أنه لم يبايع قبل ذلك فقال مصرحا بظنه « ولم يكن بايع تلك الأشهر ». وإنما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة رضى الله عنها لإزالة ما كان حصل من الوحشة والمشاجرة بسبب دعواها ، ويشهد لذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يفارق الصديق رضى الله عنه فى وقت من الأوقات ولا ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه ، وكان خروجه معه إلى ذى القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر فى حياة فاطمة رضى الله عنها فى الشهر الثالث من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الدارقطنى من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته ، أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال : إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً . فرجع . ورواه زكريا الساجى من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهرى أيضاً عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : خرج أبى شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادى القصة فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً . فرجع وأمضى الجيش . وفى الصحيح خروجهما إلى خارج المدينة وأن أبا بكر رضى الله عنه وجد الحسن بن على يلعب مع

الصبيان فحمله وهو يقول :

يا بأبى شبيه بالنبى   ليس شبيهاً بعلى

وعلى رضى الله عنه يضحك . ومن تدبر النصوص فى ذلك وإجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

وأما فضله فقال تبارك وتعالى ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾ وقال الله تبارك وتعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدَّق به ، أولئك هم المتقون ﴾ وقال ﴿ وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ حكى جماعة من المفسرين على أنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه . وفى الصحيحين من حديث الهجرة الطويل « فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : هذا الطلب ، قد لحقنا يا رسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله معنا » . وفيهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى بكر رضى الله عنه قال « قلت للنبى صلى الله عليه وسلم وأنا فى الغار : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » . وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم » ، وفى لفظ قال « كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبى بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم ».وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليهاالتفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكنى إنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله تعجباً وفزعا أبقرة تكلم ؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنى أؤمن به وأبو بكر وعمر ».وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما راع فى غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السبع ، يوم ليس لها راع غيرى . فقال الناس سبحان الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر ، وفى رواية لهما« ومن ثم أبو بكر وعمر » ولمسلم « وما هما ثم ».وفى

صحيح البخارى عن همام قال : سمعت عماراً يقول « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر » . وفيه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال «كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذأقبل أبو بكر أخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر ، فسلم وقال : يا رسول الله إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى علىَّ فأقبلت إليك ، فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ، ثم إن عمر رضى الله عنه ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر رضى الله عنه فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم . مرتين . فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ مرتين . فما أوذى بعدها — وفى رواية — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركو لى صاحبى ، هل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ إنى قلت يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت » . قال أبو عبد الله — هو البخارى — سبق بالخير . ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر : ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة . وقال : هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر » . وفيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أى الناس أحبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، فقلت : من الرجال ؟ فقال : أبوها . قُلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعد رجالا » . وفيه عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان فقلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين . وفيه عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد ما صنع

المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءتكم البينات من ربكم . وفيهما عن سعيد بن المسيب قال : أخبرنى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقلت : لألزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكونن معه يومى هذا ، قال فجاء المسجد فسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: خرج ووجه ههنا ، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع النبى صلى الله عليه وسلم وكف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً — يريد أخاه — يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يأت به ، فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فقلت له : ادخل وبشرك رسول الله بالجنة على بلوى تصيبك ، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر . قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم . وفيهما عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله

عليه وسلم صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم فقال « اثبت ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » . وللترمذى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر « أنت صاحبى على الحوض ، وصاحبى فى الغار » وقال حسن صحيح . وله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، ووافق ذلك عندى مالًا ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً . قال فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله . وأتى أبو بكر رضى الله عنه بكل ما عنده فقال : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسبقه إلى شيء أبداً » هذا حديث حسن صحيح . ولمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن فى امرئ إلّا دخل الجنة » والأحاديث فى الصديق كثيرة جداً ، قد أفردت بالتصنيف ، وفيما ذُكر كفاية فى التنبيه على ما وراءه ، وما أحسن ما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

إذا تذكرتَ شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها ... بعد النبى وأولها بما حملا
والتالى الثانى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدّق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً ... بأمر صاحبه الماضى وما انتقلا

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبى صلى الله عليه وسلم من حين بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله ، وتقدمه معه فى كل خير ، فأمر لا تدرك غايته ، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه ، وجمعهم عليه بلطفه ، فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته ، وقمع به كل عدوّ للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم إليه ، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين . حتى قيل : لم يبق يصلى إلا فى ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمى بالبحرين ، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعاً وكرهاً وأطفأ به كل فتنة فى أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلَّة على المؤمنين أعزَّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ الآيات . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن البصرى وقتادة : هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة وما نعى الزكاة . وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب ، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ، ومنع بعضهم الزكاة . وهمّ أبو بكر رضى الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله عز وجل » فقال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله لأقتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها . قال أنس بن مالك رضى الله عنه : كرهت الصحابة رضى الله عنهم قتال ما نعى الزكاة وقالوا أهل القبلة ، فتقلد أبو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده ، فلم يجدوا بداً من الخروج فى أثره . قال ابن مسعود رضى الله عنه : كرهنا ذلك فى الابتداء ، ثم حمدناه فى الانتهاء . قال أبو بكر ابن عياش : سمعت أبا حصين يقول : ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبى بكر رضى الله عنه ، لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة ، وكان قد ارتد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة ابن كعب العنسى ويلقب بالأسود ، وكان كاهناً مشعبذاً فتنبأ باليمن واستولى على بلاده ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض لحرب الأسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه قال رضى الله عنه : فأتى الخبر النبى صلى الله عليه وسلم من السماء فى الليلة التى قتل فيها ، فقال صلى الله عليه وسلم « قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك » قيل ومن هو ؟ قال « فيروز ، فاز فيروز » فبشر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود، وقبض النبى صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضى الله عنه . والفرقة الثانية بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ، وكان قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع محمد صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وكتب إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم « من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك » وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما » ثم أجاب « من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى مسيلمة الكذاب : أما بعد فإن الأرض لله يورثها من من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب فى جيش كثير حتى أهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم بن عَدىّ الذى قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديدة ، وكان وحشى يقول : قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الإسلام . والفرقة الثالثة بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد ، وكان طليحة آخر من ارتد وادَّعى النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأول من قوتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الردَّة ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد ، وأفلت طليحة فمر على وجهه هارباً نحو الشام ، ثم أنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

وارتد بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم ، ونصر دينه على يدى أبى بكر رضى الله عنه ، قالت عائشة رضى الله عنها : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأبَّ النفاق ونزل بأبى ما لو نزل بجبّار لهاضه . انتهى من تفسير البغوى رحمه الله ، وروى ابن أبى حاتم عن حسن البصرى ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال حسن : هو والله أبو بكر وأصحابه . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقى فى سننه وابن عساكر عن قتادة : قال الله تعالى هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنو من يرتدَّ منكم ﴾ وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل جؤاثى من عبد القيس . وقال الذين ارتدوا : نصلى الصلاة ولا نزكى ، والله لا تغصب أموالنا . فكلم أبو بكر فى ذلك ليتجاوز عنهم ، وقيل له : إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة . فقال : والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل ، ولو منعونى عقالًا مما فرض الله ورسوله لقاتلهم عليه ، فبعث الله عصائب مع أبى بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة . قال قتادة : فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وأصحابه ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم

ويحبونه ﴾ إلى آخر الآية . ولا ينافى هذا ما ورد من أنها نزلت فى أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال : لما أنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه ﴾ الآية ، قال عمر رضى الله عنه : أنا وقومى يا رسول الله ؟ قال « لا . بل هذا وقومه » يعنى أبا موسى الأشعرى . وأخرج ابن سعيد وابن أبى شيبة فى مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردوَيْه والحاكم وصححه البيهقى فى الدلائل عن عياض الأشعرى قال : لما نزلت ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال رسول الله « هم قوم هذا » وأشار إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه . وأخرج أبو الشيخ وابن مردوَيْه والحاكم فى جمعه لحديث شعبة والبيهقى وابن عساكر عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : تليت على النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فسوف يأتى الله بقوم ﴾ الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم « قومك يا أبا موسى الأشعرى ، أهل اليمن » . وأخرج ابن أبى حاتم فى الكنى والطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ وابن مردوَيْه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿ فسوف يأتى الله بقوم ﴾ الآية فقال « هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب » ، وأخرج البخارى فى تاريخه وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى الآية قال : هم أهل القادسية ، قلت : وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن ، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلًا عن غيرهم ، وكان بأس الناس الذي هم فيه ، كما رواه ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال : وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدى فيقول : يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً ، فإنما الفارسى تيس . وقد قتل رضى الله عنه أسواراً فارس الفرس وأبلى بلاء حسناً ، وكانت له اليد البيضاء يومئذ . وأخرج البخارى رحمه الله تعالى فى تأريخه عن القاسم ابن مخيمرة قال : أتيتُ ابن عمير فرحب بى ثم تلا ﴿ من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ الآية ثم ضرب على منكبى وقال : أحلف بالله أنه لمنكم أهل اليمن — ثلاثا — وكل هذا لا ينافى ما قدمناه من نزولها فى أبى بكر أولًا ، فأن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ ، وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود العنسى وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبى موسى وفيروز الديلمى وغيرهم من عمال النبى صلى الله عليه وسلم ، ونشب بين مؤمنهم وكافرهم قتال عظيم حتى قتل الله الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا

ظاهرين ، ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسى إلا فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، فإنه لم يزل يتابع الكتائب مدداً لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردَّتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاء فى أيام الردة والفتوح ، فحينئذ عاد المعنى إلى أبى بكر وأصحابه وهم من أصحابه ، وكل هذا فى شأن السبب لنزول الآية ، وإلا فهى عامة لكل مؤمن يحب الله ويحبه ويوالى فيه ويعادى فيه ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه وأول من تناولته الآية ، رضى الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين . وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب ، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وتفاصيل مواقفه العظام رضى الله عنه مشهورة مبسوطة فى كتب السيرة وغيرها ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر ، وكانت وفاته رضى الله عنه فى يوم الاثنين عشية وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يصلى بالمسلمين ، وفى أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا له وأطاعوا . وكان عمر الصّديق رضى الله عنه يوم توفى ثلاثاً وستين سنة السن الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جمع الله بينهما فى التربة كما جمع بينهما فى الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه ، ومن جميع أبواب الجنة دعاه ، وقد فعل ولله الحمد والمنة .

(ثانيه فى الفضل بلا ارتياب ... الصادع الناطق بالصواب)
(أعنى به الشهم أبا حفص عمر ... مَنْ ظاهَرَ الدينَ القويم ونَصر)

(**الصارم المنكى على الكفار وموسع الفتوح فى الأمصار**)

(**ثانيه**) أى ثانى أبى بكر (**فى الفضل**) على الناس بعده فلا أفضل منه ، وكذا هو ثانيه فى الخلافة بالإجماع (**بلا ارتياب**) أى بلا شك (**الصادع**) بالحق المجاهر به الذى لا يخاف فى الله لومة لائم ، ومنه قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فكان عمر رضى الله عنه كذلك ، وبه سماه النبى صلى الله عليه وسلم فاروقاً (**الناطق بالصواب**) والذى وافق الوحى فى أشياء قبل نزوله كما سيأتى .

(**أعنى به**) أى بهذا النعت (**الشهم**) الذكى المتوقد السيد المطاع الحكم القوى فى أمر الله الشديد فى دين الله (**أبا حفص عمر**) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب العدوى ثانى الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبى بكر رضى الله عنهما وأول من تسمى أمير المؤمنين ، (**الصارم**) السيف المسلول (**المنكى**) من النكاية (**على الكفار**) لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية كما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه (**وموسع**) من الاتساع (**الفتوح**) فتوح الإسلام (**فى الأمصار**) فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مزَّق الله به ملكهم كل ممزق ، ثم أوغل فى بلاد الترك كما هو مبسوط فى كتب السير وغيرها . تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريباً مع ذكر أبى بكر رضى الله عنه وكثير من فضائله أيضاً التى شارك فيها أبا بكر . وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة ، وسمعت خشخشة فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ، ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمر ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك ، فقال عمر : بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار ؟ ». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فولَّيت مدبراً . فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ » . وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أُتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إنى لأرى الرى يجرى فى أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب . قالوا : فما أوَّلت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم » . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا أنا نائم

رأيت الناس عرضوا علىَّ وعليهم قمص ، فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك . وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره . قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين » . وعن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال « استأذن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده نسَوة من قريش يكلِّمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته صلى الله عليه وسلم ، فلما استأذن عمر ابن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . فقال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله . فقال عمر: يا عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ايها يا ابن الخطاب ، والذى نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلّا سلك فجّاً غيرفجك» . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن من أمتى منهم أحد فعمر » ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ، ثم قام يصلى عليه ، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلى عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : إنما خيرنى الله — أو أخبرنى الله — فقال ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ فقال : سأزيده على سبعين . قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه ثم أنزل الله عليه ﴿ ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تَقُم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ متفق على جميعها . وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال « لما مات عبد الله بن أبىّ بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتُ إليه فقلت : يا رسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا كذا وكذا ، قال أعدد عليه قوله . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أخر عنى يا عمر ، فلما أكثرت عليه قال : إنى خيرت فاخترت لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له

لَزدت عليها . قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبداً — إلى قوله — وهم فاسقون ﴾ . قال : فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم » . وفى صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنه فى قصة أسارى بدر بطوله قال ابن عباس « فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : هم يا نبى الله بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة علي الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تضرب أعناقهم فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكننى من فلان — نسيباً لعمر — فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان ، قلت : يا رسول الله أخبرنى من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى عرض علىَّ فى أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض علىَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة — شجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم — وأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض — إلى قوله — فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم . وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر رضى الله عنه : وافقت الله فى ثلاث — أو وافقنى الله فى ثلاث — قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًّى فأنزل الله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى ﴾ ، وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب ، قال وبلغنى معاتبة النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيراً منكن ، حتى أتيت إحدى نسائه قالت : يا عمر ما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات ﴾.وعنه رضى الله عنه أن رجلًا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟

قال : لا شيء ، إلا أنى أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : أنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرحنا بشيء كما فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » ، قال أنس : فأنا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم . وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أحد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وعن المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمر رضى الله عنه جعل يألم ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما وكأنه يجزعه : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض . ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض . ثم صحبت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون . قال : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى من به تعالى علىَّ ، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فإنما ذلك من الله عز وجل ذِكْره منَّ به علىَّ ، وأما ما ترىْ من جزعى فهو من أجلك وأجل صاحبك ، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه . وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وضع عمر على سريره ، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل آخذ منكبى فإذا على رضى الله عنه فترحم على عمر وقال : ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك . وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى مع صاحبيك ، وحسبك أنى كنت أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول كثيراً : ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر . زاد مسلم فى آخره أيضاً : فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما . والأحاديث فى فضله كثيرة جداً قد أفردت بالتصنيف ، وفيما ذكرنا كفاية .

وكان قصة استشهاده ما ذكره البخارى رحمه الله تعالى قال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان ابن حنيف وقال : كيف فعلتما ؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالا : حملناها أمراً هى له مطيقة ، ما فيها كبير فضل ، قال : أنظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق . قالا : لا . فقال عمر : لئن سلمنى الله تعالى لأدعن أرامل أهل

العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبداً . قال فما أتت عليه رابعة حتى أُصيب رضى الله عنه . قال إنى لقائم ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب » وكان إذا مرَّ بين الصفين قال استووا ، حتى إذ لم يرَ فيهن خللًا تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلَّا أن كبرَّ حتى سمعته يقول : قتلنى — أو أكلنى — الكلب حين طعنه ، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالًا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى وأما نواحى المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رضى الله عنه وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس ، انظر من قتلنى . فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة ، فقال : الصنع ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدَّعى الإسلام ، فقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة . وكان العباس أكثرهم رقيقاً . فقال : إن شئتَ فعلتُ ، أى إن شئت قتلنا . قال : كذبت ، بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم . فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . فقائل يقول : لا بأس ، وقائل يقول : أخاف عليه . فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه ، فعلموا أنه ميت ، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليتَ فعدَلتَ ، ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفاف ، لا علىَّ ولا لى . فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض ، قال : ردوا علىَّ الغلام ، قال : ابن أخى ارفع ثوبك ، إنه أبقى لثوبك ، وأتقى لربك . يا عبد الله بن عمر أنظر ما علىَّ من الدَّين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه ، قال : إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم ، وإلا فسل بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعد إلى غيرهم ، فأدِّ عنى هذا المال ، وانطلق إلى عائشة فقل : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام — ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً — وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فسلم

واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريد لنفسى ولأوثرن به اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين ، أذِنَتْ . قال : الحمد لله . ما كان من شيء أهمَّ إلىَّ من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملونى ، ثم سَلِّم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذِنت لى فأدخلونى ، وإن ردَّتنى ردونى إلى مقابر المسلمين . وجاءت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها والنساء تسير معها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذنت الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل ، فقالوا أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف . قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر — أو الرهط — الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن ، وقال : ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء — كهيئة التعزية له — فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك — وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . وقال : أُوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ؛ وأُوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوَّأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم . وأُوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم . فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى . فسلم عبد الله بن عمر قال : يستأذن عمر بن الخطاب . قالت : أدخلوه . فأُدخل . فوضع هنالك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على ، فقال طلحة : قد جعلت أمرى إلى عثمان . وقال سعد : قد جعلتُ أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه . فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلىَّ والله على أن لا آلو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى

الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه وبايع له على رضى الله عنه ، وولج أهل الدار فبايعوه ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكانت مدة خلافة الفاروق رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر ، وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر ، وهى السن التى توفى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وبويع لعثمان فى ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين ، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم على بن أبى طالب ثم بقية أصحاب الشورى ثم بقية أهل الدار ثم بقية المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين .

(ثالثهم عثمان ذو النورين ذو الحلم والحيا بغير مين)
(بحر العلوم جامع القرآن منه استحت ملائك الرحمن)
(بايع عنه سيد الأكوان بكفه فى بيعة الرضوان)

(**ثالثهم**) فى الخلافة والفضل كما فى حديث ابن عمر السابق (**عثمان**) بن عفان ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة الصديق إياه ، وزوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ابنته رضى الله عنها ، وهاجر الهجرتين وهى معه ، وتخلف عن بدر لمرضها . وضرب له النبى صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، وبعد وفاتها زوَّجه النبى صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى (**ذو النورين**) لأنه تزوج ابنتى نبى واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضى الله عنه . (**ذا الحلم**) التام الذى لم يدركه غيره (**والحياء**) الإيمانى الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الإيمان » وقال « أشدكم حياء عثمان » . (**بحر العلوم**) الفهم التام فى كتاب الله تعالى حتى إن كان ليقوم به فى ركعة واحدة فلا يركع إلا فى خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن ، (**جامع القرآن**) لما خشى الاختلاف فى القرآن والخصام فيه فى أثناء خلافته رضى الله عنه فجمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التى درسها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنى حياته .

وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان فى بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبى الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبى موسى وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قرأته على قراءة غيره وربما خطأه الآخر أو كفره فأدى ذلك إلى خلاف شديد وانتشار الكلام السّيء بين الناس فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف فى كتابها كاختلاف اليهود والنصارى فى كتبهم ، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس فى القراءة ، فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم فى ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس فى سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه ، لما رأى فى ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف ، فاستدعى بالصحف التى كان أمز زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفى صارت إلى حفصة أم المؤمنين . فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصارى أن يكتب وأن يملى عليه سعيد بن العاص الأموى بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وأمرهم إذا اختلفوا فى شيء أن يكتبوه بلغة قريش ، فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً ، وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً ، وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً ، ويقال لهذه المصاحف « الأئمة » ، ثم عمد إلى بقية المصاحف التى بأيدى الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف . وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبى داود السجستانى عن سويد بن غفلة قال : قال لى على رضى الله عنه حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته ، وروى البيهقى عنه رضى الله عنه قال : قال على رضى الله عنه : أيها الناس إياكم والغلو فى عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلا عن ملإ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو وليت مثل ما ولى لفعلت مثل الذى فعل .

(**منه استحت ملائك الرحمن**) كما فى الصحيح عن عطاء وسليمان بن يسار وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً فى بيتى كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه ، قال محمد —

يعنى ابن أبى حرملة الراوى عنهم — ولا أقول ذلك فى يوم واحد فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلن تهتش له ودخل عمر ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك . فقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » . وعن سعيد بن العاص أن عائشة رضى الله عنها وعثمان رضى الله عنه حدثاه « أن أبا بكر رضى الله عنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة ، فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : اجمعى عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت . فقالت عائشة : يا رسول الله مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عثمان رجل حيى وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىَّ فى حاجته » . (**بايع عنه**) حين ذهب لمكة فى حاجة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين (**سيد الأكوان**) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بكفه**) ضرب بها على الأخرى وقال : هذه لعثمان (**فى بيعة الرضوان**) لما غاب عنها فيما ذكرنا ، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب من يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعزبها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظِّماً لحرمته . فخرج عثمان رضى الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان رضى الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقال لعثمان رضى الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان رضى الله عنه قد قتل ، قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى

بكر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان رضى الله عنه قد قتل « لا نبرح حتى نناجز القوم » ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر . فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بنى سلمَة فكان جابر رضى الله عنه يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى كان من أمر عثمان باطل . وفى الصحيحين عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : ياابن عمر ، إنى سائلك عن شىء فحدثنى عنه ، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد ، قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ، فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال أُبيِّن لك ، أما فراره يوم أُحُد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان . فقال له ابن عمر رضى الله عنه : اذهب بها الآن معك . وروى البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه خيراً من أيديهم لأنفسهم ، ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح . وفى الصحيحين عن عروة أن عبد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما منعك أن تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه ، فقصدت لعثمان حتى خرج

إلى الصلاة ، قلت : إن لى إليك حاجة وهى نصيحة لك . قال : يا أيها المرء أعوذ بالله منك . فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان ، فأتيته فقال : ما نصحيتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنتَ ممن استجابَ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فهاجرتَ الهجرتين ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت هديه . وقد أكثر الناس فى شأن الوليد . قال : أدركتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلتُ : لا ، ولكن خلص إلىَّ من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها . قال : أما بعد فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين — كما قلتَ — وصحبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته ، فوالله ما عصيته ، ولا غششته ، حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استُخلفت ، أفليس لى من الحق مثل الذى لهم ؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ أما ما ذكرتَ من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلده . فجلده ثمانين .

وفى المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف : انطلقنا حُجَّاجاً فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن فى منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس فى المسجد . فانطلقت أنا وصاحبى ، فإذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد ، قال فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فإذا على بن أبى طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، قال فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى . فقال : ههنا على ؟ قالوا : نعم ، قال : ههنا الزبير ؟ قالوا : نعم ، قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : ههنا سعد بن أبى وقاص ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له » فابتعته ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى قد ابتعته ، فقال « اجعله فى مسجدنا وأجره لك » ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى قد ابتعتها — يعنى بئر رومة —

قال : اجعلها سقاية للمسلمين ، ولك أجرها » ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فى وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال « من يجهِّز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالًا ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال : اللهم اشهد . اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ثم انصرف رضى الله عنه .

وروى أحمد والترمذى والنسائى عن ثمامة بن جزء القشيرى قال : شهدتُ الدار يوم أصيب عثمان ، فاطلع عليه اطلاعه ، فقال : ادعوا لى صاحبيكم اللذين ألَّباكم علىّ ، فدعيا له ، فقال : أنشدكما الله ، تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال « من يشترى هذه البقعة من خالص ماله فيكون كالمسلمين وله خير منها فى الجنة » فاشتريتها من خالص مالى فجعلتها بين المسلمين ، وأنتم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خير منها فى الجنة » فاشتريتها من خالص مالى ، وأنتم تمنعونى أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أنى صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم » . وقال الترمذى : حسن .

وله عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال : شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله علىَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال : يا رسول الله علىّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله . ثم حض على الجيش ، فقام عثمان فقال : علىَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل من على المنبر وهو يقول « ما على عثمان ما عمل بعد هذا ، ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وله عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ، فقال عبد الرحمن : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » (مرتين) حسَّنَهُ الترمذى .

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف فى قصة توعدهم إياه بالقتل ، قال : ولم يقتلوننى ؟ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس » . فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلًا بدينى منذ هدانى الله له ، ولا قتلت نفساً . فيم يقتلوننى .

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأينا إقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى ، فكان من آخر كلمة أن ضرب على منكبه وقال « يا عثمان ، إن الله تعالى عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى » (ثلاثاً) .

وروى أحمد والترمذى وقال : حسن غريب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال : « يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً » فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان .

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنكم تلقون بعدى فتنة واختلافاً — أو قال اختلافاً وفتنة — فقال قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان بذلك » .

وله عن مرة البهزى قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرق المدينة فقال « كيف تصنعون فى فتنة تثور فى أقطار الأرض كأنها صياصى البقر » قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال « عليكم هذا وأصحابه ، أو اتبعوا هذا وأصحابه » قال فأسرعت حتى عييت ، فأدركت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال « هذا » فإذا هو عثمان بن عفان ، فقال هذا وأصحابه يذكره .

وروى الترمذى فى جامعه عنه رضى الله عنه قال : لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلمت ، وذكر الفتن فقربها ، فمر رجل متقنع فى ثوب فقال « هذا يومئذ على الهدى » فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان . فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال « نعم » ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفى الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها وعظمها ، قال : ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال : هذا يومئذ على الحق . قال فانطلقت مسرعاً — أو محضراً — وأخذت بضبعيه فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا .

وروى أبو داود الطيالسى بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان معتجراً يبايع الناس .

وقد تقدم من الأحاديث التى تشير إلى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضى الله عنهما ، وفى فضائله منفرداً ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة ، وفيما أشرنا إليه كفاية .

وكان الاعتداء على حياته رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ، وكانت خلافته ثنتى عشرة سنة إلا إثنى عشر يوماً ، لأنه بويع له فى مستهل المحرم سنة أربع وعشرين . وأما عمره رضى الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة . والله أعلم .

(والرابع ابن عم خير الرسل — أعنى الإمام الحق ذا القدر العلى)
(مبيد كل خارجى مارق — وكل خب رافضى فاسق)
(من كان للرسول فى مكان — هارون من موسى بلا نكران)
(لا فى نبوّة فقد قدمت ما — يكفى لمن من سوء ظن سلما)

(**والرابع**) فى الفضل والخلافة (**ابن عم**) محمد صلى الله عليه وسلم (**خير الرسل**) أكرمهم على الله عز وجل (**أعنى**) بذلك (**الإمام الحق**) بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة (**ذا**) صاحب (**القدر العلى**) الرفيع ، وهو أمير المؤمنين أبو السبطين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه وأرضاه . كان أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم أخاً شقيقاً لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو ، كفل أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه ، وهو مع ذلك على دين قومه ، ولله فى ذلك حكمة ، وقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم على هداية

عمه كل الحرص ، ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه وهو يقول : على ملة عبد المطلب ، وأنزل الله تعالى فى ذلك تعزية لنبيه ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » . فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ الآيات . وفى صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال « يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشىء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : نعم ، هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » . وفى لفظ « وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح » ، وفيه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » . وفيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » وكفل النبى صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه وهو صغير ، فلما بعث آمن به وهو ابن ثمان سنين ، وهو أول من آمن من الصبيان ، كما أن أبا بكر رضى الله عنه أول من آمن به من الرجال ، وخديجة رضى الله عنها أول من آمن به من النساء ، وورقة بن نوفل رضى الله عنه أول من آمن به من الشيوخ ، وزيد بن حارثة رضى الله عنه أول من آمن به من الموالى ، وبلال رضى الله عنه أول من آمن به من الأرقاء صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين . وكان على رضى الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فأمر علياً أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارة . وهو الذى فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا فى حديث الهجرة . وهو الذى أدى الأمانات عنه بعدها . وهو الذى برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول : أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة . وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتى . وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق . وفتح الله على يديه يوم خيبر بعد قتله فارسهم مرحب . وكان مع حماة النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الموسم ، وشريكه فى هديه فى حجة الوداع ، وخليفته فى أهله فى غزوة تبوك ، وصاحب تجهيزه حين توفى مع

جماعة من أهل البيت رضى الله عنهم . وقد ثبت له فى الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم عليه ما لم يقل قبحهم الله .

(**مبيد**) أى مدمر (**كل خارجى**) نسبة إلى الخروج من الطاعة ، ولكن صار هذا الاسم علماً على الحرورية الذين كفروا أهل القبلة والمعاصى وحكموا بتخليدهم فى النار بذلك ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم ، حتى على بن أبى طالب وعمار بن ياسر وخباب وأقرانهم رضى الله عنهم ، ثم صار هذا الاسم عاماً لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقتهم الخائبة ، وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون . فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما فى الحديث « أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بهما أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » . ومنها أن من أكبر الكبائر التى يُكفِّرون بها المؤمنين قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وهم أسرع الناس فى ذلك يقتلون أهل الإيمان ويدَعون أهل الأوثان . ومنها أن المؤمن وإن عمل المعاصى فهو لا يستحلها وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه له وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه ، وهم يقتلون النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، ويأخذون الأموال التى حرم الله أخذها إلا بالحق ، ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها ، والذى يعمل الكبيرة مستحلًا لها أولى بالكفر ممن يعملها مقراً بتحريمها بل لا مخالف فى ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام ، وإنما توقف الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنهم كانوا يتأوَّلون فحكموا أنهم بغاة .

(**مارق**) اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه ، وسمى الخوارج « مارقة » لقول النبى صلى الله عليه وسلم فيهم « يمرقون مِنَ الدين كما يمرق السهم من الرمية » وقوله « تمرق مارقة » الحديث . ففى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة منصرفه من حنين ، وفى ثوب بلال فضة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال : ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى

أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » . وفيه عن أبى سعيد فى قصة الذهيبة « فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال : اتق الله يا محمد ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن يطع الله إن عصيته ؟ أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟ قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم فى قتله — يرون أنه خالد بن الوليد — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من ضئضئ هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ويدَعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وفى لفظ « ثمود » وفى لفظ « فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله ائذن لى فيه أضرب عنقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجد فيه شىء وهو القدح ، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شىء ، سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البَضْعة تَدَرْدَر ، يخرجون على حين فرقة من الناس . قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد ، فأتى به حتى نظرت إليه على نظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعت » . وفيه عنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالق قال « هم شر الخلق ، أو من أشر الخلق ، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » قال فضرب النبى صلى الله عليه وسلم لهم مثلًا — أو قال قولًا — الرجل يرمى الرمية أو قال الفوق فينظر فى النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر فى النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة . قال قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وفيه عنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق — وفى رواية — يكون فى أمتى فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق . وفى لفظ قال قال صلى الله عليه وسلم « تمرق مارقة فى فرقة من الناس ، فيلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق » . وفى رواية « يخرجون على فرقة مختلفة ، يقتلهم أقرب

الطائفتين من الحق » . وفيه عن سويد بن غفلة قال : قال على رضى الله عنه « إذا حدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخرَّ من السماء أحب إلىَّ من أن أقول عليه ما لم يقل ، وإذا حدثكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » وفيه عن عبيدة عنه رضى الله عنه قال « ذكر الخوارج فقال : فيهم رجل مخدج اليد — أو مودَن اليد ، أو مودون اليد — لولا أن تطروا لحدثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . قال قلت : أنت سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة » . وفيه عن زيد بن وهب الجهنى أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع على رضى الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال على رضى الله عنه : أيها الناس إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء ، يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لا تكلوا عن العمل . وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعيرات بيض » فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ؟ والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا فى سرح الناس ، فسيروا على اسم الله » ، قال سلمة بن كهيل فنزلنى زيد بن وهب منزلاً حتى مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحّشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم ، قال وقتل بعضهم على بعض ، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان . فقال على رضى الله عنه : التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه . فقام على رضى الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم ، فوجدوه مما يلى الأرض فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله ، قال فقام إليه عبيدة السلمانى فقال :

يا أمير المؤمنين ، الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أى والله الذى لا إله إلا هو . حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له » . وفيه عن عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع على بن أبى طالب رضى الله عنه قالوا : لا حكم إلا لله ، قال على : كلمة حق أريد بها باطل . إن رسول الله وصف لنا وإنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء ، يقولون الحق بألسنتهم ولا يجوز هذا منهم — وأشار إلى حلقه — من أبغض خلق الله إليه ، منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى . فلما قتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أنظروا ، فنظروا فلم يجدوا شيئاً ، فقال : ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت — مرتين أو ثلاثاً — ثم وجدوه فى خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه ، قال عبد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول على رضى الله عنه فيهم . وفيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بعدى من أمتى قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة » ومثله عن رافع بن عمر الغفارى رضى الله عنه . وفى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة ، قوم يحبون القتل ويسيئون الفعل ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال : التحليق » . وله عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيماهم التحليق والتسبيد ، فإذا رأيتموهم فأيتموهم » قال أبو داود : التسبيد استئصال الشعر ، والأحاديث فى ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية .

(و) مبيد (**كل خب رافضى فاسق**) الخب الخدّاع الخائن ، والرافضى نسبة إلى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة ، سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وزعموا أنهما ظلما علياً واغتصبوه الخلافة ومنعوا فاطمة رضى الله عنها فدك ، وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة . وهم أقسام كثيرة لا كثرهم الله تعالى ، أعظمهم غلوا وأسوأهم قولًا وأخبثهم اعتقاداً بل

وأخبث من اليهود والنصارى هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى قبحه الله ، كانوا يعتقدون فى على رضى الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى فى عيسى عليه السلام ، وهم الذين أحرقهم على رضى الله عنه بالنار ، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما فى صحيح البخارى والمسند وأبى داود والترمذى والنسائى عن عكرمة رضى الله عنه قال : أتى على رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » . حكى عن أبى المظفر الإسفراينى فى الملل والنحل أن الذين أحرقهم على رضى الله عنه طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة . وتفصيل ذلك ما ذكره فى الفتح من طريق عبد الله بن شريك العامرى عن أبيه قال: قيل لعلى رضى الله عنه إن هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم: ويلكم ماتقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، قال : ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابنى إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبنى . فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا . فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام ، فقال : أدخلهم ، فقالوا كذلك ، فلما كان الثالث قال : لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك ، فأمر على رضى الله عنه أن يخدَّ لهم أخدود بين المسجد والقصر ، وأمر بالحطب أن يطرح فى الأخدود ويضرم بالنار ثم قال لهم : إنى طارحكم فيها أو ترجعوا . فأبوا أن يرجعوا ، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال :

إنى إذا رأيت أمراً منكراً ... أوقدت نارى ودعوت قنبرا

قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح ، ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا على ، وهم النصيرية الذين يقول شاعرهم الملعون قبحه الله :

أشهد ألا إله إلا ... حيدرة الأذرع البطين
ولا سبيل إليه إلا ... محمد الصادق الأمين
ولا حجاب عليه إلا ... سلمان ذو القوة المتين

ومنهم من يدعى فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من يدعى فيه العصمة ، ويرى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان باطلة ، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله

ومنهم من يدعى أنه رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة .

ومنهم من يدعى أنه وصىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُمته ، وأنه عهد إليه مالم يعهده إلى غيره وبلغه ما كتمه الناس ، وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة .

وأما الزيدية الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن على وأتباعه فهؤلاء لا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة ، ولكنهم يفضلون علياً رضى الله عنه ويقدمونه فى الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضى الله عنه ويحطون على معاوية غفر الله له . هذا الذى وقفنا عليه فى بعض رسائلهم ، ثم رأيت فى بعضها السكوت عن أبى بكر وعمر ، فلا يذكرونهما بخير ولا شر ، ولا بخلافة ولا غيرها ، ثم يحصرون الخلافة فى على رضى الله عنه وذريته ، ففرقة تدَّعى عصمتهم ، وأخرى لا تدَّعى ذلك . والمقصود أنهم فرق كثيرة متفاوتون فى أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخفهم بدعة الزيدية ، هذا فى شأن أهل البيت طهرهم الله تعالى . وأما فى مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم ما دهى غيرهم من الناس ، ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف والجبائى وأشباهه ، والزيدية عمدتهم فى تفسير القرآن كشاف الزمخشرى وقد شحنه بقول القدرية المعتزلة ، وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله ، ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالاتهم كتب المقالات . هذا وقد قال على رضى الله عنه فى تفضيل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ما قدمناه فى الصحيح ، وفى كتاب السنة عن علقمة فى خطبة على رضى الله عنه على منبر الكوفة : ألا إنه بلغنى أن قوماً يفضلوننى على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولو كنت تقدمت فى ذلك لعاقبت فيه ، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم . من قال شيئاً من ذلك فهو مفتر ، عليه ما على المفترى . وخير الناس كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ، ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضى الله فيها ما شاء . وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى ، لأنه رضى الله عنه وكرم الله وجهه كان يجهر به ويظهره فى المحافل وعلى المنابر ، ويذم الرافضة كثيراً ، وقد جلد من قيل له إنه تكلم فى عرض أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جلده مائة ، وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضى الله عنه .

(**من كان**) بمعنى صار (**للرسول**) صلى الله عليه وسلم (**فى مكان**) أى منزلة (**هارون من موسى**) عليهما السلام فى الاستخلاف ، فموسى استخلف هارون فى مدة الميعاد ، ومحمد صلى الله عليه وسلم استخلف عليا فى غزوة تبوك ، ففى الصحيحين عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » ؟ وفيها من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف علياً رضى الله عنه ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه ليس بنبى بعدى » هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف فى أهله فقط لا فى النبوة كمشاركة هارون لموسى فيه إذ يقول الله تعالى لموسى ﴿ أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ﴾ ، وقال لهما ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك ﴾ ولهذا قلنا فى المتن (**لا فى نبوة**) لمنزلة هارون من موسى فيها ، فلا تتوهم ذلك من اقتصارى على الرواية الأولى ، (**فقد قدمت**) فى فصل النبوة (**ما يكفى**) فى هذا الباب (**لمن من سوء ظن**) بأخيه المسلم (**سلما**) وهو قولى :

(وكل من من بعده قد ادَّعى نبوة فكاذب فيما ادَّعى)

وما بعده ، وفى الصحيحين فى تفسير قول الله تعالى ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ عن قيس بن عدى عن أبى ذر رضى الله عنه إنه كان يقسم فيها أن هذه الآية نزلت فى حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه ، برزوا فى يوم بدر . وفيهما عنه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت ﴿ هٰذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . وفيهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر « لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكى عينيه ، قال : فأرسلوا إليه . فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال على : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : انفذ على رسلك

حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم » ، وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصراً ، ونحوه عند مسلم أيضاً . وفيهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال : هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر . قال : ماذا يقول له ؟ قال : يقول أبو تراب ؟ فضحك وقال : والله ما سماه إلا النبى صلى الله عليه وسلم وما كان له اسم أحب إليه منه ، فاستطعمت الحليب سهلا وقلت : يا أبا العباس كيف ؟ قال « دخل على رضى الله عنه على فاطمة ، ثم خرج فاضطجع فى المسجد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين ابن عمك ؟ قالت : فى المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول : اجلس ياأباتراب مرتين » وفى رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال «استعمل على المدينة رجل من آل مروان ، قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً ، قال فأبى سهل فقال له : أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب ، فقال سهل : ما كان لعلى اسم أحب إليه من أبي تراب ، وإن كان ليفرح إذا دعى به . فقال له : أخبرنا عن قصته أسمى أبا تراب فذكره » . وفى صحيح البخارى عن سعيد بن عبيدة قال « جاء رجل إلى ابن عمر رضى الله عنهما فسأله عن عثمان ، فذكر من محاسن عمله وقال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن على فذكر محاسن عمله وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : لعل ذاك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق واجهد على جهدك » . وفيهما عن ابن أبي ليلى قال : حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم سبى ، فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة رضى الله عنه فأخبرتها ، فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم ، فقال : على مكانكما . فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال : ألا أعلمكما خيراً مما سألتمانى ؟ إذ أخذتما مضاجعكما ؟ تكبران أربعا وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم » وفى البخارى عن ابن سيرين عن عبيدة عن على رضى الله عنه قال « اقضوا كما كنتم تقضون ، فإنى أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى . فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن على رضى الله عنه

الكذب » . قلت وأكثر ما يكذب على على رضى الله عنه الرافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من الصحابة ، فيسندون ذلك إليه رضى الله عنه وهو برئ منهم ، وهم أعدى عدو له . وفى الصحيحين من طرق عنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكذبوا علىّ فإنه من كذب علىَّ فليلج النار » . وفى فضائله رضى الله عنه من الأحاديث الصحاح والحسان ما يغنى عن أكاذيب الرافضة ، وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها . وفى صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال : أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت فثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلىَّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وقد خلفه فى مغازيه فقال له على رضى الله عنه : يا رسول الله خلفتنى مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى ؟ وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ، قال فتطاولنا لها قال : ادعوا لى علياً ، فأتى به أرمد فبصق فى عينيه ودفع إليه الراية ليلة فتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال « اللهم هؤلاء أهلى » . وفى صحيح مسلم عن زر قال : قال على رضى الله عنه : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبى صلى الله عليه وسلم إلىَّ أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق . والأحاديث فى فضله كثيرة جداً ، وقد تقدم الحديث فى الإشارة إلى خلافته رضى الله عنه فى رؤيا الرجل الصالح الدلو التى شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم جاء على وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شىء ، وكان تأويل ذلك ما أصابه رضى الله عنه من اختلاف الناس عليه والفتن الهائلة والدماء المهرقة والأمور الصعاب والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان ، وكان غالبهم منافقين ، وقليل منهم من أبناء الصحابة مغررون ، فحصل من ذلك فى يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها .

فأما وقعة الجمل فكانت بمحض فعل السبئية قبحهم الله تعالى ، ليس باختيار على رضى الله عنه ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضى الله عنهم ، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة ، فتواطأ أهل الفتنة ، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين وينشبوا

الحرب بين الفئتين من الغلس ، فثار الناس من نومهم إلى السلاح فلم يشعر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالرءوس تندر والمعاصم تتطاير ما يدرون ما الأمر حتى عقر الجمل وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنما أنشب أهل الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرة عليهم وأخذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب ؛ فقالوا نشغلهم بأنفسهم ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وأما فى قتاله أهل الشام فكانوا هم مع معاوية ، وكان هو رضى الله عنه متأولًا يطلب بدم عثمان ويرى أنه وليه وإن قتلته فى جيش علي ، فكان معذوراً فى خطئه بذلك ، وأما على رضى الله عنه فكان مجتهداً مصيباً وفالجاً محقاً يريد جمع كلمة الأمة حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتن وطفئت نارها أخذ بالحق من قتلة عثمان ، وكان رضى الله عنه أعلم بكتاب الله من المطالبين بدم عثمان ، وكان السبئية يخافونه أعظم من خصمائه ، وذلك الذى حملهم على ما فعلوه يوم الجمل ، فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطأوا وعلى رضى الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحق ويفيئوا إلى أمر الله ، ولهذا كان أهل بدر المَوجودون على وجه الأرض كلهم فى جيشه وعمار قتل معه رضى الله عنه كما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد فى بناء المسجد ، فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عماراً تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف وإلى طاعة الإمام التى هى من أسباب دخول الجنة ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التى هى من أسباب دخول النار ، وكان على رضى الله عنه أسعد منهم وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم تقتلهم أولى الطائفتين بالحق كما قدمنا .
وفى سنن أبى داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بعثنى عمر إلى الأسقف[1] فدعوته فقال له عمر : وهل تجدنى فى الكتاب ؟ قال : نعم . قال : كيف تجدنى ؟ قال : أجدك قرناً ، فرفع عليه الدرة فقال : قرن مه ؟ فقال : قرن حديد ، أمين شديد . قال : كيف تجد الذى يجئ من بعدى ؟ فقال : أجده خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته ، قال عمر : يرحم الله عثمان (ثلاثاً) . فقال : كيف تجد

(١) لعله يريد كعب الأحبار

الذى بعده ؟ قال : أجده صدأ حديد ، فوضع عمر يده على رأسه فقال : يا دفراه يا دفراه ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ، ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق » . وكان الأمر كما أخبر ، وكان رضى الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدى محمد صلى الله عليه وسلم مجتهد فى جمع شمل الأمة واطفاء الفتن والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته رضى الله عنه الشقى ابن ملجم الخارجى قبحه الله وقد فعل ، وذلك يوم الجمعة فى وقت الفجر وهو يقول : الصلاة الصلاة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة ، فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال ، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع . وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبى عبد الرحمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تكون بعد ذلك ملكاً » قال سفينة : فخذ سنتى أبى بكر وعشر عمر واثنتى عشرة عثمان وست على رضى الله عنهم أجمعين . قلت : سفينة رضى الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب فى حذف الكسور فى الحساب ، وعلى ما قدمنا ضبطه فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن على رضى الله عنه ، وهى ستة أشهر ، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وولى معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى « عام الجماعة » ، وكان معاوية رضى الله عنه أول ملوك الإسلام وخيرهم ، وروى الإمام أحمد عن على رضى الله عنه قال : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ما شاء الله . وفى رواية : يقضى الله فيها ما يشاء . وله عنه رضى الله عنه قال : ليحبنى قوم حتى يدخلوا النار فى حُبِّى ،وليبغضنى قوم حتى يدخلوا النار فى بغضى . وله عنه رضى الله عنه قال : يهلك فىَّ رجلان مفرط غال ، ومبغض قال . وله عنه قال : يهلك فىَّ رجلان محب مفرط ومبغض مفتر . وله عن الشعبى عن علقمة قال : أتدرى ما مثل علىّ فى هذه الأمة ؟ قال قلت : وما مثله ؟ قال : مثله كمثل ابن مريم ، أحبه قوم حتى هلكوا فى حبه ، وأبغضه قوم حتى هلكوا فى بغضه . وقد روى عبد الله بن أحمد هذا المعنى مسنداً عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : دعانى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال « إن فيك من عيسى مثلا ، أبغضته يهود حتى بهتوا أُمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس به » ألا وإنه يهلك فىَّ اثنان : محب مفرط يقرظنى بما ليس فىّ ، ومبغض مفتر يحمله شنآنى على أن بهتنى ، ألا وإنى لست بنبى ولا موصى إلىّ ، ولكن أعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت ، فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتم . وكان رضى الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاوية رضى الله عنه ويقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ، والذى نفسى بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجال تندر عن كواهلهم كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية . وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : لا أعلم أحداً يحفظ له من الفضائل فى الأحاديث الصحاح ما يحفظ لعلى ، رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين .

(فالستة المكملون العشره وسائر الصحب الكرام البرره)

(**ف**) يليهم فى الفضل (**الستة المكملون**) عدد (**العشرة**) المشهود لهم بالجنة كما فى السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان فى المسجد ، فذكر رجل عليا رضى الله عنه ، فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى سمعته وهو يقول « عشرة فى الجنة : النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، وأبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير ابن العوام فى الجنة ، وسعد بن مالك فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة » ولو شئت لسميت العاشر . قال فقالوا : من هو ؟ فسكت ، قال فقالوا : من هو ؟ فقال « هو سعيد بن زيد » رضى الله عنهم . وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة . وفى الصحيح عن أبى عثمان قال : لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير طلحة وسعد . وفيه عن قيس بن أبى حازم قال : رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم قد شلت .

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال « إن لكل نبى حواريا ، وحوارىَّ الزبير » . وفيه عن مروان بن الحكم قال :

أصاب عثمان رضى الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى ، فدخل عليه رجل من قريش قال : استخلف . قال : وقالوه ؟ قال : نعم . قال : ومن ؟ فسكت . فدخل عليه رجل آخر — أحسبه الحارث — فقال : استخلف . فقال عثمان : وقالوا ؟ فقال : نعم . قال : ومن هو ؟ فسكت ، فلعلهم قالوا الزبير ، قال : نعم ، أما والذى نفسى بيده إنه لخيرهم ما علمت ، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية قال : أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم (ثلاثاً) . وفيه عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبى سلمة فى النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثاً ، فلما رجعت قلت : يا أبتى رأيتك تختلف . قال : وهل رأيتنى يا بنى ؟ قلت : نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم ، فانطلقت ، فلما رجعت جمع لى رسول الله بين أبويه فقال : فداك أبى وأمى . وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك : ألا شد فنشد معك ، فحمل عليهم ، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُربها يوم بدر ، قال عروة : فكنت أدخل أصابعى فى تلك الضربات ألعب وأنا صغير . قلت : وقد اخترق صفوف الروم يومئذ أربع مرات ، مرتين دخولًا فيهم ومرتين رجوعاً ، وكانت الضربتان فى رجعته من المرة الأخرى ، كما هو مبسوط فى موضعه من السير . وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » . زاد فى رواية : وسعد بن أبى وقاص

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرق رسول الله ذات ليلة فقال « ليت رجلًا صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة » . قالت وسمعنا صوت السلاح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هذا » ؟ قال : سعد بن أبى وقاص يا رسول الله ، جئت أحرسك . قالت عائشة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه . وفيهما عن عبد الله بن شداد قال : سمعت عليا يقول : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد غير سعد بن مالك ، فإنه جعل يقول له يوم أحد « ارم فداك أبى وأمى » . وعن عامر بن سعد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم

جمع له أبويه يوم أحد ، قال كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم « ارم فداك أبى وأمى » قال : فنزعت له بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه ، فسقط فانكشفت عورته ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت إلى نواجذه . وفيه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن . قال حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمتَ أن الله وصاك بوالديك ، وأنا أمك وأنا آمر بهذا ، قال : مكثتْ ثلاثاً حتى غشى عليها من الجهد ، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآيات ﴿ ووَصَّينا الإنسان بوالديه حسناً . وإن جاهداك لتشرك بى ﴾ وقال تعالى ﴿ وصاحبهما فى الدينا معروفاً ﴾ . قال : وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف ، فأخذته فأتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت : نفلنى هذا السيف فأنا مَن قد علمتَ حاله ، فقال « رده من حيث أخذته » فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه فى القبض لامتنى نفسى فرجعت إليه فقلت : أعطنيه . قال فشد لى صوته « رده من حيث أخذته » قال فأنزل الله عز وجل ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ . قال ومرضت فأرسلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتانى فقلت : دعنى أقسم مالى حيث شئت . قال فأبى . قلت : فالنصف ، قال فأبى ، قلت : فالثلث ، قال فسكت فكان يعد الثلث جائزاً ، قال وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمراً ، وذلك قبل أن تحرم الخمر ، قال فأتيتهم فى حش — والحش البستان — فإذا رأس جزور مشوى عندهم وزق من خمر ، قال فأكلت وشربت معهم ، قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت : المهاجرون خير من الأنصار ، قال فأخذ رجل أحد لحيى الرأس فضربنى به فجرح بأنفى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأنزل الله عزو وجل فىَّ — يعنى نفسه — بشأن الخمر ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ . وعنه رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما ، فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فتحدث فى نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تَطْرُدِ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىِّ يريدون وجهه ﴾ .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل أمة أميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . وعنه رضى الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ابعث معنا رجلًا يعلمنا السنة والإسلام ، قال فأخذ بيد أبى عبيدة فقال « هذا أمين هذه الأمة » . وعن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ابعث إلينا رجلًا أميناً فقال : لأبعثن إليكم رجلًا أميناً حق أمين حق أمين ، قال فاستشرف لها الناس ، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح .

وروى ابن إسحاق فى قصة خالد مع بنى جذيمة فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلت قاتل أبى ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « مهلًا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُد ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحة » .

(**وسائر الصحب**) بقيتهم (**الكرام البررة**) الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه ، ثم هم على مراتبهم : أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين ، ثم من الأنصار ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل الثبات فى غزوة الأحزاب التى نجم فيها النفاق ، ثم بيعة الرضوان ، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلّا وعد الله الحسنى .

(وأهل بيت المصطفى الأطهار	**وتابعيه السادة الأخيار)**
(فكلهم فى محكم القرآن	**أثنى عليهم خالق الأكوان)**
(فى الفتح والحديد والقتال	**وغيرها بأكمل الخصال)**
(كذاك فى التوراة والإنجيل	**صفاتهم معلومة التفصيل)**
(وذكرهم فى سنة المختار	**قد سار سير الشمس فى الأقطار)**

(**وأهل بيت**) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (**المصطفى**) تقدم معناه . (**المختار**) اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل ، وهن زوجاته اللاتى هن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ وخيرهن الله تعالى بين إرادة زينة

الحياة الدنيا وبين إرادة الله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى فيهن ﴿ إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً . واذكُرْنَ ما يُتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ وهن زوجاته فى الدنيا والآخرة ، فمنهن خديجة أم المؤمنين الصدّيقة الأولى التى هى أول من صدَّقه صلى الله عليه وسلم فيما بعث به على الإطلاق قبل كل أحد رضى الله عنها ، وقرأ جبريل عليها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولاوصب ، وما زالت تؤويه وتسكن جأشه وتعاضده بالنفس والمال حتى توفاها الله عز وجل .

وعائشة رضى الله عنها الصديقة بنت الصدّيق حبيبة حبيب الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من فوق سبع سماوات بأربع عشرة آية تتلى فى المحاريب والكتاتيب فى كل زمان ومكان ، التى كان ينزل الوحى عليه وهو فى حجرها ، وتوفى فى حجرها ، وقد خُلط ريقها بريقه صلى الله عليه وسلم فى آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة ، ودفن فى حجرتها ، وكانت من أفقه الصحابة فى الحديث والتفسير وغير ذلك ، حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن أشياء كثيرة فيجدون منها عندها علماً ، لا سيما ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله فى الحضر . أقرأها جبريل السلام أيضاً كما أقرأه على خديجة .

ومنهن أم سلمة رضى الله عنها ذات الهجرتين مع زوجها أبى سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها نبى الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها رضى الله عنه ، وقد رأت جبريل عند النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية بن خليفة رضى الله عنه .

ومنهن زينب أم المؤمنين التى زوَّجه الله إياها من فوق سبع سماوات ، وهى أطولهن يداً لإنفاقها من كسب يدها ، وأسرعهن لحوقاً به صلى الله عليه وسلم ، وبسببها نزل الحجاب .

وصفية بنت حُيى من ولد هارون بن عمران رسول الله وأخى رسوله موسى الكليم عليهما السلام .

وجويرية بنت الحارث ملك بنى المصطلق التى كانت هى السبب فى عتق السبى من قبيلتها .

وسودة بنت زعمة التى كانت أيضاً من أسباب الحجاب ، ولما كبرت اختارت

نبى الله عز وجل أن تبقى فى عصمة نكاحه ، ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها .

وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضاً ، وميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها التى نكحها النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء وهما حلالان على ماحدثت به هى والسفير بينهما . وكلهن زوجاته فى الدنيا والآخرة رضى الله عنهن .

ويدخل أهل بيته فى هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جللهم النبى صلى الله عليه وسلم بكسائه كما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج النبى صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ . ويدخل فى أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المطلب كما فى الصحيح عن يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر ابن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغدوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه . ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . — وفى رواية — أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة . وفيه : فقلنا

مَن أهل بيته ، نساؤه ؟ قال : لا وأيم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده وفى الصحيح أيضاً عن المسور بن مخرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها » . وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتى فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة ، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً ، فقلت لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن . فقلت لها حين بكت : أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه دوننا ثم تبكين ، وسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا قبض سألتها فقالت : إنه كان حدثنى أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به فى العام مرتين ولاأرانى إلاقد حضر أجلى، وإنك أول أهلى لحوقاً بى ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك ، ثم إن سارنى فقال : ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكت لذلك . وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسن « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحبب من يحبه » ونحوه عن براء بن عازب . وفيه عن أبى بكرة رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرةوإليه مرةيقول «ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».وفيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأخذه والحسن ويقول « اللهم إنى أحبهما فأحبهما » أو كما قال . وللترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» وقال حسن صحيح . وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا » . وللترمذى — وقال حسن — عن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى

ورفعتهما » . وله عن على رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك . هذا حديث حسن غريب .

(**وتابعيه**) تابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (**السادة**) من ساد يسود (**الأخيار**) على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب ﴿ والسابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ الآية ، وقال تعالى فى سورة الجمعة فى ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ هذا فى الصحابة ، ثم قال فى التابعين ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وغير ذلك من الآيات . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أن قد رأينا إخواننا . قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ، قال أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » الحديث . وفى المسند عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددت أنى لقيت إخوانى » قال فقال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : نحن إخوانك قال « أنتم أصحابى ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى » إسناده حسن وقد صحح . وفيه عن أبى أمامة وأنس بن مالك رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات ».وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به ، فقال عبد الله : إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه ، والذى لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ ﴿ آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ﴾ إلى قوله ﴿ المفلحون ﴾ وقال : على شرطهما .

وبالجملة (**فكلهم فى محكم القرآن   أثنى عليهم خالق الأكوان**) فى مواضع من كتابه (**كالفتح**) أى سورة الفتح من أولها إلى آخرها (**و**) سورة (**الحديد**) كقوله تعالى فيها ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ إلى قوله ﴿ ومالكم ألَّا تنفقوا فى سبيل الله و لله ميراث السماوات والأرض ،

لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلّا وعدَ الله الحسنى ﴾ الآيات (و) سورة (**القتال**) كقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ الآيات . (و) سورة (**الحشر**) إلى آخرها ، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والإيمان من قَبْلهم يُحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين فى قلوبهم غل لهم إلى يوم القيامة ، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفئ وحرموه عليهم . (و) فى سورة (**التوبة و**) سورة (**الأنفال**) بكمالهما تارة فى الثناء عليهم وتارة فى تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم ، وتارة فى حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد فى سبيل الله والإثخان فى الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم ، ووعده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم ، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة . وألَّف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة ، وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم فى الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله ، وجهادهم بأموالهم فى سبيله وله الحمد والمنة ، وغير ذلك من سور القرآن وآياته (**كذاك فى التوراة**) الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (و) فى (**الإنجيل**) الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام (**صفاتهم**) التى جعلهم الله عليها (**معلومة التفصيل**) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل ﴿ محمد رسول الله ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلًا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ﴾ هنا تم الكلام ثم قال تعالى ﴿ ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شَطْأه فآزره

فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجبُ الزُّرَّاع ليَغيظ بهم الكفار ، وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ وتقدم قول الأسقف لعمر وصفة الخلفاء رضى الله عنهم وغير ذلك . (**وذكرهم**) بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة (**فى سنة المختار**) محمد صلى الله عليه وسلم عموماً وخصوصاً من الأحاديث الصحاح والحسان ، (**قد سار**)انتشر وأعلن (**سير الشمس فى الأقطار**) تمثيلًا لشهرة فضائلهم ووضوحها لا تحصيها الأسفار الكبار ، وفى الصحيح عن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنه قال : صليت المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء ، قال فجلسنا فخرج علينا فقال « ما زلتم ههنا » قلنا:يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء ، قال « أحسنتم » أو « أصبتم » قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال « النجوم أمنة السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون ، وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون » وفيه عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير ؟ قال « أقرانى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم » والله أعلم أذكر الثالث أم لا « ثم يخلف قوم يحبون السمانة ، يشهدون قبل أن يستشهدوا » . وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فلا أدرى أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً « ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » زاد فى رواية « ويحلفون ولا يستحلفون » . وعن عائشة رضى الله عنها

قالت: سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم أى الناس خير ؟ قال « القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى . فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصفيه » . وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء فسبه خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أحداً من أصحابى ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه » . وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه فى قصة كتاب حاطب مع الظعينة — وفيه — فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله فدعنى فلأضرب عنقه ، فقال « أليس من أهل بدر » فقال صلى الله عليه وسلم « لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو « فقد غفرت لكم » فدمعت عينا عمر رضى الله عنه وقال : الله ورسوله أعلم . وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر : بضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلَّا مؤمن . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال : الحديبية ، قال أصحابه : هنيئاً مريئاً فمالنا ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ وكل هذا فى الصحيح . وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ». وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد وردت أحاديث فى فضائل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم منها عامة ومنها خاص بالمهاجرين ومنها خاص بالأنصار ومنها خاص بالآحاد فرداً فرداً ، ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقاً ، ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ليس هذا موضع بسطها .

(ثم السكوت واجب عما جرى   بينهُمُ من فعل ما قد قدرا)
(فكلهم مجتهد مثابُ   وخطؤهم يغفره الوهاب)

أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض فى الفتن التى جرت بين الصحابة رضى الله عنهم بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، والاسترجاع على تلك المصائب التى أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم

بسوابقهم ونشر مناقبهم ، عملًا بقول الله عز وجل ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الآية ، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته ، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور ، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ فى ذلك . وما روى من الأحاديث فى مساويهم الكثير منه مكذوب ، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغُيِّر عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى معتقد أهل السنة : وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وإن المدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً من بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذى هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف بالأمور التى كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور،ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح . ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمهم على الله عز وجل .

وقال القاضى عياض فى ذكر الصحابة رضى الله عنهم وفضائلهم : وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها ، وكلهم عدول رضى الله عنهم ومتأوّلون فى حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شىء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها ، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم .

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام : قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ، ففعلوا ذلك ، ولم

يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل فى قتال البغاة فى اعتقاده . وقسم عكس هؤلاء ظهرلهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغى عليه . وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، فكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه فكلهم معذورون رضى الله عنهم . ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله عنهم أجمعين ، وكلام الأئمة فى هذا الباب يطول ، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليا قول الله عز وجل ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

خاتمة
فى وجوب التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع عند الاختلاف إليهما ، فما خالفهما فهو رد

(شرط قبول السعى أن يجتمعا فيه إصابة وإخلاص معا)
(لله رب العرش لا سواه موافق الشرع الذى ارتضاه)

(**شرط**) فى (**قبول**) الله تعالى (**السعى**) أى العمل من العبد وخبر المبتدأ (**أن يجتمعا**) الألف للإطلاق (**فيه**) أى فى السعى ، شيئان : أحدهما (**إصابة**) ضد الخطأ ، والثانى (**إخلاص**) ضد الشرك (**معا**) أى لم يفترقا ، وتفسيره فى البيت الذى بعده ، فتفسير الإخلاص كون العمل (**لله رب العرش**) خالصاً (**لا**) شرك فيه لـ (**سواه**) ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، وتفسير الإصابة كونه (**موافق الشرع**) الثابت عن الله (**الذى ارتضاه**) الله تعالى لعباده ديناً وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولم يقبل من أحد ديناً سواه ولا أحسن ديناً ممن التزمه ، وقد سفه نفسه من رغب عنه وقد جمع بين هذين الشرطين فى قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى فى بابه .

وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولًا :

(**الفصل الأول**) فى ذكر وجوب طاعة الله ورسوله : قال الله تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حَرَجاً مما قضيت ويُسلِّموا تسليماً ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وأرسلناك للناس رسولًا وكفى بالله شهيداً . من يُطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها

الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ وقال ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا . وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم تُرحمون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تَولَّوا فإنما عليه ماحُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلَّا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتَسلَّلون منكم لِواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذَنْ لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديداً يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيَرَة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينا ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر وذَكَرَ الله كثيراً ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تُبطلوا أعمالكم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولَّوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ،

ومن يتول يعذ به عذاباً أليماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ فاتقوا الله يا أُولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً ، رسولًا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾ . وقال ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزِّروه وتُوقِّروه وتُسبِّحوه بكرةً وأصيلًا ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلّا من أبى » قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » . حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا — أو سمعت — جابر ابن عبد الله يقول « جاءت ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم » الحديث تقدم ، وفيه « فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس » . وله عن حذيفة قال : يا معشر القراء استقيموا فقد سُبقتم سبقاً بعيداً . وإن أخذتم يميناً وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيداً . وله عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ؟ وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » . وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « دعونى ما تركتكم ، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت « صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ترخص فيه وتنزّه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ؟ فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » . وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » . وعن معاوية رضي الله

عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « من يُرد الله به خيراً يفقِّهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم ، ويعطى الله عز وجل . ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى » . وفى المسند وابن ماجه وغيرهما قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم فخطَّ خطا هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله عز وجل » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله قال « هذه سبيل الشيطان » ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿ وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتَّبِعوه ولا تتَّبعوا السُّبُلَ فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون ﴾ . وفى المسند والترمذى وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ضرب الله مثلًا صراطاً مستقيماً ، وعن جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » . وفى جامع الترمذى عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشى ، فإنه من يعش منكم ير اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضُّوا عليها بالنواجذ » وقال هذا حديث حسن صحيح . ورواه أحمد وزاد « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وفى رواية : قلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة ، فماذا تعهد إلينا . قال « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلَّا هالك » وفى رواية « فعليكم بما عرفتم من سنتى » . وفى صحيح مسلم عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ؛ ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه

فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . ولأحمد عن مجاهد بإسناد جيد قال: كنا مع ابن‌عمر رضي الله عنهما فى سفر بمكان فحاد عنه، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت . وله عن الحسن بن جابر قال : سمعت المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه يقول : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أشياء ثم قال « يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكئ على أريكته يحدّث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنما حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » . وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل ينثنى شبعان على أريكته يقول : عليكم القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغنى صاحبها . ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإذا لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم » . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وإسناد أحمد جيد ، وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذى ، ولأحمد عن أبى هريرة نحوه ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية .

(**الفصل الثانى**) فى تحريم القول على الله بلا علم ، وتحريم الافتاء فى دين الله بما يخالف النصوص ﴿ قل إنما حَرَّم ربِّىَ الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يُنَزِّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالًا مُبينا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ اتَّبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكَّرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنِ الحُكْمُ إلا لله يقصُّ الحقَّ وهو خير الفاصلين ﴾ وقال ﴿ له غيب السماوات والأرض أبصرْ به وأسمِعْ ما لهم من دونه من ولىّ ولايُشرك فى حكمه أحدا ﴾ وقال تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ وقال تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ فاتَّبعوه واتَّقوا لعلكم تُرحمون . أن تقولوا إنما أُنزل الكتابُ على طائفتين من قبلنا وإن كُناَّ عن دراستهم لغافلين ﴾ الآيات ، وقال تعالى ﴿ وإنه لذكْرٌ لك ولقومك وسوف تُسألون ﴾ .

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ينظر ، فعرفت أنه يوحى إليه ، فتأخرت عنه حتى صعد الوحى ، ثم قال ﴿ ويسألونك عن الروح قُل الروح من أمر ربِّى ، وما أوتيتم من العلم إلَّا قليلا ﴾ ، وفيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعت المكروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن » . وفيه عن جابر رضى الله عنه قال « مرضت فجاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان ، فأتانى وقد أُغمى علىَّ ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علىَّ فأفقتُ فقلت : يا رسول الله كيف أقضى فى مالى كيف أصنع فى مالى ؟ قال فما أجابنى بشىء حتى نزلت آية الميراث ، وعلى هذا ترجم البخارى رحمه الله تعالى : باب كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل مما لم ينزل عليه الوحى فيقول لا أدرى ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحى ولم يقبل برأى ولا بقياس لقوله تعالى ﴿ بما أراك الله ﴾ الآية . وترجم رحمه الله تعالى : باب ما يذكر من ذم الرأى وتكلف القياس ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ﴾ ، ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيَضلون ويُضلون » . وحديث سهل بن حنيف قال : يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتنى يوم أبى جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته . الخبر . وفى خطبه صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى أن يقول « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، و شر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » . وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال : كان لا يجلس مجلساً

للذكر حين يجلس إلّا قال : الله حكم قسط ، هلك المرتابون . فقال معاذ بن جبل يوماً : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر ، فيوشك قائل يقول : ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعى حتى أبدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة . وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال قلت لمعاذ : ما يدرينى رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التى يقال لها ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع ، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا . وله من طرق عن سفيان الثورى قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن القدر ، فكتب : أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة . ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سَنَّها من قد علم ، أما فى خلاف من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقعوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم عن كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى . فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقوكم إليه ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى ، فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من محسر ، وقد قصر قوم من دونهم فجفوا ، وطمح عليهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم . كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر ، فعلى الخبير بإذن الله وقعت ، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هى أبين أثراً ، ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر . لقد كان ذكره فى الجاهلية الجهلاء ، لا يتكلمون به فى كلامهم وفى شعرهم يعزّون به أنفسهم على ما فاتهم ، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة . ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث ولا حديثين ، وقد سمعه منهم المسلمون فتكلموا به فى حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم أن يكون شىء لم يحط به علمه ولم يحصه كتابه ولم يمض فيه قدره ، وإنه مع ذلك لفى محكم كتابه ، منه اقتسبوه ومنه تعلموه ، ولئن قلتم لم أنزل الله آية كذا ، ولم قال

كذا ؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم ، وعلموا من تأويله ما جهلتم ، وقالوا بعد ذلك كله : بكتاب وقدر ، وكتبت الشقاوة ، وما يقدَّر يكن ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا ، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً .

(**الفصل الثالث**) فى عظم إثم من أحدث فى الدين ما ليس منه . قال تبارك وتعالى ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضلونهم بغير علم ألَاساء ما يزرون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ وليَحملُنَّ أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليُسْألُنَّ يوم القيامة عما كانوا يَفْترون ﴾ . وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس من نفس تقتل ظلماً إلَّا كان على ابن آدم الأول كفل منها ، لأنه أول من سن القتل » . ولأحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة ضلال فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من مثل أو زارهم شىء ، ومن سن سنة هدى فاتبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شىء » . ولأحمد بإسناد جيد عن حبيب بن عبيد الرحبى عن غضيف بن الحارث الثمالى رضى الله عنه قال : بعث إلىَّ عبد الملك بن مروان فقال : ياأباأسماء إنّا قد جمعنا الناس على أمرين . قال : وما هما ؟ قال : ترفع الأيدى على المنابر يوم الجمعة ، والقصص بعد الصبح والعصر . فقال : أما إنهما أمثل بدعتكم عندى ، ولست مجيبك إلى شىء منهما . قال : لم ؟ قال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما أحدث قوم بدعة إلَّا رفع مثلها من السنة » فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة . وفى حديث الحوض عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرهم قال « ليردن علىّ الحوض رجال ممن صحبنى ورآنى حتى إذا رفعوا إلىَّ ورأيتهم اختلجوا دونى فلأقولن : ربى أصحابى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » . وفى بعضها زيادة « فأقول سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدى » . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب وأُخَرُ متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زَيْغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمناً به كلّ من عند ربّنا ، وما يذّكَّر إلَّا أولو الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين

سمى الله فاحذروهم » . وعن جرير بن عبد الله قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطأوا عنه حتى رؤى ذلك فى وجهه ، قال : ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصرَّة من ورق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور فى وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شىء . ومن سَنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شىء » ، ورواه الترمذى بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ سنة شر فاتّبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئاً » . وله عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث « اعلم » قال : أعلم يا رسول الله ، قال « إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً » قال هذا حديث حسن . والأحاديث فى هذا كثيرة وفى هذا كفاية .

(**الفصل الرابع والخامس**) ما فى هذه الأبيات :

(وكل ما خالف للوحيين	**فإنـــــه رد بغير مين)**
(وكل ما فيه الخلاف نصبا	**فرده إليهما قد وجبـا)**
(فالدين إنما أتى بالنقل	**ليس بالأوهام وحدس العقل)**

(**وكل ما**) أى أمر كان (**خالف للوحيين**) نصوص الكتاب والسنة لأن السنة وحى ثان أيضاً كما قال تعالى ﴿ ما ضَلَّ صاحبكم وما غَوَى ، وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلَّا وحىٌ يوحى ، عَلَّمه شديد القُوَى ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أوتيت القرآن ومثله معهُ » الحديث (**فإنه**) أى ذلك الأمر المخالف (**رد**) أى مردود على مبتدعه من كان (**بغير مين**) بدون شك ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ ومن يَبْتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ ودين الإسلام هو الذى أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس ، فتلاهُ الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته وبينه لهم بسنته من

أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم ، وتقدم فى الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وقال تعالى ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلَّا من سَفهَ نفسَه ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع مِلَّة إبراهيم حنيفا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ اتَّبِعوا ما أُنزِل إليكم من ربكم ولا تتَّبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ الآيات،وقال تعالى ﴿ أو لم يَكْفهِم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلى عليهم ، إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ اتَّخَذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ أم لهم شُركاءُ شَرَعوا لهم من الدِّين ما لم يأْذَنْ به الله ﴾ الآية وغير ذلك من الآيات . وفى الصحيحين من حدِيث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفى رواية مسلم « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وقال صلى الله عليه وسلم « لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » . وفى السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » ، وفيها عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أنه قال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » — زاد فى رواية — « وإنه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه » وفى لفظ « بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » . وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمتى بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع » فقيل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال « ومن الناس إلا أولئك » . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لتتبعن سنَن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

ثم اعلم أن البدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبولًا ، وكلها قبيحة ليس فيها حسن ، وكلها ضلال ليس فيها هدى ، وكلها أوزار ليس فيها أجر ، وكلها باطل ليس فيها حق . ومعنى البدعة هو شرع ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أمر النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، ولهذا فسر النبى صلى الله عليه وسلم البدعة بقوله « كل عمل ليس عليه أمرنا » ووصف الطائفة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة بقوله « هم الجماعة » وفى رواية « هم من كان مثل ما أنا عليه وأصحابى » .

ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان : مكفرة لمنتحلها ، وغير مكفرة . فضابط البدعة المكفرة من أنكر أمراً مجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة من جحود مفروض أو فرض ما لم يفرض أو إحلال محرم أو تحريم حلال أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفى أو إثبات ، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم كبدعة الجهمية فى إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن ، أو خلق أى صفة من صفات الله ، وإنكار أن يكون الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا وكلَّم موسى تكليماً وغير ذلك ، وكبدعة القدرية فى إنكار علم الله عز وجل وأفعاله وقضائه وقدره ، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه ، وغير ذلك من الأهواء ، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبى عن الدين من أعدى عدوله . وآخرون مغرورون ملبس عليهم ، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها . والقسم الثانى البدع التى ليست بمكفرة وهى ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشىء مما أرسل الله به رسله كبدع المَرْوانية التى أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها ولم يكفروهم بشىء منها ولم ينزعوا يداً من بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها ، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد ، وجلوسهم فى نفس الخطبة فى الجمعة وغيرها وسبهم كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعية ، بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية . كما روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه عن أبى عمر الجونى قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : ماأعرف شيئا اليوم مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال قلنا : فأين الصلاة ؟ قال : أو لم تصنعوا فى الصلاة ما قد علمتم ؟ وله عن ثابت البنانى بإسناد نير قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه : ما أعرف فيكم اليوم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، ليس قولكم لا إله إلا الله . قال قلت : يا أبا حمزة الصلاة ؟ قال : قد صليت حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف . قال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى الأضحى أو الفطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد يرتقيه قبل أن يصلى ، فجبذت بثوبه ، فجبذنى فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم . فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم . فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة . وفى رواية مسلم : فلما رأيت ذلك منه قلت : أين الابتداء بالصلاة ؟ فقال : يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم ، قلت : كلا والذى نفسى بيده لا تأتون بخير مما أعلم — ثلاث مرات — ثم انصرف . وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى سعيد رضى الله عنه أيضاً قال : أخرج مروان المنبر فى يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة ، فقام رجل فقال : يا مروان خالفت السنة ، أخرجت المنبر فى يوم عيد ولم يكن يخرج فيه ، وبدأت الخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها . فقال أبو سعيد الخدرى : من هذا ؟ قالوا فلان بن فلان ، فقال : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . قلت : والمرفوع من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم ، ولعل تغيير هذا الرجل على مروان كان تارة أخرى فى غير المرة التى غير فيها أبو سعيد بيده ولسانه ، لأن تغيير أبى سعيد كان عند أول ما ابتدع ذلك ابتداء والله أعلم . وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب قائماً ، فمن نبأك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة . وفيه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعداً ، فقال: انظر إلى هذه الخبيث يخطب قاعداً ، وقال الله تعالى ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً

انفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ . وفيه عن عمار بن رويبة قال : رؤى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال : قبح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المسبحة . وتقدم فى فضائل الصحابة نصيحة سعد بن أبى وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وعظته إياهم عن سب الصحابة . وعن عامر بن سعد رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب علياً وطلحة والزبير فنهاه عن ذلك فلم ينته فقال:أدعو عليك ، فقال الرجل : تتعهدنى كأنك نبى ، فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبَّ أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله اليوم آية وعبرة ، قال : فخرجت بختية نادرة من دار آل فلان لا يردها شىء حتى دخلت بين أضعاف الناس فافترق الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبطه حتى مات ، قال : فلقد رأيت الناس يستعدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق . وعن مصعب نحوه ، وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب نحوه ، وغير ذلك من إنكار الصحابة عليهم ، وكان الصحابة رضى الله عنهم لا يخافون فى الله لومة لائم . رضى الله عنهم وأرضاهم آمين .

(**فصل**) . ثم تنقسم البدع بحسب ما تقع فيه إلى بدعة فى العبادات ، وبدعة فى المعاملات . فالبدع فى العبادات قسمان أيضاً.الأول التعبد بما لم يأذن الله تعالى أن يعبد به البتة ، كتعبد جهلة الصوفية بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتَصْدِيَة ﴾ . والثانى التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع فى غير موضعه ، ككشف الرأس مثلًا هو فى الإحرام عبادة مشروعة ، فإذا فعله غير المحرم فى الصوم أو فى الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة ، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة فى غير ما شرعت فيه كصلوات النفل فى أوقات النهى ، وكصيام الشك والعيدين ونحو ذلك ، وفى الصحيح عن أنس فى الرجل الذى رآه النبى صلى الله عليه وسلم يمشى بين ابنيه فقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه » . وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها النبى صلى الله عليه وسلم بيده ثم أمره أن يقوده بيده ، وفيه عنه رضى الله عنه قال : بينا النبى

صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بإتمام الصوم الذى هو عبادة مشروعة وضعت فى محلها ، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإن كان عبادة فى بعض الأحوال لكن ليس هذا محله ، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة . وفيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما سئل عن رجل نذر أن لا يأتى عليه يوم إلا صام فوافق يوم الأضحى أو الفطر فقال ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر ولا يرى صيامهما . وعن زياد بن جبير قال : كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فسأله رجل فقال : نذرت أن أصوم كل يوم ثلاثاء أو أربعاء ما عشت ، فوافقت هذا اليوم يوم النحر ، فقال : أمر الله بوفاء النذر ونهينا أن نصوم يوم النحر ، فأعاد فأعاد عليه ، فقال مثله لا يزيد عليه ، والمعنى أن النذر قربة من القربات إذا كان مشروعاً كصوم ما لم ينه عنه من الأيام ، فإن نذر صوم يوم منهى عنه كان ناذراً معصية لا طاعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا نذر فى معصية الله » وقال صلى الله عليه وسلم « من نذر أن يعصى الله فلا يعصه » . وعن عطاء أن ابن عباس رضى الله عنهما أرسل إلى ابن الزبير فى أول ما بويع له : إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر ، وإنما الخطبة بعد الصلاة ، قال ذلك رداً لبدعة المروانية فى ذلك . وفيه عن البراء بن عازب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن أول ما نبدأ فى يومنا هذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك فى شىء » الحديث . وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى نساء النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » . وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من البر الصيام فى السفر » . وقال صلى الله عليه وسلم للذين صاموا بعد أمره بالإفطار « أولئك

العصاة ، أولئك العصاة » ، وغير ذلك من الأحاديث فى هذا الباب ما لا يحصى ، وهذا مثال يدل على ما بعده .

ثم البدعة الواقعة فى العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التى تقع فيها لمن صلى الرباعية خمساً ، أو الثلاثية أربعاً ، أو الثنائية ثلاثاً وما شابه ذلك . وقد تكون معصية ولا تبطل العمل الذى تقع فيه كالوضوء أربعاً أربعاً ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الوضوء المشروع « فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم » ولم يقل فقد بطل وضوؤه ، وكذا قراءة القرآن راكعاً أو ساجداً منهى عنه شرعاً ولا يُبطل الصلاة .

والبدعة فى المعاملات كاشتراط ما ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قال : جاءت بريرة رضى الله عنها فقالت: إنى كاتبت أهلى على تسع أواق فى كل عام أوقية فأعينينى ، فقالت عائشة رضى الله عنها : إن أحب أهلك أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلت ويكون ولاؤك لى ، فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك عليها ، فقالت : عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنى فأخبرته فقال « خذيها فأعتقيها واشرطى لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق » ، فقالت عائشة : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فما بال رجال منكم يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ، فأيما شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، فقضاء الله حق وشرط الله أوثق . ما بال رجال منكم يقول أحدهم أعتق يا فلان ولى الولاء ، إنما الولاء لمن أعتق » ، وأمثاله كثيرة .

(**وكل ما فيه الخلاف**) بين الصحابة فمن بعدهم (**نصب**) من فروع العبادات والمعاملات (**فرده**) أى المختلف فيه من ذلك (**إليهما**) أى إلى الكتاب والسنة (**قد وجب**) على المعتبر ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ . والرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحى ، فما وافقهما قُبِل وما خالفهما رُدَّ على قائله كائنا من كان ، (**فالدين**) الإسلام وشرائعه(**إنما أتى**) حصل بيانه (**بالنقل**) عن الله ورسوله (**ليس**) هو (**بالأوهام**) من آحاد الأمة (**وحدس**) تخمين (**العقل**) ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أرجح الخلائق

عقلًا وأولاهم بكل صواب ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ الآيات ، ولم يقل بما رأيت . ويقول الله تعالى له ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ﴾ وقال تعالى له ﴿ فاسْتَمْسِكْ بالذى أوحى إليك إنكَ على صراط مستقيم ﴾ وأمثال هذا من الآيات ما لا يحصى ، وتقدم فى الأحاديث جملة واحدة ، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول فى التشريع إلا عن الله عز وجل ، ولهذا لم يجب اليهود فى سؤالهم إياه عن الروح ، ولا جابراً فى سؤاله عن ميراث الكلالة ، والمجادلة فى سؤالها عن حكم الظهار حتى نزل عليه القرآن بتفصيل ذلك وبيانه ، وأمثال هذا كثير ﴿ ولا يأتونك بمَثَلٍ إلا جئناك بالحق وأحسَنَ تفسيراً ﴾ ، وفى قصة عمر رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قال : فعملت لذلك أعمالا . وقال عثمان بن حنيف : اتهموا الرأى فى دينكم ، لقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو استطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفه ، وأفتى عمر السائل الثقفى فى المرأة التى حاضت بعد أن زارت البيت يوم النحر أن لا تنفر ، فقال له الثقفى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به ، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له : لمَ تستفتينى فى شىء قد أفتى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وكان ابن مسعود أفتى بأشياء فأخبره بعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم بخلافه ، فانطلق عبد الله إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك . وقال عمر بن عبد العزيز : لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . والآثار فى هذا عن الصحابة والتابعين لا تحصى . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس ، وصح عنه أنه قال : لا قول لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رحمه الله : إذا وجدتم فى كتاب خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت . وفى لفظ : فاضربوا بقولى عرض الحائط . وقال رحمه الله : إذا وجدتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولى فخذوا بالسنة ودعوا قولى فإنى أقول بها . وقال رحمه الله تعالى : كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد موتى . وقال

رحمه الله تعالى — وروى حديثاً فقال له رجل : تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : — متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب . وأشار بيده على رءوسهم . وسأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم كذا ، فقال الرجل : أتقول بهذا ؟ قال : أرأيت فى وسطى زناراً ؟ أترانى خرجت من الكنيسة ؟ أقول قال النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لى أتقول بهذا ! أروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أقول به ! وفى لفظ : فارتعد الشافعى رحمه الله واصفرَّ لونه وقال : ويحك ، أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم أقل به ، نعم على الرأس والعينين ، وقال رحمه الله تعالى : ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول وأصَّلت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى . وجعل يردد هذا الكلام . وقال الشافعى رحمه الله أيضاً : لم أسمع أحداً نسبته العامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف فى أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه ، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ما سواهما تبع لهما ، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا فى قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد لا يختلف فيه . وقال الربيع : سألت الشافعى عن الطيب قبل الإحرام بما يبقى ريحه بعد الإحرام وبعد رمى الجمرة والحلاق وقبل الإفاضة ، فقال : جائز وأحبه ولا أكرهه ، لثبوت السنة فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم والأخبار عن غير واحد من الصحابة . فقلت : وما حجتك فيه ؟ فذكر الأخبار فيه والآثار ثم قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال : قال عمر رضى الله عنه : من رمى الجمرة فقد حل له ما حرم عليه إلّا النساء والطيب . فقال سالم وقالت عائشة رضى الله عنها : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى . وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبع . قال : وهكذا ينبغى أن يكون الصالحون وأهل العلم ، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شىء بل لرأى أنفسكم فالعلم إذاً إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم . وقال رحمه الله تعالى : من نبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقته ، ومن خلط فتركها خالفته . صاحبى الذى لا أفارق الملازم الثابت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم وإن بعد ، والذى أفارق هو من لم يقل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن قرب .

وقال رحمه الله تعالى فى خطبة كتاب (إبطال الاستحسان) : الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله وكما ينبغي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله ، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وقال ﴿ ونَزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ﴾ وقال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكر لتُبيِّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ﴾ وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيَرَةُ من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالاً مُبيناً ﴾ فأعلم أن معصيته فى ترك أمره وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل لهم إلا اتباعه ، وكذلك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ﴾ مع ما علم نبيه . ثم فرض اتباع كتابه فقال ﴿ فاستَمْسِكْ بالذى أُوحى إليك ﴾ وقال ﴿ وأن احْكُمْ بينهم بما أنزل الله ولا تتَّبع أهواءهم ﴾ وأعلمهم أنه كمل لهم دينهم فقال عز وجل ﴿ اليوم أكملت لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام دينا ﴾ . إلى أن قال : ثم منَّ عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيره إلا ما علمهم فقال لنبيه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ قل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تقولنَّ لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلَّا أن يشاء الله ﴾ ثم أنزل على نبيه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانه عنه وأنه أول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ﴾ وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فى امرأة رجل رماها بالزنا فقال له يرجع ، فأوحى الله إليه آية اللعان فلاعن بينهما ، وقال ﴿ قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ وقال ﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ويُنزِّل الغيثَ ويعلم ما فى الأرحام ﴾ الآية ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ يسألونك عن الساعة أيّان مُرْساها ، فيم أنت من ذكراها ﴾ فحجب

عن نبيه علم الساعة ، وكان من عدا ملائكة الله المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصَر علماً من ملائكته وأنبيائه ، والله عز وجل فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً . وكلامه رحمه الله تعالى فى هذا الباب كثير مشهور مذكور . وهذا الذى قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذى نطقا به وصرحت به نصوصهما وأجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعهم هو وغيره وكما هو المشهور من سيرتهم فى الأقوال والأفعال ، ونصوصهم فى هذا الباب ملء الدنيا ، وتصانيفهم فى ذلك قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها ، ولو رأوا ما عليه مقلدوهم فى هذا الوقت لتبرأوا منهم ومقتوهم أشد المقت ، فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه ، ولا اهتدوا إلى ما أرشدوهم إليه ، بل اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً ، وكل منهم يحصر الحق فى إمامه ويرى سائر أهل العلم مفضولين وإمامه فاضلًا ، وإذا خالف مذهبه نصاً ضرب له الأمثال ، وتكلف له التأويل المحال ، ويقابله الآخر بمثل ذلك ، فهم بين رادّ ومردود وحاسد ومحسود ، وكان فيهم شبه من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ من الذين فرّقوا دينَهم وكانوا شيَعاً كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرحون ﴾ ، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا أبعد من هذه الصفة بُعد ما بين المشارق والمغارب ، بل كانوا رضى الله عنهم وأرضاهم أجل شأناً وأكمل إيماناً من أن يقدموا بين يدى الله ورسوله ، بل هم تبع له فى أوامره ونواهيه ، ولنصوص الشرع أعظم عندهم من أن يقدّموا عليها آراء الرجال ، وهى أجل قدراً فى صدورهم من أن تضرب لها الأمثال ، وأعلى منزلة من أن تدفع بالأقيسة والتأويل المحال ، وإنما المقتدى بهم على الحقيقة من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وحفظ وصيتهم وأحيا سنتهم فى طلب الحق وأخذه أين وجده ، والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما بلغته ، فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله فى جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة والاستنباطات والأخذ بالأصح منها مع من كان وبيد من وجد ، فإن الحق واحد لا يجزئه الاختلاف ، وكل واحد من أولئك الأئمة يدأب فى طلبه جاداً مجتهداً إن أصابه فله أجران وإن أخطأه فله أجر والخطأ مغفور ، وهذه أقوالهم مدونة فى كتبهم ، كلها تذم الرأى فى الدين ، وتحث من بعدهم على اقتفاء أثرهم فى طلب الحق أين ما كان ، ولم يدع أحد منهم إلى تقليده ، ولم يكن أحد منهم معصوماً ولا ادَّعى ذلك ولا قال إن الحق معى لا يفارقنى

فتمسكوا بما أقول وأفعل ، ولا كان لأحد منهم التزام قول أحد من آحاد الأمة لا ممن هو مثلهم ولا من هو أفضل منهم فضلًا عمن هو دونهم ، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النص الذى لم يبلغه أو لم يستحضره ، ولو كان ذلك خيراً لسبقونا إليه ، بل كان إمام الجميع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بين للناس ما نزل إليهم ، ويتبعون آثاره من الأفعال والأقوال والتقريرات يتلقونها من حفاظها من كانوا وأين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها ولم يعدوها إلى غيرها . وكانت طريقتهم فى تلقى النصوص أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويأخذون ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً ، فإنها كلها من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره ، قال الله تعالى ﴿ أفلا يتدبّرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوَجَدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .

(ثم إلى هنا قد انتهيتُ   وتم ما بجمعه عُنيتُ)
(سميته بسُلم الوصول   إلى سما مباحث الأصول)
(والحمد لله على انتهائى   كما حمدت الله فى ابتدائى)
(أسأله مغفرة الذنوب   جميعها والستر للعيوب)
(ثم الصلاة والسلام أبدا   تغشى الرسول المصطفى محمدا)
(ثم جميع صحبه والآل   السادة الأئمة الأبدال)
(تدوم سرمداً بلا نفاد   ما جرت الأقلام بالمداد)
(ثم الدعا وصية القراء   جميعهم من غير ما استثناء)
(أبياتها « يسر » بعدّ الجمل   تاريخها « الغفران » فافهم وادع لى)

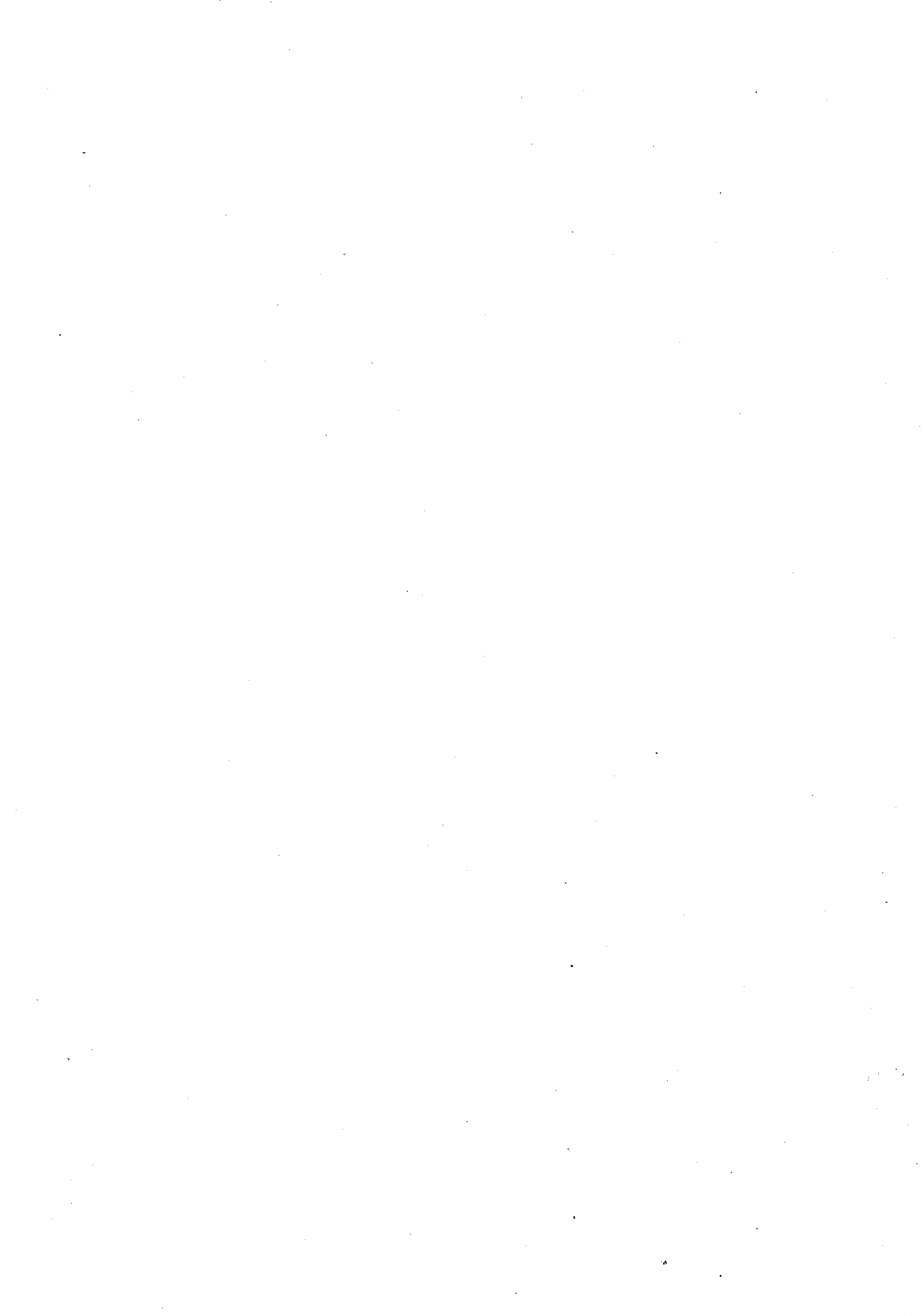
(ثم إلى هنا) الإشارة إلى آخر الكلام على الاعتصام بالكتاب والسنة، وناسب جعل ذلك هو الخاتمة يكون الآية التى فيها الإشارة إلى ذلك هى من آخر ما نزل وهى قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بل السورة كلها من آخر مانزل وروى أنها نزلت جملة، ومن جهة أنها الاعتصام بها آخر ماأوصى به النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع ثم خطبته فى غدير خم ثم كان من آخر ما تكلم به عند خروجه من الدنيا . (**قد انتهيت**) أى اقتصرت على هذا القدر ، وفيه إن شاء الله تعالى كفاية ، (**وتم**) أى قضى (**ما**) أى الذى (**بجمعه**) فى نظمى (**عنيت**)اهتممت له . (**سميته**) حين تم (**بسُلَّم**) أى المرقاة التى يصعد فيها لأجل (**الوصول إلى سما**)

بتثليث السين (**مباحث**) جمع مبحث وهو ما يحصل به فهم الحكم (**الأصول**) جمع أصل وهو ما يبنى عليه ، والمراد بها عند الإطلاق أصول الدين ، وهو ما يجب اعتقاده فيه وهو المراد هنا ، وأما إذا أضيفت فهى بحسب المضاف إليه : فأصول الحديث علم الاصطلاح الذى يبحث فيه عن تفاصيل أحوال السند والمتن وأحكامها ، وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك . وأصول العربية والنحو والصرف والمعانى والبديع كل بحسبه وتعريفه فى فنه ، وقولنا « سما مباحث الأصول » وصف له بالسمو وهو العلو إشارة إلى أنه أعلى العلوم وأهمها وأوجبها وألزمها لأنه معرفة ما خلق الله له الخلق والدنيا والآخرة والجنة والنار ، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، وفيه وله شرع الجهاد ، وعليه يرتب الجزاء من الثواب والعقاب وغير ذلك ، فحقيق بعلم هذا قدره أن يكون هو أول ما يهتم به العبد وأعظم ما يبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يموت على ذلك ، وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول لأن العروج هو الصعود والمعارج المصاعد فكأنَّ القارئ فى هذا الشرح يصعد فى هذا السلم . وأضيفت المعارج إلى القبول لمناسبة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد أو ينقطع . (**والحمد لله على**) جزيل النعمة التى منها أن قدر (**انتهائى**) أى إتمامى هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه ورسوله صلى الله عليه وسلم (**كما حمدت الله فى ابتدائى**)فى نظمه كما تقدم ، وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح ذكر الخلق بالحمد فقال ﴿ الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض ﴾ وختم ذكرهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال ﴿ وقُضِىَ بينهم بالحقِّ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ . (**أسأله**) أى أسأل الله (**مغفرة**) أى مغفرته تعالى (**الذنوب**) ذنوبى وجميع المسلمين ، والمغفرة ستر الذنب فى الدنيا والآخرة والعفو عنه وعدم المؤاخذة به (**جميعها**) من صغائر وكبائر ، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر (**والستر**) منه تعالى (**للعيوب**) منى ومن جميع المسلمين . (**ثم**) عطف على الحمد والاستغفار (**الصلاة والسلام**) تقدم معناهما (**تغشى الرسول المصطفى محمداً**) تغمره من ربه عز وجل (**ثم**) تغشى (**جميع صحبه والآل**) تقدم تعريفهما (**السادة**) جمع سيد وهو النقيب المقدم (**الأئمة**) المقتدى بهم فى الدين (**الأبدال**) أى الأولياء لله تعالى (**تدوم**) متواصلة متواترة (**سرمدا**) تأكيدا للدوام يفسره (**بلا نفاد**) فناء وانقطاع(**ما جرت الأقلام بالمداد**)أى عدد ما جرت به . (**ثم الدعا**)

لجامع هذا العقد متناً وشرحاً (**وصية**) منه يلتمسه من (**القراء**)أن يدعوا له بخيرى الدنيا والآخرة (**جميعهم**) شاهدهم وغائبهم معاصريه ومن يأتى بعد عصره (**من غير ما**) صلة أى من غير (**استثناء**) إخراج أحد منهم من هذه الوصية . (**أبياتها**) أى عدتها رمز حروف (**يسر**) وذلك مائتان وسبعون (**بعدّ الجمّل**) الحروف الأبجدية المعروفة عند عامة العرب ، وبما زدت فيها أقول (**أبياتها المقصود**) أى الذى فيه الأحكام والمسائل (**يسر فاعقل**) عنى . (**تأريخها**) الذى ألفت فيه رمزه حروف (**الغفران**) وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون ، أى عامئذ ، نسأل الله الغفران . (**فافهم**) ما فى ذا المعتقد (**وادع لى**) بصالح الدعوات فى أوقات الإجابة كما أوصيتك ، فإن ذلك من أعظم الصدقات ﴿ إن الله يجزى المتصدقين ﴾ .

اللهم ياحى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، يا بديع السماوات والأرض ، برحمتك نستغيث . اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ، وأصلح لنا شأننا كله ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا ، فاغفر لنا وارحمنا إنك الغفور الرحيم . اللهم ما كان فى هذا السِّفر من حق وصواب فبتعليمك وإلهامك ، وفضلك وإنعامك ، أنت أهله ومولیه ، فلك الحمد كما أنت أهله ، فانفعنا اللهم بتفهمه ، وارزقنا العمل بما علمنا وجميع المسلمين . وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسى وشيطانى ، فألهمنى اللهم رشدى ، وأعذنى من شر نفسى ، وقيِّض له من يصلحه ويسد خلله ، وأعذنى أن أضل عن سواء صراطك المستقيم ، أو يضل بخطئ أحد من عبادك ، واغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وقائد الغرّ المحجلين ، ورضى الله عن آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بفضله ورحمته ووالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين .

وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .



فهرس

مباحث (الجزء الثانى) من كتاب(معارج القبول)

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٣٧٥ ـ ٤٣٧٦/ ٨٥